بين الإسلام والمسيحية

كتاب أبي عبيدة الخزرجي

المتوفى سنة ٥٨٢ هجرية

حققه وقدم له وعلق عليه

الدكتور محمد شامة

يطلب من : مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

القاهرة : ت ٩٣٧٤٧٠

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بالقاهرة
٦٨ شارع العباسية   ت ٨٢٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

(صدق الله العظيم)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

تتخذ مظاهر الصراع البشرى منذ بدء الخليقة أسلوبين :

— صراع فكرى .

— وآخر يغلب عليه الطابع العضلى .

وما يعرف الآن فى ميدان القتال بحرب التكنولوجيا ، فلا زالت العضلات تلعب فيه دوراً رئيسياً .

ولا يخلو عصر من الصراع الفكرى ، فاختلاف الآراء — وهو نوع منه — علامة على حيوية المجتمع ، ومقدمة حتمية لتطوره ، إذا أراد كل طرف الوصول إلى الحق حيثما كان .

أما التقليد — وكذلك حمل الناس على أن يعتقدوا بقدسية رأى بشرى ، عن طريق كبت المعارضة بقوة الحديد والنار — فهو نذير بانهيار المجتمع ، لأنه يقضى على البراعم الفكرية فيه ، ويوقف قلبه النابض بالحياة .

وغالباً ماينحو الصراع الأيديولوجى بين الطوائف — وبين الشعوب — المختلفة فى عقائدها ، ومذاهبها الدينية والسياسة ، منحى التعصب للمبدأ ، فيلجأ المفكرون إلى مايدعم رأيهم ، وإن كان منافياً للمسلمات الأولية ، وحينئذ يشتد الجدل ، وتكثر المحاورات التى قد تؤدى إلى صدام مسلح .

وعندما تضع الحرب أوزارها ، يتجه الحوار وجهة أخرى ، إذ يتساءل المهزوم عن أسباب هزيمته :

هل يرجع ذلك إلى ضعف أيديولوجيته عن الصمود أمام العدو ؟

بل يتسرب الشك فى صحة العقيدة إلى ضعاف النفوس ، والمترددين فى قبولها .

بينما ينشط المنتصر – فى ظل صدى الانتصار – ليكسب أتباعاً عن طريق إلقاء الشبه أمام العامة ، الذين لايدركون أن أسباب النصر – أو الهزيمة – لا ترجع كلها إلى طبيعة الأيديولوجية من حيث هى ، بل تدخل فيها عوامل أخرى ، لايستطيع رؤيتها إلا الخاصة .

وللتدليل على هذا يكفى المرء أن يتصفح تاريخ البشرية ، فسيجد أمثلة لاحصر لها ، من بينها ماوقع فى « طليطلة » ، فقد احتفظت تلك المدينة القوطية القديمة بين أسوارها بالجم الغفير من أبنائها المسيحيين ، الذين لم يقبلوا الإذعان ، والخضوع للحكم الأموى ، إلا بعد وقت طويل . ولم يكن هذا الإذعان إلا ظاهرياً فقط ؛ إذ عندما سقطت فى أيدى « الفونس » السادس ، ملك « قشتالة » ، ارتدت إلى النصرانية . حظيرتها القديمة . وأعقب ذلك صراع فكرى ، بين المسيحيين ، ومن بقى فيها من المسلمين ، واتخذ ذلك صورة حوار حول المقارنة ، بين مبادىء العقيدتين : المسيحية والإسلام .

والكتاب الذى نقدم له ، هو إحدى مظاهرهذا الصراع ، وقع اختيارنا عليه لأنه يتناول مسائل ذات أهمية كبرى ، لمن يهتمون بدراسة علم مقارنة

الأديان. وليس أمامنا الآن سوى مخطوطة واحدة، عثرنا عليها مصورة فى مكتبة الجامعة العربية وهى تحت رقم ٢٢٥ توحيد . والنسخة الأصلية فى مكتبة أحمد الثالث باستانبول تحت رقم ١٨٦٣ .

ونظراً لضيق الوقت ، رأينا أن نخرج الكتاب ، معتمدين على هذه النسخه فقط ، آملين أن يهدينا البحث - بتوفيق الله - إلى العثور على نسخ أخرى ، نرجع إليها - إن شاء الله - فى الطبعة الثانية ، التى سنضمنها أيضاً نبذة عن الإسلام فى الأندلس ، ودراسة لحياة مؤلف الكتاب .

وقد آثرنا فى تخريج فقرات الكتاب المقدس ، أن نثبتها كاملة ، حتى لايضطر القارىء إلى الكشف عليها ، لأن فى ذلك مشقة عليه . وكذلك الأمر فى الآيات القرآنية ، التى أشار إليها النص ، أما التى ذكرت كاملة فيه ، فقد اكتفينا بتخريجها فقط .

ونحن إذ نقدم الكتاب ، فى صورته الراهنة ، لطلبة جامعة الأزهر ، ندعو الله أن يوفقنا إلى المزيد من دراسة المواضيع ، التى اشتمل عليها فى الطبعة الثانية .

إنه سميع مجيب ؟

محمد عبد الغنى شامة

القاهرة فى ٤ أكتوبر سنة ١٩٧٢

مقدمة الطبعة الثانية

— ١ —

اشتبك المسلمون مع المسيحيين فى معارك كثيرة ، ومن أهم المناطق التى التحم فيها الصراع عسكرياً ، وفكرياً ،[١] أسبانيا التى أطلق عليها المسلمون « الأندلس »[٢] .

---

(١) والكتاب الذى نقدم له يبين لنا احدى ظواهر الصراع الفكرى ، ولكى نلقى ضوءا على الظروف والملابسات التى أحاطت ــ وسبقت فى الزمن ــ المؤلف ، رأينا أن نعرض هنا موجزا لتاريخ الدولة الاسلامية فى أسبانيا ، ليستحضر القارىء فى ذهنه ــ أثناء قراءة هذا الكتاب ــ صورة الصراع السياسى الذى ابتلى به المسلمون منذ الفتح فى عام ٩٢هـ (٧١١م) حتى طردوا من أسبانيا نهائيا فى عام ٨٩٧هـ (١٤٩٢م) وليس الغرض تقديم صورة كاملة للاحداث ، لأن هذا فى كتب التاريخ ، بل عرض الخطوط العريضة لها ، مع بيان أهم الأسباب التى أدت الى انهيار الدولة الاسلامية فى تلك البقاع ، ومن أراد تفصيلا فليرجع الى المراجع التاريخية .

(٢) يطلق المؤرخون والجغرافيون العرب كلمة « الأندلس » على شبه جزيرة « ايبيريا » المكونة من أسبانيا والبرتغال (ياقوت فى معجم البلدان تحت كلمة الأندلس . والروض المعطار ص ١) . وتطلق فى الرواية العربية أيضا على أسبانيا المسلمة ، التى كانت عقب الفتح تشمل كل أسبانيا ما عدا « جليقة » ، وولايات جبال « البرنية » . ولكن « الأندلس » تطلق فى العصور المتأخرة ، وفى الجغرافيا الحديثة على ولايات الأندلس الواقعة فى جنوب أسبانيا ، بين نهر الوادى الكبير والبحر وبين ولاية مرسية « واشبيلة » ، وما زالت « الأندلس » (Andalucia) تحتل فى تقسيم أسبانيا الادارى الحاضر نفس هذه المنطقة . والرواية العربية تعلل هذه التسمية بصور مختلفة ، فتقول مثلا أنها سميت أندلس باسم أول من سكنها من قديم الزمان ، وهم قوم من الأعاجم يقال لهم أندلوس (نفح الطيب ج ١ ص ٦٧) . ويقول ابن الأثير : ان النصارى يسمون الأندلس « اشبانة » باسم « اشبانس » أحد ملوكها ، وهذا هو اسمها عند « بطليموس » (ج ٤ ص ١٢١) . ولكن ابن خلدون يقدم لنا تعليقا أدق فيقول انها سميت

عبرت الجيوش الإسلامية المضيق الغربي للبحر الأبيض المتوسط – المعروف اليوم بمضيق جبل طارق –[1] ولم يكن الدافع الأول للمسلمين الرغبة في التوسع الاستعماري ، بل كان ذلك تلبية لنداء وجهه سكان البلاد الأصليين إلى المسلمين ليخلصوهم من نير القوط[2] ، فقد كان المجتمع الأسباني

« الأندلس » باسم « فندلس » ولعلها « فندلس » ومن الواضح أنه يقصد « الفندال » أي « الوندال » (جـ ٢ ص ٢٣٥ في تاريخ القوط) • ويقدم لنا البكري خلاصة دقيقة لهذه المسميات الجغرافية التاريخية فيقول في وصفه لجزيرة الأندلس : ان اسمها القديم « ابارية » (Iberia) من وادى « ابرة » ، ثم سميت بعد ذلك « باطقة » (Baetica) من وادى بيطسي وهو نهر قرطبة • ثم سميت « اشبانية » من اسم رجل ملكها في القديم كان اسمه « اشبان » • وقيل سميت باسم « الأشبان » الذين سكنوها في أول الزمان على جرية النهر وما والاه • وقال قوم : ان اسمها في الحقيقة « اشبارية » (Hisperia) من « اشبرس » وهو الكوكب المعروف بالأحمر • وسميت بعد ذلك بالأندلس من أسماء « الأندليس » من الذين سكنوها « والأندلس » هم « الوندال » (Vandals) وهذا هو التعليل الذى يأخذ به « دانفيل »(Danville) ، اذ يقول : ان الاشتقاق مأخوذ من كلمة « فاندالوسيا » (Vandalusia) أي بلد « الوندال » ، (نقله « جيبون » عن كتاب ممالك أوربا في هامش الفصل الحادى والخمسين) • وهذا ما يقرره الفزيرى أيضا في معجم مخطوطات الاسكوريال (Biblu. Arabico- Hispana Escurialensis II) (P. 237. Casiri) من عنان : دولة الاسلام في الأندلس ، هامش ص ٥٠

(١) نسبة الى طارق بن زياد الليثي الذى اختاره موسى بن نصير – وهو والى أفريقيا يومئذ – لقيادة جيش الفتح ، ذلك الجندى العظيم الذى ضرب المثل في الشجاعة ، والاقدام • أجمع المؤرخون على وصفه بـ « فاتح الأندلس » ، غير أنهم اختلفوا في أصله ونسبته ، فقيل هو فارسي من همدان ، كان مولى لموسى بن نصير ، وقيل انه من سبي البربر ، وقيل أخيرا بربرى من بطن من بطون نفزه ، وهذه فيما يظن أرجح رواية ، ويبدو منها أن طارقا تلقى الاسلام عن أبيه زياد عن جده عبد الله ، وهو أول اسم عربي اسلامي في نسبته ، ثم ينحدر مساق النسبة بعد ذلك خلال أسماء بربرية محضة حتى ينتهي الى نفزة ، وهي القبيلة التي ينتمي اليها •

(٢) هم احدى القبائل أو الشعوب البربرية التي هبطت من شمال أوربا ، وقوضت صروح الامبراطورية الرومانية ، وتقول الأساطير القديمة أنهم نزحوا من « اسكندناوة » بعد أن تحرروا من « الجوتارة » في جنوب السويد ، ويذكر المؤرخ « تاسيتوس » أنهم كانوا منذ ظهور النصرانية الى أواخر القرن الثاني

. . . .

يسكنون شــواطىء البلطيق الجنــوبية . وفى عهد الامبراطور « اسـكندر سيفوروس » (٢٢٢ ـ ٢٣٥م) ظهرت طلائع « القوط » فى ولاية « داسيا » (وتشغل مكانها الآن رومانيا والمجر) الرومانية وأغارت على بعض مدنها ، وكان هذا نزوحهم الثانى حيث استقروا عندئذ فى اقليم « اليوكرين » وفى عهد الامبراطور « ديسيوس » عبروا نهر الدانوب ، وخربوا ولاية « ميزيا » الرومانية (وتشغل مكان بلغاريا الحديثة) ثم تقدموا الى قلب البلقان ، فسار « ديسيوس » لقتالهم ، ولكنه هزم ومزق جيشه (٢٥٠م) ، وسار « القوط » الى اليونان فعاثوا فيها وخربوها ، ولم ينقطع عبثهم حتى نشط الامبراطور « قسطنطين » الكبير لقتالهم ورد عدوانهم ، فحاربهم فى عدة مواقع ، وهزمهم هزيمة شديدة ، وردهم الى أقاصى « داسـيا » (سـنة ٣٢٢م) وفرض عليهم شروطا فادحة . ثم حاربهم الامبراطور « فالنس » قيصر قسطنطينية وهزمهم فى سنة ٣٦٩م وفى سنة ٣٧٥م زحف « الهون » من المشرق على « القوط » ومزقوهم ، فانقسموا الى قسمين ، قوط شرقيون أذعنوا للهون وانخرطوا فى جيشهم ، وقوط غربيون فروا تحت ضغط « الهون » الى ضفاف الدانوب ، واستغاثوا بالامبراطور ، وطلبوا الدخول فى طاعته فأجابهم الى ذلك . واستقروا حينا فى ولاية « تراقية » ، ولكنهم ثاروا مرارا من جراء قسوة الحكام الرومانيين وعسفهم . وفى عهد الامبراطور «هونوريوس» قام « القوط » بثورة أعظم وأبعد أثرا بقيادةزعيمهم « ألاريك » وخربوا «تراقية» واليونان ، ثم عبروا الى ايطاليا وافتتحوا روما ونهبوها (٤١٠م) . ولكن زعيمهم « ألاريك » توفى فى نفس هذا العام فارتدوا الى الشمال . ثم عقدوا الصلح مع الامبراطور واندمجوا فى الجيش الامبراطورى ، وقاموا بقمع الثورات فى « غاليـا » أو « غاليس » (جنوب فرنسـا) وشمالى أسبانيا ، ثم استقروا فى أواسط فرنسا وجنوبها ، فيما بين نهـرى اللوار والجارون ، واتخذوا « تولوز » (تولوشة) عاصمة لهم . وأقطع امبراطور ملكهم « فاليا » حكم هذا القطر ، وقامت بذلك مملكة قوطية تابعة للدولة الرومانية .

وعـاون « القــوط » الـدولة على محـاربة « الونـدال » و « الآلان » و « السوابيين » ، وعاونها بالأخص ملكهم « تيودريك » الأول ، ولد « ألاريك » على هزيمة « آتيـلا » التترى وبرابرته « الهون » فى موقعة « شـالون » (٤٥١) .ثم عبر خلفه وأخوه « تيوديريك » الثانى الى أسبانيا ، لانتزاعها من « الوندال » و « السوابيين » المتغلبين عليها ، مشترطا على الدولة أن يحتفظ بمـا يفتتحه من أسـبانيا لنفسـه ولعقبه ، وحارب « الونـدال » و « السوابيين » وهزمهم (سنة ٤٥٦م) وافتتح أسبانيا ما عدا ركنهـا الشمالى الغربى « جليقة » ، الذى استعصم به « الوندال » حينا . ولم تأت نهاية القرن الخامس حتى ملك « القوط » شبه الجزيرة كلها ، وامتـد

يعانى صنوف الشقاء والبؤس ، مزقته عصور طويلة من الظلم والإرهاق ، ولم يكن « القوط » فى الحقيقة أمة بمعنى الكلمة ، فإنهم لم يمتزجوا بسكان الجزيرة ، ذلك الامتزاج الذى يجعل الغالب والمغلوب ، والحاكم والمحكوم أمة واحدة ، بل كان القوط يستأثرون بمزايا الغلبة ، والسيادة ، وينعمون بإحراز الإقطاعات والضياع الواسعة ، ومنهم وحدهم الحكام والسادة والأشراف ، يليهم طبقة رجال الدين ، حيث كانوا يتمتعون بأعظم قسط من السلطان والنفوذ ، وساعدهم على بلوغ هذه الدرجة أن القوط كانوا أتقياء متدينين ، يغلب عليهم الميل إلى إرضاء رجال الدين ، وقد تمتع الأحبار والرهبان بمركز مرموق لدى الحكام ، مما جعل لهم تأثيرا مكنهم من توجيه القوانين والنظم ، وصياغة الحياة العقلية والاجتماعية وفقاً لاتجاه الكنيسة وغاياتها . وقد استغل رجال الدين هذا النفوذ فى إحراز الضياع وتكديس الثروات ، واقتناء الزراع والأرقاء . وهكذا كانت ثروات البلاد كلها تجتمع فى أيدى فئة قليلة ممتازة من الأشراف ورجال الدين ، اختصت بترف العيش ومتاع الحياة ، وكل نعم الحرية والكرامة والاعتبار .

أما سواد الشعب فكان يرزح تحت شقاء الحياة وبؤسها وهو يتكون

ملكهم من « اللوار » الى شاطىء أسبانيا الجنوبى . ولكن الفرنج غزوهم من الشمال وأجلوهم عن فرنسا فى أعوام قلائل ، فاستقروا فى أسبانيا ، واتخذوا مدينة « طليطلة » دار ملكهم ، ووضعوا لملكتهم الجديدة نظما وقوانين خاصة تتأثر بروح الحضارة والأنظمة الرومانية ، وكانوا أيضا قد اعتنقوا النصرانية منذ أواخر القرن الرابع ، كما اعتنقها « الوندال » وغيرهم من الشعوب البربرية ، التى تقاسمت تراث رومة وأملاكها . ولبث « القوط » زهاء قرنين سادة لأسبانيا حتى الفتح الاسلامى ، وكان آخر ملوكهم « رودريك » « أو رذ ريق » كما يسميه العرب الذى هزمه القائد المسلم طارق بن زياد عام ٧١١م .

من طبقة متوسطة ، رقيقة الحال، وزرّاع شبه أرقاء يلحقون بالضياع ، وأرقاء للسيد عليهم حق الحياة والموت ، كان الشعب بطبقاته الثلاث ـ الطبقة المتوسطة ، والزراع والأرقاء ـ فى حالة يرثى لها من الحرمان والبؤس ، يقاسى أشنع أنواع الظلم والارهاق ، ويفرض عليه وحده ـ دون الطبقات الممتازة ـ دفع الضرائب الفادحة ، ويلزم بتأدية المغارم المرهقة ، ويقوم بالأعمال الشاقة ـ يساق إليها سوق العجماوات ـ فى ضياع الأشراف والأحبار ، مفروضا عليه العبودية والرق ، مسلوباً عنه كل شعور بالعزة والكرامة .

وكانت هناك جالية يهودية كبيرة ، لم تكن تنعم بالحياة الهادئة ؛ إذ كانت موضع البغض والكراهية والتحامل ، فقد كان يهود الجزيرة يعانون أشنع ألوان الجور والاضطهاد ، وكانت الكنيسة منذ قوى نفوذها تحاول تنصيرهم ، وتمارس فى سبيل تحقيق ذلك أشد أنواع العنف ، وأقسى طرق المطاردة .

هكذا كان الوضع فى أسبانيا ، عندما افتتح المسلمون أفريقيا ، واقتربوا من شواطىء الأندلس ، وكان على عرش أسبانيا يومئذ الملك « وتيزا » ، كان يحكم مملكة مزقها الخلاف وشعباً أضناه العسف والظلم والإرهاق ، ويقال : إنه حاول أن يقف فى وجه طغيان الأشراف بالحد من سلطاتهم ، كما حاول كبح جماح رجال الدين فلم يستطع ، واتفق رجال الدين على بغضه ومحاولة التخلص منه ، كما كانت بقية الشعب غير راضية لما يقع عليها من جور وظلم . فدبرت ضده المؤامرات ، واستغل الموقف زعيم جرىء هو ردريك ، فقام بالثورة ضده ونادى بنفسه ملكا ، واستطاع أن يخمد منافسيه ، غير أن العرش بقى مضطرباً يهتز فى يد القدر ، ذلك أن أعداء « ردريك » حاولوا الإطاحة به ، ولما لم ينجحوا فى ذلك رأوا الاستعانة ،

بقوة من خارج الجزيرة ، وكان « الكونت يوليان » حاكم « سبتة » محط أنظارهم ومساعيهم .

وفى الوقت الذى كانت فيه شبه الجزيرة الأسبانية تضطرم فيها هذه الحوادث ، فتفرقها فى أزمات خطيرة ، ومضايق خانقة ، كان المسلمون قد أتموا فتح المغرب الأقصى باستيلائهم على ثغر « طنجة » ، وأشرفوا بذلك على شواطىء الأندلس من الضفة الأخرى من البحر ، ولم يبق لإتمام فتح أفريقية سوى ثغر « سبتة » الذى يقع فى مقابل طنجة فى الطرف الآخر من اللسان المغربى . حاول المسلمون الاستيلاء عليه ، لكنهم لم ينجحوا ، لأن حاكم « سبتة » وهو « الكونت يوليان » كان متيقظاً ، فأحبط كل محاولة لأخذه ، وساعده على ذلك مناعة موقعه . ولكن موسى بن نصير لم ينفك لحظة عن التفكير فى افتتاح هذا الثغر المنيع ، وتطهير إفريقيا من البقية الباقية من العدو . وبينما هو يرقب الفرص لتحقيق هذه الأمنية ، إذ وصلته رسالة « الكونت يوليان » نفسه ، يعرض عليه معقله ، ويدعوه إلى فتح أسبانيا ، وجرت بينهما مفاوضة فى هذا المشروع الخطير ..

وفى شهر رجب سنة ٩٢ هـ (أبريل ٧١١ م) جهّز موسى جيشاً من العرب والبربر ، بلغ سبعة آلاف مقاتل ، وأسند قيادته إلى طارق بن زياد الليثى ، فعبر البحر من « سبتة » بجيشه تباعا فى سفن قليلة ، قدمها له « يوليان » ، وعسكر بالبقعة الصخرية المقابلة التى مازالت تحمل اسمه إلى اليوم ، أعنى جبل طارق .

ولما أتم استعداداته ، توغّل فى الجزيرة ، وحين أحسّ « ردريك » بالخطر - وكان أميراً شجاعاً - استطاع أن يجمع حوله معظم الأمراء

والأشراف ، والأساقفة ،وحشد هؤلاء رجالهم وأتباعهم ، فاجتمع « للقوط » يومئذ جيش ضخم ، تقدره بعض الروايات بمائة ألف ، غير أنه لم يكن ملتحماً ؛ إذ كان كثير من قواده ورؤسائه خصما « لردريك » ، اضطروا إلى الالتفاف حوله لرد الخطر الخارجى ، وهم يتحينون الفرصة للفتك به .

لم تكن الظروف سهلة أمام المسلمين ، « فالقوط » أضعاف المسلمين ، والقتال فى أرض العدو فى هضاب ومفاوز شاقة ، ولكن قائدهم الجرىء - طارق بن زياد - تقدم إلى الموقعة الحاسمة بعزم ، دفعه إلى ذلك إيمانه وشجاعته ، وثقته بقدرته على اجتياز الحواجز والعقبات ، فكان اللقاء بين الجيشين فى سهل « الفرنتيرة » (Frantera) على ضفاف نهر وادى « لكه » أو وادى « بكه» .

تلاقى العرب و « القوط » ، والإسلام والنصرانية فى الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٩٢ هـ (١٧ يوليه ٧١١ م) فى معركة من أهم معارك التاريخ بين الإسلام والنصرانية ، واستمرت هذه المعركة الهائلة مضطرمة بين القوى النصرانية الضخمة وبين القوة المسلمة المتواضعة نحو أربعة أيام ، كان الجيش الإسلامى يحارب فيها ، وهو قوة واحدة متماسكة ، كالصخرة الصلبة ، أما الجيش القوطى فقد كان - على الرغم من كثرته - مختل النظام ، منحل القوى ، لأن الرباط بين جناحيه وبين قلبه كان واهياً ، إذ كان يقود جناحيه « ايفا » و « وسيزون » خصما « ردريك » ، وتتكون صفوفها من أتباعهم ، وأتباع حلفائهم من الأمراء ، والزعماء الناقمين ، الذين تظاهروا بالإخلاص وقت الخطر ، وكلهم يتحين الفرصة للايقاع بالملك المغتصب ، فكانت الخيانة تمزق جيش القوط شر ممزق .

وهناك عامل آخر ساعد المسلمين على الفتك بالعدو ، ذلك أن

« يوليان » والأسقف « أوباس » ـ وكانا فى صف المسلمين ـ استطاعا أن يستميلا كثيراً من جند « القوط » ، وأن يبثا بدعايتهما فى الصفوف الموالية « لردريك » كثيراً من عوامل الشقاق والتفرق ، فأخذ كل أمير يسعى لوقاية نفسه هو ، فتمكن الجيش الإسلامى ـ وهو قليل العدد ـ بشجاعة أفراده وثباتهم ، واتحاد كلمتهم من جيش « القوط » ، ولم يأت اليوم السابع من اللقاء ، حتى تم النصر لطارق وجنده ، ومزق جيش « القوط » شر ممزق ، ولحقت بهم الهزيمة الساحقة ، وشتتوا فى كل صوب ، وفروا فى كل اتجاه أما « ردريك » آخر ملوك « القوط » ، فقد اختفى بعد المعركة ، ولم يعثر له على أثر .

تعقب طارق بن زياد فلول المنهزمين ، فواصل زحفه متوغلا فى أرض الأندلس يفتح الثغور ، ويستولى على المواقع والحصون ، وتابع زحفه شمالا ، فعبر جبال « أشتوريش » (أستورياش) ، واستمر فى سيره حتى أشرف على ثغر « خيخون » الواقع على خليج « بسكونية » (غسقونية) فكان خاتمة زحفه ، ونهاية فتوحاته ، ورده عباب المحيط عن التقدم ، فعاد إلى « طليطلة » ، حيث تلقى أوامر موسى بن نصير بوقف الفتح ، وكان ذلك لعام فقط من عبوره إلى أسبانيا ، وكان لأوامر موسى بن نصير خطرها . وسنعرض لذلك بعد عرض آراء العلماء فى الفتح الإسلامى .

انهارت سلطان الطبقات الممتازة بعد الفتح ، فتنفس الشعب الصعداء ، وخف عن كاهله ما كان ينوء به من الأعباء والمغارم ، ذلك أن المسلمين تحروا فى فرض الضرائب المساواة التامة بين الطبقات والتزام العدل والاعتدال فى تحصيلها ، وقد كانت من قبل تفرض حسب الهوى ، وبدافع الجشع والاستغلال . كذلك أمن الناس على حياتهم وحرياتهم وأموالهم

إذ ترك الفاتحون لهم حق تطبيق قوانينهم ، واتباع تقاليدهم ، والخضوع لقضائهم وقضاتهم ، بل عينوا أيضا عليهم – فى معظم الأحوال – حكاما من أبناء جنسهم ، وعهد إلى هؤلاء الحكام سن الضرائب المطلوبة ، والاشراف على النظام والأمن . أما مسألة الدين والعقيدة ، فقد ترك الناس فيها أحراراً يعتقدون ماشاءوا ويؤمنون بعقيدتهم – من غير إكراه ولا اضطهاد – التى يختارونها ، وقد ضربت السياسة الإسلامية بهذا مثلا أعلى للتسامح الدينى ، فلم يظلم أحد أو يرهق أو يضطهد بسبب الدين أو الاعتقاد .

أشاد العلماء بالفتح الإسلامى لأسبانيا ، وإليك طائفة من أقوالهم . يقول العلامة المستشرق « دوزى » : –

« لم يكن حال النصارى فى ظل الحكم الإسلامى مما يدعو إلى كثير من الشكوى بالنسبة لما كانت عليه من قبل . أضف إلى ذلك أن العرب كانوا يتحلون بكثير من التسامح . فلم يرهقوا أحداً فى شئون الدين » .

ويقول « دوزى » عن آثار الفتح الاجتماعية :

« كان الفتح العربى من بعض الوجوه نعمة لأسبانيا ، فقد أحدث فيها ثورة اجتماعية هامة ، وقضى على كثير من الأدواء التى كانت تعانيها البلاد منذ قرون .. وحطمت سلطة الاشراف والطبقات الممتازة أو كادت تمحى ، ووزعت الأراضى توزيعاً كبيراً ، فكان ذلك حسنة سابغة ، وعاملا فى ازدهار الزراعة إبان الحكم العربى ، ثم كان الفتح عاملا فى تحسين أحوال الطبقات المستعبدة ؛ إذ كان الإسلام أكثر تعضيداً لتحرير الرقيق من النصرانية ، كما فهمها أحبار المملكة القوطية ، وكذا حسنت أحوال أرقاء

الضياع ، إذ غدوا من الزراع تقريباً ، وتمتعوا بشيء من الاستقلال والحرية » .

ويقول الأستاذ « لابن پول » :

« أنشأ العرب حكومة قرطبة التي كانت أعجوبة القرون الوسطى بينما كانت أوربا تتخبط فى ظلمات الجهل ، فلم يكن سوى المسلمين من أقام بها منائر العلم والمدنية » .

ويقول المستشرق الأسبانى « جاينجوس » .

« لقد سطعت فى أسبانيا (الأندلس) أول أشعة لهذه المدينة ، التى نثرت ضوءها فيما بعد على جميع الأمم النصرانية ، وفى مدارس قرطبة وطليطلة العربية ، جمعت الجذوات الأخيرة للعلوم اليونانية بعد أن أشرفت على الانطفاء ، وحفظت بعناية . وإلى حكمة العرب وذكائهم ، ونشاطهم ، يرجع الفضل فى كثير من أهم المخترعات الحديثة وأنفعها » .

* * *

أمر موسى بن نصير ، طارق بن زياد بوقف الفتح ، ويختلف المؤرخون فى تعليل البواعث على إصدار هذا الأمر ، فقيل : إن موسى لم يكن يتوقع هذا الفوز لقائده ومبعوثه ، فلما وقف على مبلغ فوزه وتقدمه ، تحول إعجابه إلى حسد وغيرة ، وخشى أن ينسب ذلك الفتح العظيم إليه دونه ، وقيل : إن موسى غضب على طارق عندما خالف الأوامر الصادرة إليه ، بألا يجاوز « قرطبة » ، خوفاً من أن يصاب الجيش الإسلامى بنكبة ، قد تفقده روحه المعنوية ، إذا توغل فى أراضى ، ومسالك مجهولة ، لا يحسن فيها القتال . وعلى

أى حال ، فقد لحق موسى بطارق بعد أن استولى على بعض المدن فى طريقه ، ووصل إلى أقصى شمال أسبانيا ، وهناك فكر فى أن يخترق بجيشه جميع أوربا غازيا فاتحاً ، وأن يصل إلى الشام من طريق قسطنطينية ، وكان يمكنه ذلك ، لأن الإسلام يومئذ كان فى ذروة الفتوة ، والقوة ، والبأس ، وكانت أمم الغرب من جهة أخرى يسودها الضعف والانحلال ، ولكن تطور الأحداث حال دون تحقيق هذا المشروع ، ذلك إنه عندما التقى بطارق عنفه على مخالفة الأوامر ، وزج به فى السجن ، ويقال أنه أراد قتله ، لكنه أطلقه بعد ذلك ، واشترك معه فى تدبير خطط الفتح ، إلا أن الخليفة فى دمشق عندما علم بالخلاف استدعاهما إلى دمشق ، وكان ذلك خسارة كبيرة للاسلام ودولته ، إذ توقف الفتح — تقريباً — عند هذا الحد ، وانشغل المسلمون بخلافاتهم التى نشأت فى الأندلس بعد الفتح ، ولكى نلقى ضوءاً على هذه الخلافات التى كانت مرضاً أصيبت به الدولة الإسلامية الجديدة يوم مولدها ، وعاقها عن الانطلاق المنشود ، ينبغى أن نبين عناصر المجتمع الإسلامى فى الأندلس بعد الفتح .

لقد ولدت الدولة الجديدة التى أنشأها الإسلام فى أسبانيا حاملة معها منذ البداية جرثومة الخلاف الخطر ، وكان هذا المجتمع الذى جمع الإسلام شمله ، ومزج عناصره ، يجيش بمختلف الأهواء والنزعات ، وتمزقه العصبيات القبلية ، إذ ظهر التنافس القديم بين القبائل العربية من جانب ، وبين العرب والبربر من جانب آخر ، ذلك أن البربر — وكان معظم الجيش منهم — كانوا يبغضون قادتهم ، ورؤساءهم العرب ، ويحقدون عليهم لاستئثارهم بالسلطة ، واستيلائهم على أكبر نصيب من الغنائم ، واحتلالهم لمعظم القواعد والوديان

الخصبة . وكثيراً ما رفع هؤلاء البربر لواء العصيان والثورة ، أو أيدوا فريقا من العرب ضد آخر فى الصراع على السلطة . أما المسلمون الأسبان — وهم العنصر الثالث فى تكوين المجتمع الإسلامى فى أسبانيا — فكانوا محدثين فى الإسلام ، يعتريهم الشعور بأنهم — رغم إسلامهم — أحط من الوجهة الاجتماعية من ساداتهم العرب ، وذلك أن العرب ، رغم ما تعلموه من أن الإسلام يسوى بين المسلمين جميعاً فى الحقوق والواجبات ، ويقضى على كل فوارق الجنس والطبقات ، كانوا يشكون فى ولاء المسلمين الجدد ، فضنوا عليهم بمناصب الثقة والنفوذ ، أضف إلى ذلك أن العربى فى الأقطار النائية التى فتحها بسيفه ، كان يشعر بالغرور ، وتعاوده النعرة القديمة ، فكان يظن أنه أشرف الخليقة .

لو اقتصر الأمر على الخلاف بين العرب والبربر ، وبينهم وبين المسلمين الجدد لهان الخطب ، ولكن الخلاف بين القبائل العربية ، كان أخطر ما فى هذا المجتمع من عوامل التفكك والانحلال ، فقد ظهرت عصبية القبائل والبطون من جديد ، فتنافس الزعماء والقادة على السلطان والرياسة ، فمزقت صفوفهم ، ووهنت وحدة الدولة الإسلامية فى الأندلس . وظل هذا هو المرض العضال الذى أعاق الدولة فى كثير من الأحيان عن تأمين حدودها الشمالية ، حيث تكونت الممالك النصرانية التى قادت عملية طرد المسلمين من الأندلس .

لعبت هذه الخلافات دوراً رئيسياً فى تولية الولاة ، وقيام دولة بنى أمية ، وسقوطها ، وقيام دول الطوائف ، وأخيراً اشتدت وطأتها ، فتهاوت الدولة

أمام هجمات النصرانية فى عام ٨٩٧ هـ = ١٤٩٢ م[1] .

* * *

(١) اعتبرت الأندلس فى مبدأ أمرهـا ولاية تابعـة لافريقيـة ، فكـان واليها يعين من قبل والى أفريقية ، ثم يصدق الخليفة على ذلك . ثم استقلت بعد ذلك عن أفريقية ، فأصبح واليها يعين رأسـا من الخليفة فى دمشـق . وأول وال للاندلس ، هو عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وآخرهم يوسف ابن عبد العزيز الفهرى ، الذى هزمه عبد الرحمن الداخل فى ١٠ ذى الحجة سـنة ١٣٨هـ (١٣ مايو سنة ٧٥٦م) ، وبذلك انتهى عصر الولاة ، وبدأ عصر امارة بنى أمية ..

قامت دولة بنى أمية فى الأندلس على يد عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان الذى نجا من مذبحة أهله فى مجلس السفاح سـنة ١٣٢هـ ، فهرب من العراق يطلب بلاد المغرب ، بمساعدة مولى له اسمه بـدر ، لم يدخر وسـعا فى انقاذه وحمايته فى اثناء ذلك الفرار ، فلما وصل به الى المغرب ، سعى له فى جمع الأحزاب ، فقطع مضيق جبل طارق الى الأندلس ، وفيها من موالى بنى أمية خمسمائة رجل ، فأخبرهم بقدوم مولاه ، وحرضهم على نصرته لاستبقاء هذه الدولة هناك ، فنصروه وجمعوا كلمة المضرية واليمنية ، وبعد حروب كثيرة ، مهدوا له الطريق الى الحكم ، واستقدموه اليهم فدخل الأندلس ، وتولى أمورها سـنة ١٣٨هـ (٧٥٦م) ، ولذلك سموه الداخل .

لم يجسر عبد الرحمن فى بادىء الأمر على انشـاء خلافة أخرى ، مع وجود الخلافة العباسية ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم واحد ، وخليفته واحد . استمر الأمويون يحكمون تحت اسم « الامارة » زهاء قرن ونصف حتى تولى عبد الرحمن الناصر ، فرأى أن يتسم بسمة الخلافة ، وكان ذلك فى مستهل ذى الحجة سنة ٣١٦هـ ، وشجعه على ذلك قيام الخلافة الفاطمية فى الضفة الأخرى من البحر وانسياب دعوتها الى المغرب الأقصى ، على مقربة من شواطىء الأندلس .

بلغت الأندلس ابان مجدها فى عهد عبد الرحمن الناصر ، وفى عهد ابنه الحكم المستنصر ، ثم اخذت الأمور بعدهما فى الاضمحلال ، فضعفت شـوكة الخلفاء ، واسـتبد الوزراء والجنـود ، وهم من موالى الأمويين من البربر والصقالبة ، وكان العر بفى مقدمة رجال الدولة ، وأهل العصبية ، ولهم المقام الرفيع ، فلما استبد الصقالبة والبربر بالمناصب ، أخذت شوكة العرب فى الضـعف تدريجيـا ، حتى غلب ابن أبى عامر على أمر الدولة فى أيام هشام بن الحكم ، ومكر بأهل الدولة ، وضرب بين رجالها ، وقتل بعضهم ببعض ، فانكسرت شوكة العرب من ذلك الحين .

اشتغلت الدولة الإسلامية بخلافاتها ، التى استنفدت معظم طاقاتها ، وصرفتها عن توجيه همتها لاتقاء خطر آخر ، ذلك أن شراذم قليلة من « القوط » لجأت عقب الفتح إلى الجبال الشمالية ، وامتنعت فى مفاوز جبال « أشتوريس » فقامت إمارتان نصرانيتان صغيرتان فى « كانتابريا » ،

ومازالت الدولة آنذاك آخذة فى الانحلال اقتسمها الولاة البربر وغيرهم فانقسمت مملكة الأندلس فى أوائل القرن الخامس الهجرى الى امارات تولاها أصحاب الأطراف والرؤساء ، وفيهم العرب والبربر والموالى ، فتغلب كل انسان على ما فى يده ، فصاروا دولا صغيرة متفرقة ، ولذلك سموا ملوك الطوائف وهاك أشهرهم مع أسماء اماراتهم :

اسم الدولة	اسم المملكة	مدة الحكم
بنو حمود	مالقة والجزيرة	٤٠٧ ـ ٤٤٩ هـ
بنو عباد	أشبيلية	٤١٤ ـ ٤٨٤ هـ
بنو زيرى	غرناطة	٤٠٣ ـ ٤٨٣ هـ
بنو جهور	قرطبة	٤٢٢ ـ ٤٦١ هـ
بنو ذى النون	طليطلة	٤٢٧ ـ ٤٧٨ هـ
العامريون	بلنسية	٤١٢ ـ ٤٧٨ هـ
بنو هود التجيبيون	سرقسطة	٤١٠ ـ ٥٣٦ هـ

ولم تطل سيادة هذه الدولة ، اذ غلبت عليهم دولة المرابطين ، ثم الموحدين ، وظل الانقسام متتابعا بين تلك الممالك ، والخصام متواليا ، والافرنج يغتنمون ضعفهم وانقسامهم ، ويسترجعون اماراتهم واحدة بعد واحدة ، وبلدا بعد بلد ، حتى غلبوا على المسلمين ، وأخرجوهم من الأندلس ، وآخر مدينة افتتحها الافرنج من تلك المملكة غرناطة ، وكانت فى حوزة بنى نصر ـ نسبة الى يوسف بن نصر ـ من سنة ٦٢٩ هـ ، توالى عليها منهم بضعة وعشرون ملكا آخرهم أبو عبد الله محمد بن على ، فاستخرجها الافرنج من يده سنة ٨٩٧هـ (١٤٩٢م) وفر أبو عبد الله ، وكان ذلك آخر عهد المسلمين بالأندلس .

« وجليقة » ، غير أن الأولى كانت عرضة لاقتحام الجيش الإسلامى حين سار إلى فرنسا ، ولكن إمارة « جليقة » كانت تقع فى أعماق جبال « اشتوريس » الوعرة ، بعيداً عن غزوات الفاتحين ، ولم يعن المسلمون لأول عهد الفتح بأمر هذه الشراذم الممزقة عناية كافية ، وكان فاتحا الاندلس موسى وطارق قد قاد كل منهما حملة إلى « جليقة » لسحق البقية الباقية من « القوط » ، ولكنهما لم يتمكنا من تحقيق غايتهما لاستدعائهما إلى دمشق . وكان إغفال هذه الفلول الباقية بعد ذلك من أعظم أخطاء الفاتحين .

ومن أهم العوامل التى أعاقت تقدم الفتح الإسلامى فى أوربا — وبالتالى ساعدت الإمارات المسيحية فى شمال أسبانيا على التمركز ، وبناء قوة أخرجت المسلمين من الأندلس — النتيجة التى انتهت إليها معركة « بواتيه » فى سهول فرنسا . أجل ! كان اللقاء حاسماً بين الإسلام والنصرانية فى تلك المعركة ، وكانت له آثار بعيدة المدى على تاريخ العالم كله ، وتتلخص وقائع المعركة فى أن الجيش الإسلامى اجتاح جنوب فرنسا ، بقيادة عبد الرحمن الغافقى ، مستولياً على ما وقع فى يده من مغانم ، وكانت كثيرة جداً ، حتى وصل إلى السهل الممتد بين مدينة « بواتيه » ، و« تور » ، فاستولى المسلمون على « بواتيه » ونهبوها وأحرقوا كنيستها[1] الشهيرة ، ثم هجموا على مدينة « تور » الواقعة على صفة « اللوار » اليسرى ، واستولوا عليها ، وخربوا كنيستها أيضاً . وفى ذلك الحين كان جيش الفرنج قد انتهى إلى اللوار بقيادة « كارل مارتن » ، دون أن يشعر المسلمون بمقدمه بادئ بدء ، وأخطأت

---

(١) مخالفين بذلك روح الاسلام وتعاليمه ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يوصى المقاتلين دائما ألا يهدموا الكنائس والمعابد ،

الطلائع الإسلامية تقدير عدده وعدّته . فلما أراد عبد الرحمن أن يقتحم « اللوار » ، لملاقاة العدو على ضفته اليمنى ، فاجأه كارل مارتن بمجموعة الجرارة ، وألفى عبد الرحمن جيش الفرنجة يفوقه فى الكثرة ، فارتد من ضفاف النهر ثانية إلى السهل الواقع بين « تور » و « بواتيه » ، وعبر « كارل » اللوار غربى « تور » ، وعسكر بجيشه إلى يسار الجيش الإسلامى ، بأميال قليلة بين نهر « كلين » « وفيين » فرعى « اللوار » .

ثم بدأ القتال فى اليوم الثانى عشر من أكتوبر ٧٣٢م (أواخر شعبان ١١٤هـ) فنشبت بين الجيشين معارك محلية مدى سبعة أيام أو ثمانية ، احتفظ فيها كل بمركزه ، وفى اليوم التاسع نشبت بينهما معركة عامة ، فاقتتلا بشدة وتعادلا حتى دخول الليل ، واستأنفا القتال فى اليوم التالى ، وأبدى كلاهما منتهى الشجاعة والجلد ، حتى بدا الإعياء على الفرنج ، ولاح النصر فى جانب المسلمين . ولكن حدث حينئذ أن افتتح الفرنج ثغرة إلى معسكر الغنائم الإسلامى فارتفعت صيحة مجهول فى المراكز الإسلامية بأن معسكر الغنائم سوف يقع فى أيدى العدو ، فارتدت قوة كبيرة من الفرسان من قلب المعركة إلى ماوراء الصفوف لحماية الغنائم ، وتواثب كثير من الجند للدفاع عن غنائمهم ، فدب الخلل إلى صفوف المسلمين ، وعبثاً حاول عبد الرحمن أن يعيد النظام ، وأن يهدئ روع الجند ، وبينما هو يتنقل أمام الصفوف يقودها ويجمع شتاتها ، إذ أصابه من جانب الأعداء سهم أودى بحياته فسقط قتيلا من فوق جواده ، وعمّ الذعر والاضطراب فى الجيش الإسلامى ، واشتدت وطأة الفرنج على المسلمين وكثر القتل فى صفوفهم . ولكنهم صمدوا للعدو حتى جنّ الليل ، وافترق الجيشان دون فصل .

وكان ذلك فى اليوم الحادى والعشرين من أكتوبر ٧٣٢م (أوائل رمضان ١١٤هـ) .

وهنا اضطرم الجدل والنزاع بين قادة الجيش الإسلامى ، واختلف الرأى وهاجت الخواطر ، وسرى التوجس والفزع . ورأى الزعماء أن كل أمل فى النصر قد غاض، فقرروا الانسحاب . وفى الحال غادر المسلمون مراكزهم، وارتدوا فى جوف الليل ، وتحت جنح الظلام ، تاركين أثقالهم ، ومعظم أسلابهم غنما للعدو .

ومن الأسباب التى عاقت الجيش الإسلامى عن إحراز نصر حاسم فى تلك الموقعة ، حالة القلق التى أصابته ، بسبب الشقاق الذى كان يضطرم بين قبائل البربر التى يتألف منها معظم الجيش ، وكان الكثير منهم يتوق إلى الانسحاب مؤثراً النجاة بغنائمه الكثيرة ، ذلك أن المسلمين قد استصفوا ثروات فرنسا الجنوبية أثناء سيرهم المظفر ، ونهبوا جميع كنائسها ، وأديارها الغنية ، وأثقلوا بما لا يقدر ، ولا يحصى من الذخائر ، والغنائم ، والسبى .

فكانت هذه الأثقال النفسية تحدث الخلل فى صفوفهم ، وتثير بينهم ضروب الخلاف والنزاع ، وكانت من الأسباب الرئيسية فى تغيير سير المعركة[1] .

---

(١) تظهر روح الصليبية واضحة من تعليق المؤرخين على نتيجة هذه المعركة ، واليك نموذجا منها يقول « السير ادوارد كريزى » : « ان النصر العظيم الذى ناله « كارل مارتل » على العرب سنة ٧٣٢م وضع حدا حاسما لفتوح العرب فى غرب أوربا ، وأنقذ النصرانية من الاسلام » ويقول : « ادوار جيبون » متصورا النتائج لو انتصر العرب فى معركة « بواتيه » : « بل ربما كانت أحكام القرآن تدرس الآن فى معاهد « اكسفورد » ، وربما كانت منابرها

اشتد ساعد نصارى الشمال بعد هذه المعركة ، وحذوا حذو الفرنج فى الاستفادة من تمزق الإسلام فى الأندلس . ونصارى الشمال هم تلك البقية الباقية من « القوط » الذين ارتدوا أمام الفتح الإسلامى إلى ناحية الشمال ، واعتصموا « بجبال اشتوريس » وكان من أعظم أخطاء الفاتحين أنهم لم يعنوا بالقضاء على تلك الفلول ، إلى أن استفحل أمرها ، فـكونت إمارات ، مالبثت أن اشتد ساعدها ، وأخذت تناهض الإسلام ، وتغالبه . وتعمل بكل ما وسعت لاسترداد الوطن القديم .

* * *

ويبدو للباحث أن المسلمين ارتـكبوا عدة أخطاء فى سياستهم فى الأندلس ، كان لها أثر بعيد المدى على انتشار الإسلام فى أوربا ، وإليها يرجع السبب فى ذهاب دولتهم من أسبانيا :

١ — شيوع الأنانية ، وحب الذات بين القادة والأمراء ، والحرص على الدنيا بين كثير من المسلمين . وظهر ذلك فى أول عهدهم بالأندلس ، تلمس ذلك حينما أمر موسى بن نصير طارق بن زياد بالتوقف عن الفتح ، لـكى لا ينسب الفتح كله إلى طارق .

وكذلك فيما تلى ذلك من أحداث ، منها على سبيل المثال ، أن موسى أراد فيما بعد أن يخوض بجيشه سهول أوربا وجبالها فاتحاً ، حتى يصل إلى دمشق من الطرف الآخر للقارة الأوربية ، ولـكن حال دون ذلك ، استدعاء

تؤيد لمحمد صدق الوحى والرسالة . » ويقول : « ان هذه المعركة أنقذت آباءنا البريطانيين وجيراننا الغاليين (الفرنسيين) من نير القرآن المدنى والدينى ، وحفظت جلال رومة ، وأخرت استعباد « قسطنطينية » ، وشدت بأزر النصرانية ، وأوقعت بأعدائها بذور التفرق والفشل » .

ا لحليفة له و لطارق إثر الوشاية بهما فى بلاط دمشق ، وبذلك أسدل الستار على هذا المشروع الخطير . وإذا أردت المزيد من هذه الأحداث التى أثرت على الإسلام والمسلمين فى الأندلس ، فاقرأ كتب التاريخ تنبئك عن خلافات أدت إلى قتل وصلب بين المسلمين أنفسهم ، إرضاء للنفس الأمارة بالسوء ، وإشباعاً لشهوة الحكم .

٢ — نشب الخلاف بين القبائل العربية التى ألقت رحلها فى الأندلس ، فعادت إلى ما كانت عليه قبل الإسلام من التنافر ، والتناحر ، والتقاتل ، زاد عليه ما وقع من خلاف بين العرب والبربر ، فكان المجتمع الأندلسى يموج بخلافات عميقة ، واضطرابات عنصرية . أدت إلى قيام ثورات امتدت عبر تاريخ المسلمين فى الأندلس بين الأمراء والحكام وبينهم وبين الثائرين عليهم ، حتى قضى عليهم جميعاً ، وبالتالى على الإسلام نهائياً فى أسبانيا . وليس غريباً أن تهزم النصرانية الإسلام فى الأندلس ، بل الغريب أن يصمد أمامها ثمانية قرون ، لأن الخلافات التى نشأت بين أبنائه من يوم قيام دولته فى الأندلس ، كانت كفيلة بأن تعجل بهزيمته فى فترة أقصر من ذلك بكثير ! !

٣ — شغلت هذه الخلافات المسلمين عن التفرغ النهائى للفلول القوطية التى فرّت أمام الفتح ، واعتصمت بالجبال الشمالية ، وكونت الإمارات النصرانية ، إذ لم يجرد المسلمون لها حملة للقضاء عليها نهائياً ، بل كانت الحرب بينهم ، وبين هذه الإمارات ، لا تخرج عن كونها حملات تأديبية فقط ، رداً على عدوانهم على الثغور والحصون الإسلامية المتقدمة ، ثم تطور فيما بعد إلى توازن بين الفريقين ، ينتصر المسلمون فى بعضها ، وينهزمون فى البعض

الآخر : ولما دب الضعف فى أوصال المسلمين فى الأندلس رجحت كفة النصارى ، وأصبحوا يقتطعون الثغور ، ويستولون على المدن واحدة بعد الأخرى ، ولولا النجدات التى عبرت من شمال أفريقيا إلى الأندلس لانتهت دولة الإسلام هنالك قبل سقوط غرناطة بقرنين على الأقل .

وقعت معارك كثيرة بين المسلمين والنصارى ، ولكننا سنكتفى بعرض موجز لثلاث فقط :

أولاها : تتعلق « بطليطلة » المدينة التى كان سقوطها بداية استرداد الأندلس من أيدى المسلمين ، وهى أيضاً مسرح المناقشات التى أدت إلى ظهور هذا الكتاب الذى نقدم له .

ثانيها : معركة « الزلاقة » ، لأنها دفعت إلى الدم الإسلامى فى الأندلس جرعة جديدة أحيت شبابه ، فساعدته على الصمود بضعة قرون أخرى .

ثالثها : قرطبة لأنها آخر المعاقل الإسلامية فى الأندلس .

* * *

سقوط طليطلة :

اشتد النزاع بين ملوك الطوائف ، فصار كل منهم يتربص بالآخر ، للاستيلاء على ما تحت يده ، ويبذل كل مافى وسعه للتغلب عليه وسحقه ، ولو كان ذلك عن طريق محالفة ملوك النصارى أعدائهم جميعاً ، فكانت النتيجة أن ضعفوا جميعاً ، وعجزوا عن حماية أنفسهم . واستغل ملك « جليقة » و « قشتالة » النصرانى ضعفهم ، ورأى أن الفرصة سانحة لامتلاك بلدانهم ، وبسط سلطانه عليهم ، فأخذ يهاجم الثغور الإسلامية ، وينتزع المدن والحصون

من أمرائها ، ويفرض عليهم الجزية . وكان ممن أخضعه وألزمه على دفع الجزية أمير « طليطة » المأمون يحيى بن ذى النون .

واستمرت « طليطة » تؤدى الجزية « لفرديناند » الأول ملك «قشتالة» حتى مات ، فقطعها أمير طليطلة مستغلا النزاع الذى حدث بين أولاد « فرديناند » ووقوع الحرب الأهلية بينهم .

هرب أحد أولاد « فرديناند » - وهو ألفونس - إلى « طليطلة » مستجيراً بأميرها المأمون ، فأكرم وفادته وأنزله عنده عزيزاً مكرماً ، وعندما قتل أخوه ، غادر « طليطلة » إلى بلاده ، فاعتلى عرشها . واستغل « ألفونس » الصداقة التى قامت بينه وبين المأمون ، فعقد حلفاً معه ، تعاهدا فيه على الصداقة ، والتعاون المشترك

واعتمد المأمون على هذه الصداقة ، فوجه حملة ضد خصمه المسلم إبن عباد فى قرطبة ، وكان جيشه يضم جنوداً من القشتاليين النصارى ، فاستولى على قرطبة ، ولكنه لم يتمتع بالنصر طويلا ، إذ كان كبير السن ، فداهمه المرض ، ولم يكن له ابن ، فأوصى بالملك لحفيده القادر بن يحيى بن إسماعيل ، وكان قاصراً ، فأقام له مجلس وصاية ، من صديقه ألفونس ، والحارث بن الحكم وبعض الولاة . ولكن هذه الثقة بحليفه لم تقع موضعها ، فنسى ملك قشتالة إيواء « طليطلة » له يوم أن كان طريداً ، وعطفها عليه ، ونسى صديقه المأمون يوم آمنه من خوف ، ولم يذكر العهود التى أعطاها لصديقه ، بأن يرعى الأمير القاصر ، ويحميه . وأبت نفسه إلا أن تشعر بشور العرش ، ومصلحة وطنه ، ضارباً بكل العهود والمواثيق عرض الحائط ، فنجحت عنده مساعى ابن عمار وزير المعتمد ، فارتضى أن يحالف صاحب أشبيلية عدو الملك الذى

هو وصى عليه ، وأن يمده بالمساعدة فى توسعه ، ومحاربة أمراء المسلمين ، ورضى ابن عباد أن يساومه على أبناء ملته ، فيترك يده حرة تتصرف فى طليطلة ، ثم يؤدى له الجزية صاغراً ، لا يجد بها غضاضة فى سبيل مطامعه .

وبينما ابن عباد يزحف بجيشه إلى غرناطة ، ليخضع صاحبها ابن باديس ، إذ « ألفونس » يتهيأ لغزو « طليطلة » ، واحتلالها عام ١٠٧٩ م وكانت قد ثارت على أميرها القادر ابن ذى النون ، لإكثاره فى فرض الضرائب ، إرضاء لشهواته وترفه . أو إشباعاً لمطامع ملك قشتالة .

فجاء « الفونس » إلى « طليطلة » متذرعاً بحجة الدفاع عن حليفه ، فعاث فى ولايتها مخرباً القرى والحصون ، ثم ارتد عنها عندما وصلته الأنباء ، بأن المنصور أمير « بطليوس » خف لنجدتها . ثم عاد « ألفونس » فى العام التالى ينشر الفساد فى بسائطها ، ويستولى على زروعها ، ويدق قلاعها . ومازال يوالى عليها غاراته فى كل عام حتى أضعفها ، وأنهك قواها ، وضيق عليها ، حتى أصيبت بالضيق والفاقة ، ثم سار إليها فى السنة السادسة متوجهاً إلى العاصمة نفسها لحاصرها ، ومنع عنها كل صلة ومدد ، فاستغاثت المدينة بأمير « بطليوس » ، فأمدها بجيش على رأسه ولده المفضل ، ولكنه لم يصمد أمام قوات « ألفونس » الساحقة ، فانهزم مدحوراً . ولم يبق للقادر أمل فى النجاة ، وكان الجوع يهدد المدينة ، نخشى أن يثور عليه الشعب ويقتله ، فبعث إلى « ألفونس » يطلب الصلح على أن يؤدى الجزية ، ويكون تابعاً له ، فرفض « ألفونس» ، وطالبه بفتح أبواب المدينة ، وتسليمها ، واعداً بأن يحافظ على أرواح المسلمين ، ومقتنياتهم ؛ وأن يترك لهم المسجد الجامع يصلون فيه ، وألا يعارضهم فى دينهم وشرائعهم . وخيرّهم فى البقاء أو الهجرة ، فمن أحب

البقاء يؤدى الجزية ، كما يؤديها المسيحيون فى بلاد المسلمين ، ومن آثر الهجرة يسمح له بأن يحمل أمواله حيث يشاء . وضمن للقادر أن يدع له إمارة بلنسية يتصرف فيها ، ولا يبخل عليه بالمساعدة ، إذا احتاج إلى الدفاع عنها .

وفى الخامس والعشرين من مايو ١٠٨٥ م (أول صفر ٤٧٨ هـ) دخل « ألفونس » السادس ملك « قشتالة » ، و « لاون » ، و « جليقة » ، و « طليطلة » ، عاصمة « القوط » القديمة ، تتقدمه مواكب النصر ، وتحيط به مظاهر العظمة ، والأبهة والجلال . وبذلك انتزع من المسلمين إحدى قواعد الأندلس الكبرى ، التى تتحكم فى استراتيجيتها ، إذ كان موقعها على نهر « التاجه » ، يعد من أقوى المواقع دفاعياً ، فكانت بذلك حصن الأندلس الشمالى ، والسد المنيع الذى يرد عادية النصرانية . فجاء سقوطها ضربة شديدة لمنعة الأندلس وسلامتها .

وانقلب ميزان القوى القديم فبدأت قوى الإسلام تفقد تفوقها فى شبه الجزيرة ، بعد أن استطاعت أن تحافظ عليها زهاء أربعة قرون ، وأضحى تفوق القوى النصرانية أمر لا شك فيه . ومن ذلك الحين تدخل سياسة الاسترداد الأسبانية فى طور جديد قوى ، وتتقاطر الجيوش « القشتاليه » لأول مرة منذ الفتح الإسلامى ، عبر نهر « التاجه » إلى أراضى الأندلس ، تحمل إليها أعلام الدمار والموت ، وتقطع أشلاءها تباعا ، فى سلسلة لا تنقطع من الغزوات والحروب .

* * *

معركة الزلاقة :

اغتر ملك « قشتالة » بعد سقوط « طليطلة » فتوغل فى أراضى المسلمين وزحف بجيوشه يضرب ولايات الأندلس ، فاستولى على « قورية » ، من بنى « الأفطس » ، وأغار على بسائط « أشبيلية » فأثخن فيها ، وأحرق قراها وحقولها ، ثم ارتد إلى قلعة سرقسطة يريد فتحها ، فضرب حولها حصاراً شديداً ، وأعمل الحديد والنار فى ولايتها فدافعت عاصمة الدولة الهودية عن نفسها دفاع المستميت المستبسل . ولكن الأسبانيين ضيقوا عليها ، فراحت تستغيث بجاراتها المسلمة . غير أن ملوك الطوائف كانوا ضعافاً متمزقين ، ينظرون إلى الموقف منخلعة قلوبهم هلعا ، لا يستطيعون حراكاً ، لأن الخلافات أنهكتهم ، وبددت قواهم .

أضحت الأندلس على وشك الفناء ، ولاح فى الأفق أن دول الطوائف المنهوكة ، الممزقة ، سوف تسقط تباعا فى يد عدوها القوى ، وساد الفزع والتوجس يومئذ جنبات الأندلس كلها ، حتى قال شاعرهم :

يا أهل الأندلس شدوا رحالكم	فما المقام بها إلا من الغلط
السلك ينثر من أطرافه وأرى	سلك الجزيرة منثوراً من الوسط
من جاور الشر لا يأمن بوائقه	كيف الحياة مع الحيّات فى سفط

أدرك ملوك الطوائف أن الموقف خطير ، وأن الدائرة ستدور عليهم جميعاً ولا يمكن لأحد منفرداً أن يقف أمام هذا العدو ، فلابد من الاتحاد كى يستطيعوا وقف توغله فى الأراضى الإسلامية . فتداعوا إلى مؤتمر يعقدونه فى مملكة ابن عباد ، أعظمهم دولة ، فاجتمعوا فى « أشبيلية » ثم

« قرطبة » واتفقوا على ضم جهودها لدفع المغير ، وإنقاذ « سرقسطة » بيد أنهم لم يكونوا واثقين بالنصر ، لما يعلمونه من ضعف قواهم إزاء القوات الأسبانية ، فاتجهوا بأبصارهم إلى ما وراء البحر يستغيثون بالمرابطين ، وهم يومئذ فى عنفوان دولتهم ، وأميرهم يوسف بن تاشفين يبسط سلطانه على أمم المغرب من المحيط غربا حتى تونس شرقاً ، وكان صاحب شوكة وسلطان ، يسيطر على شعب خشوشن الأبدان ، يستطيب الحرب والكفاح ، لم ينغمس فى الترف والملذات ـ كأهل الأندلس ـ لتخور عزائمه ، فيتقاعد عن القتال .

تلقى أمير المرابطين دعوة أمراء الطوائف فى الأندلس لنجدتهم ، فحشد جيشاً قوامه خمسين ألفاً فى « سبته » ، ثم اجتاز المضيق إلى الجزيرة الخضراء فى شهر ربيع الآخر سنة ٤٧٩ هـ (أغسطس ١٠٨٦ م) وبعد استقبال الأمراء له ، واستعداد الجيوش للقتال جاءت الأنباء أن « الفونس » زاحف بقواته إلى « بطليوس » فنشط المسلمون إلى ترتيب صفوفهم ومعسكراتهم ، وتولى أمراء الأندلس قيادة جنودهم .

خطب يوسف بن تاشفين وابن عباد فى أصحابهما ، وقام الفقهاء يحضونهم على الثبات ، ويحذرونهم من الفشل . ثم جاءت الطلائع تخبر أن العدو مشرف عليهم صبيحة يومهم وهو يوم الأربعاء ، فخرج المسلمون مبكرين ، وأخذوا مصافهم وأقبلت الجيوش الأسبانية بخيلها ، ورجلها تملأ الفضاء ، فنزلت على بضعة أميال من بطليوس ، فى سهل تتخلله الغابات يعرف باسم الزلاقة (Sacratias)وعسكرت تجاهها الكتائب الأندلسية ،يفصل بينهما نهر صغير .

أقام يوسف بن تاشفين معسكره وراء أكمة عالية ، منعزلا عن معسكر الأندلسيين ، فلما أخذت الجنود مواقعها ، أرسل زعيم المرابطين إلى « الفونس » ، يعرض عليه الدخول فى الإسلام ، أو تأدية الجزية ، أو مباشرة القتال ، ومن جملة ما قاله فى كتابه إليه :

« بلغنا يا « ألفونس » أنك دعوت إلى الاجتماع بنا ، وتمنيت أن يكون لك سفن تعبر فيها البحر إلينا ، فقد عبرنا إليك ، وقد جمع الله فى هذه الساحة بيننا وبينك ، وسنرى عاقبة دعائك ، وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال » .

فلما اضطلع « ألفونس » على مضمون الكتاب رماه إلى الأرض غاضباً وقال للرسول :

« إذهب فقل لمولاك ، إننا سنلتقى فى ساحة الحرب » .

ولم يشأ العاهل الأسبانى أن يبدأ القتال دون أن يلجأ إلى بعض الخدائع المعروفة عنه ، فأرسل إلى يوسف بن تاشفين ، مقترحاً عليه عدم البدء بالقتال غداً ، يوم الجمعة ، لأنه العيد الأسبوعى للمسلمين ، ولا السبت لأنه يوم اليهود ، وفى كلا المعسكرين كثير منهم ، ولا الأحد لأنه يوم النصارى ، واللقاء فى المعركة يكون يوم الاثنين .

استحسن الأمير المغربى هذا الاقتراح ، ولكن ابن عباد شك فى الأمر ، لأنه يعرف الكثير من مكائد « ألفونس » ، فبعث عيونه بالليل يتجسسون حركات الأسبانيين ، فعادوا يخبرونه أنهم سمعوا ضوضاء الجيوش ، ورنين الأسلحة فبعث إلى يوسف بن تاشفين يطلعه على الأمر ويستحث نصرته .

قسم « ألفونس » جيشه إلى قسمين ، ودفع بالقسم الأول ، ليباغت الأندلسيين ، وإذا بفرسان المرابطين يصدونهم ، ويكسرون هجومهم ، ولم يكن الأسبانيون ينتظرون هذه المفاجأة ، فارتدوا إلى خط دفاعهم الثانى ، ثم أصلحوا أمرهم ،وعاودوا الكرة على المرابطين ، وحمل معهم «ألفونس» بسائر جيشه يخترق فرسانه المدرعون بالحديد الخطوط الأندلسية . وكانت الحملة عنيفة ، لم يصمد أمامها أمراء الأندلس ، فتراجعوا مقهورين ، ثم ركنوا إلى الفرار ، فطاردهم المسيحيون ، إلى أسوار « بطليوس » ، ولم يثبت فى الميدان إلا فرسان « أشبيلية » وأميرهم ابن عباد والفرسان المرابطون ، وقائدهم داود ابن عائشة ، وأظهروا من ضروب البسالة مايملأ النفس إعجاباً ، فجاهدا بفرسانهما أروع جهاد ، حتى لم يبق أمل من الدفاع ، ارتدا بأصحابهما إلى الأسوار ، ملتحقين بأمراء الأندلس الذين انهزموا فى بدء المعركة ، وتتبعهم « ألفونس » بالمطاردة ليجهز عليهم ، وظن أن الهزيمة لحقت بالمسلمين ، وأن يوسف بن تاشفين من جملة المندحرين . وبينما هو غارق فى هذا الظن ، إذا بالصرخة تتعالى وراءه فى معسكره ، وقرع الطبول يتجاوب فى الهواء ، وكان زعيم المرابطين قد خرج بجنوده ، وانقض على معسكر الأسبانيين فأوقع بحاميته ، وأحرق الخيام ، واستولى على مافيها من الذخائر والأسلحة .

ارتد « ألفونس » لينقذ معسكره ، ودارت بينه وبين يوسف بن تاشفين معركة حامية رجحت فيها كفة المسلمين ، فارتد المسلمون الذين انهزموا فى بدء المعركة وفيهم ابن عباد ، وداود ابن عائشة بفرسانهما ، فاشتدت عزائم المسلمين حين لاحت بوادر النصر لهم . وأطبقوا على الأسبانيين ، فحصروهم بين فكى الجيوش الإسلامية ــ يوسف بن تاشفين فى قواته من جانب ،

والأمراء الأندلسيين من الجانب الآخر – وبدأت سيوف الإسلام تحصدهم من الأمام والوراء ، حتى دنت ساعة الغروب ، وكره يوسف بن تاشفين أن يأتي الظلام ، ويفصل بينه وبين النصارى دون أن يجهز عليهم ، فأمر فرقة من رجاله – وعدتهم أربعة آلاف – فترجلوا عن مطاياهم ، بأيديهم السيوف ، والدرق ، ومزاريق الزان ، فاقتحموا خيول الأسبانيين ، وأعملوا الطعن في بطونها ، وصدورها ، فازورت بفرسانها ، وفرّت من الميدان من ألم الجراح. وحملت جيوش المسلمين حملة صادقة ، فانهزم الأسبانيون ، واستمر القتل فيهم، فلم يفلت منهم غير طويل العمر .

خسر الأسبانيون أكثر جيوشهم في هـذه الموقعة ، وكذلك كانت خسارة المسلمين جسيمة ، لأن الضائقة لزمتهم معظم النهار ، بيد أنهم وجدوا تعزية في النصر البهيج ، فأقاموا مهرجان الفرح مساء يومهم ، وبعث المعتمد ابن عباد حمامة إلى عاصمته تحمل رسالة البشرى لولده الرشيد ، فقرئت على الناس في المسجد الجامع ، واحتفلت « أشبيلية » بالنصر في اليوم نفسه ، على مابينها وبين « بطليوس » من البعد . وبات الجيش ليلته في ميدان القتال حتى تنفس الصبح فصلوا صلاة الشكر لله العلي الجليل ، على ما وهبهم من النصر المبين .

وانتهت معركة « الزلاقة » بيوم واحد ، هو الجمعة ٢٣ ديسمبر ١٠٨٦ م ، فدوّنت حدثاً عظيما في تاريخ الإسلام ، ولـكنها لم تجتث الداء الذى سرى في أوصال الأمة الإسلامية في الأندلس ، فأضعفها ، وأنهك قواها ، ألا وهو الاختلاف على السلطة ، فقد كان الخلاف بين أبناء هـذه الأمة في تلك

الظروف العصيبة يذهب إلى حد التضحية بأقدس المبادىء وأسمى الاعتبارات، وكانت وشائج القومية والدين، والخطر المشترك، كلها تغيض أمام الأطماع الشخصية الوضيعة. ذلك أن ملوك الطوائف توجسوا خيفة من أطماع يوسف ابن تاشفين فى الأندلس، إذ كانوا يعتقدون أنه جاء لنجدتهم فقط، فإذا انتهت هذه المهمة، شدّ رحاله راجعاً إلى بلاده، ولكنه أظهر بعد المعركة أنه لا يريد ترك الأندلس لهم فنشبت الخلافات بينهم وبينه، فحال ذلك دون استرداد ما استولى عليه النصارى قبل ذلك، ومنها « طليطلة » التى سبق الكلام عنها. غير أن دولة الإسلام بقيت فى الأندلس بقيادة المرابطين حتى عام ٥٤٠ هـ (١١٤٦ م) عندما انهارت دولتهم فى أفريقيا أمام الموحدين، الذى جازوا على الأندلس، وأخذوا يستولون على ثغورها ومدنها من المرابطين.

حافظ المسلمون على قوتهم فى الأندلس فى عصر الموحدين، إلى أن قضى بنو مرين على دولتهم فى أواخر عام ٦٦٧ هـ (١٢٦٩ م)، فانتهت دولة الموحدين فى المغرب، كما انتهت فى الأندلس، بعد أن عاشت زهاء قرن وثلث، وقامت مكانها دولة بنى مرين تسيطر على أنحاء المغرب الأقصى كله، وتستقبل عهداً جديداً من القوة والسلطان.

انهارت قوى المسلمين فى الأندلس بعد ذهاب دولة الموحدين، بل قبل ذلك، عندما دبّ الضعف فى أوصالها، بالذات بعد إحراز أسبانيا النصرانية لفوزها الحاسم على الموحدين فى موقعة العقاب عام ٦٠٩ هـ. ومنذ ذلك الحين تجتاح أسبانيا المسلمة موجة عاتية من الغزو النصرانى، وتسقط قواعد الأندلس التالدة شرقاً وغرباً فى يد النصارى، فسقطت جزيرة « ميورقة »

(٦٢٧ هـ - ١٢٢٩ م) ، « وأبذة » (٦٣١ هـ - ١٢٣٣ م) ، ثم « قرطبة » (٦٣٣ هـ - ١٢٣٦ م) ، « وبياسة » « وأستجة » « والمدور » (٦٣٤ هـ - ١٢٢٧) ، « وبلنسية » (٦٣٦ هـ - ١٢٣٨ م) « وشاطبة » « ودانية » (٦٣٨هـ - ١٢٤٠) « ولقنت» «وأريولة » «وقرطاجنة» (٦٤٠هـ -١٢٤٢م) ، « ومرسية » (٦٤١ هـ -١٢٤٣ م) ، « وجيان » (٦٤٤ هـ - ١٢٤٦ م) ثم « أشبيلية » (٦٤٦ هـ - ١٢٤٨ م) ، واجتاحت غرب الأندلس فى الوقت نفسه موجة مماثلة من الغزو النصرانى ، فسقطت « بطليوس » (٦٢٦ هـ - ١٢٢٨م) « ومادة » (٦٢٨هـ - ١٢٣٠م) « وشلب» (٦٤٠هـ - ١٢٤٢م)، « وشنتمرية » الغرب (٦٤٧هـ - ١٢٤٩ م) «وولبة » (٦٥٥هـ - ١٢٥٧م)، ثم سقطت « قادس » فى سنة ١٢٦٢ م وتلتها « شريش » فى سنة ١٢٦٤ م . وهكذا لم يأت منتصف القرن السابع الهجرى (القرن الثالث عشر الميلادى) حتى كانت ولايات الأندلس الشرقية والوسطى كلها ، قد سقطت فى يد أسبانيا النصرانية ، ولم يبق من تراث الدولة الإسلامية بالأندلس سوى بعض ولايات صغيرة فى طرف أسبانيا الجنوبى .

وأخذت الأندلس عندئذ ، تواجه شبح الفناء مرة أخرى ، وطافت بالأمة الأندلسية التى احتشدت يومئذ فى الجنوب فى بسيطها الضيق ، ريح من التوجس والفزع ، وعاد النذير يهيب بالمسلمين ، أن يغادروا ذلك الوطن الخطر الذى يتخاطف العدو أشلاءه الدامية ، وسرى إلى الأمة الأندلسية شعور عميق بمصيرهم المحتوم .

ولـكن شاء القدر أن يرجىء هذا المصير بضعة أجيال أخرى ، وشاء أن

يسمغ على الدولة الإسلامية بالأندلس، حياة جديدة فى ظل مملكة «غرناطة»،
تلك المملكة التى استطاعت أن تحافظ على قوة المسلمين نوعاً ما فى الأندلس،
حتى تكالبت عليها قوى النصرانية، واستغاثت بالمسلمين فى الطرف الآخر،
ولكنهم لم يلبوا استغاثتها، لضعفهم، وانشغالهم عنها بأمورهم الداخلية،
فسقطت تحت سنابك خيل المعتدين.

سقوط غرناطة :

لم يبق فى أيدى المسلمين من الأندلس العربية بعد انهيار دولة الموحدين
وسقوط «قرطبة»، «وبلنسية»، «وأشبيلية»، وسواها من المدن
والقلاع، إلا مملكة «غرناطة». ويشمل حكمها «كورة ألبيرة»
(Elvira) ومنها قطر «لوشة» (Loja) على نهر «غرناطة»، المعروف
بنهر «شنيل» (Xcinuecar)، وجبال «البشرات» (Alpujarras)
«وبسطة» (Baza)، وأشهر مدنها التجارية على ساحل البحر مالقة
(Malaqu) «وألمرية» (Alméria).

نشأت هذه الدولة فى ظل ظروف صعبة، إذ كانت الحرب الأهلية قد
مزقت الأندلس عقب انهيار دولة الموحدين، فعمت الفوضى، وكثر الفساد
ولكن عزيمة محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس
الخزرجى، الملقب بابن الأحمر، استطاعت أن تتغلب على كل عقبة فى
تكوين تلك الدولة. ولعب موقعها الجغرافى، والأحداث التى وقعت فى
ذلك العصر دوراً كبيراً فى قيامها وبقائها مدة مائتين وخمسين عاماً أخرى

بعد أن سقطت ولايات الأندلس فى يد النصارى ، ويمكن أن نلخص العوامل التى ساعدتها على الحياة هذه المدة فيما يلى :

١ — الموقع الجغرافى ، ذلك أن القواعد والثغور الجنوبية التى تقع فيما وراء نهر الوادى الكبير ، آخر الحواجز الطبيعية بين أسبانيا النصرانية ، وبين الأندلس المسلمة ، كانت أبعد المناطق عن متناول العدو ، وأمنعها ، وكانت فى الوقت نفسه أقربها إلى الضفة الأخرى من البحر ، إلى عدوة المغرب ، وشمال إفريقيا ، حيث تقوم دول إسلامية شقيقة ، وحيث تستطيع الأندلس وقت الخطر الداهم أن تستمد الغوث والعون من إخوانها فى الدين ، وقد كان لها فى ذلك منذ أيام الطوائف أسوة .

٢ — انشغل الملوك الأسبان عنها بمحاربة بعضهم بعضاً ، واستمرت الحرب بينهم حتى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى .

٣ — اعتاد الملوك الأسبان على ابتزاز أموال المسلمين ، فكانوا يجدون لذة فى ضرب الجزية عليهم ، واعتبارهم من أتباعهم ، فقد عاون ابن الأحمر ، النصارى ، فى الاستيلاء على ثغر « قادس » ، وبذل لهم ما استطاع من العون المادى ، والأدبى ، ضد الأمراء المسلمين ، وذلك طبقاً لاتفاق عقد بينه وبين ملك « قشتالة » يقضى بأن يترك ابن الأحمر ، يحكم مملكته ، وأراضيه باسم ملك « قشتالة » ، وفى ظله ، على أن يؤدى ابن الأحمر جزية ، سنوية ، قدرها مائة وخمسون ألف قطعة من الذهب ، وأن يعاونه فى حروبه ضد أعدائه ! !

٤ — كان المملكة مكتظة — على ضيق مساحتها — بالسكان ، لأن معظم

المسلمين الذين هاجروا من الولايات الأندلسية ، التى احتلها النصارى لجأوا إليها ، واتخذوها مقراً ، فاجتمع فيها عدد كبير من المحاربين الشجعان ، كانت تستعين بهم فى رد عدوان النصارى ، عندما كانوا ينقضون عهد الأمان ، وكثيراً ما كان يحدث منهم ذلك .

٥ — كانت إذا أحست بالخطر ، وشعرت بالخناق يضيق عليها ، استصرخت سلاطين المغرب ، وفى مقدمتهم بنو مرين ، فيرسلون إليها بالجنود الشجعان ، لرد المعتدين عن أرضها .

كان لهذه العوامل كلها أثر كبير فى بقاء مملكة « غرناطة » ، إلى أن تغير الوضع الدولى آنذاك ، إذ استطاع البابا « إينوسان » الثالث ، أن يصلح بين الملوك الأسبانيين ، ويؤلف قلوبهم ، ويحثهم على محاربة المسلمين ، ودفع سقوط « قسطنطينية » فى الشرق فى أيدى العثمانيين سنة ١٤٥٣ م ، النصارى فى أوربا ، على مساعدة ملوك أسبانيا ، للقضاء على الإسلام فى الأندلس .

أضف إلى ذلك ماأصاب دولة بنى مرين من ضعف ، أعجزها عن تقديم المساعدة للمستغيثين بها من الأندلسيين ، ورافق ذلك تضعضع فى أحوال غرناطة من جراء خلافها الداخلى ، وانقسامها أحزاباً تحترب ، وتتصارع ، ويفزع بعضها إلى النصارى لمقاومة البعض الآخر ، فمهدوا السبيل للنيل منهم ، وتغلب العدو على مدنهم وقلاعهم . وكان من أخطر تلك الخلافات ماوقع فى قصر الحمراء من دسائس النساء ومكايدهن ، ذلك أن السلطان أبا الحسن عليا ابن الأحمر ، كان رجل لذّات وشهوات ، فأهمل رعاية الجيش ، وأقدم على قتل كبار القواد ، ليأمن انتفاضتهم ، ثم سلم زمام الحكم لوزيره ، واحتجب

فى قصره عن الناس ، ليتفرغ لنسائه وملاهيه ، فأغضب العامة والخاصة ، وتمخض الأمر عن اندلاع ثورة ، بايعت أخاه أبا عبد الله محمداً . الملقب بالزغل ، ونشبت الفتنة بين الأخوين ، ولكنها انتهت بإخضاع الزغل .

غير أنه مالبث أن نشأ خلاف ، أشد منه وأنكر ، خلاف بين الابن وأبيه ، ومنشؤه أن أبا الحسن وقع فى غرام جارية أسبانية ، أسلمت ، وتسمت بالثريا ، استولت على إرادته فحملته على أن يتزوجها ، وتبوأت عنده المنزلة الأولى ، فجعل ولاية العهد لبعض أولادها ، فاشتعلت الغيرة فى صدر زوجته عائشة وهى ابنة عمه السلطان الأيسر . ومازالت الثريا تحرض السلطان أبا الحسن على عائشة وولديها حتى أمر السلطان باعتقالهم . أثار هذا التصرف غضب كثير من الكبراء ، الذين يؤثرون الأميرة الشرعية وولديها بعطفهم وتأييدهم ، فكان نذير الاضطراب فى المجتمع الغرناطى ، وانقسم الزعماء إلى فريقين خصيمين ، فريق يؤيد الأميرة الشرعية وولديها ، وفريق يؤيد السلطان وحظيته ، واستأثر الفريق الأخير بالنفوذ مدى حين .

عمدت الأميرة عائشة إلى الاتصال بعصبتها وأنصارها ، فساعدوها على الفرار من السجن مع ولديها. اختفى الفارون حينا حتى قويت دعوتهم ، وانضم إليهم كثير من أهل « غرناطة » ، وكان اسم عائشة ، ورفيع خلالها ، وقصة فرارها الجرىء ، تثير أيما عطف وإعجاب .

ظهر ولدها الفتى محمد أبو عبدالله فى وادى آش ، حيث جمع عصبته وأنصاره وغلبت دعوته ، فنشبت الثورة فى « غرناطة » ، ولم يستطع أبوه مواجهتها ، لسخط العامة على سياسته الداخلية ، ففر إلى « مالقة » ، وكان بها أخوه الزغل.

جلس أبو عبدالله محمد مكان أبيه على عرش « غرناطة » فى أواخر عام ٨٨٧ هـ وأطاعته « غرناطة » ووادى « آش » ، وغيرهما . ولم يبق غير « مالقة » والناحية الغربية تحت نفوذ أبيه .

التقى الابن والأب فى معارك طاحنة ، واضطرمت نار الحرب الأهلية بين المسلمين ، وكان ملك « قشتالة » يرقب الأحداث ، فلاحت له الفرصة للغزو ، ورأى أن الوقت قد حان للقضاء على آخر معقل للإسلام فى الأندلس، تنفيذاً لبعض شروط عقد الزواج المعقود بين «فرديناند» ملك «أرجوان»، « وإيزابيلا » ملكة « قشتالة » التى تنص على إدماج مملكتيهما فى مملكة واحدة ، لتحارب المسلمين وتخرجهم من أسبانيا .

قصد المسيحيون « مالقة » ، « وبلش » فى نحو ثمانية آلاف ، فقاومهم الزغل وأوقع بهم خسائر فادحة ، ولما علم أبو عبد الله أن عمه أحرز نصراً على النصارى ، أحب أن يكون له قسط من الجهاد الوطنى والدينى – وكان يقاتل قوات أبيه فى ذلك الحين وتغلب عليها – فحشد قواته ، وخرج لقتال الأسبانيين ، فتجمع عليه الأسبان ، فهزموه ، وأخذوه أسيراً .

أجمع أمراء « غرناطة » على إرجاع والده ، وكان قد ذهب بصره ، فرفض أن يقوم بأعباء الملك ، وهو على هذه الحال ، فأشار عليهم أن يبايعوا أخاه الزغل ، فبايعه الأندلسيون ، وقدموا له فروض الطاعة .

خاض المسلمون بقيادة الزغل معارك طاحنة ضد النصارى الذين أغاروا على غرب « مالقة » فى عام ٨٩٠هـ (١٤٨٥م) وحاصروا رندة ، وهدموا أسورها . وفى أثناء ذلك ، أراد «فرديناند» أن يضرب المسلمين بعضهم ببعض ، ويستفيد من شقاقهم وتحاربهم ، فبعث إلى عبد الله – وهو أسير عنده – فحضر إليه ، واتفق معه على أن يطلق سراحه ، ويساعده على استرداد عرشه من عمه ، وأمده بالجنود والمال اللازم ، فثار عبد الله يطلب العرش ، وانضم إليه أهل « البيازين » ، وهو حى من أقدم أحياء « غرناطة » ، يتفشى الجهل بين

سكانه ، وتبعهم بعض أهل «غرناطة» ، بدعوة أنهم يرجون الصلح مع المسيحيين على السلطان الأمير أبى عبد الله ، لما رأوا من عطف القشتاليين عليه ، فوقعت الفتنة بين المسلمين .

ثم جاء السلطان أبو عبد الله إلى «لوشة» ، فظن أهلها أنه أتى لمصالحة عمه الزغل ، وإذا صاحب «قشتالة» يدهم «لوشة» بجيش كثيف فيحاصرها ، فخف أهل «البيازين» إلى نصرة السلطان أبى عبد الله ، ولكنهم مالبثوا أن تبين لهم أنه كان على اتفاق مع الملك الأسبانى ففتحت «لوشة» أبوابها «لفرديناند» عام ٨٩١ هـ ، وهاجر أكثر أهلها إلى غرناطة ، أما عبد الله ، فبقى مع الأسبانيين ، فصدقت شائعة تحالفه معهم .

استمر «فرديناند» فى محاربة الزغل ، فأخذ منه حصونه وقلاعه واحدة بعد الأخرى ، وهو يظهر الصداقة لأبى عبد الله ، ويدعى مناصرته على عمه ومنافسه فى الملك .

وكان غرضه الرئيسى عزل «غرناطة» عن جميع المدن والولايات الإسلامية فيسهل عليه امتلاكها إذا حاصرها ، ويحول دون وصول النجدات إليها ، ولا يخفى مافى هذه الخطة من دهاء وحسن تدبير .

وعندما سقطت أمام «فرديناند» جميع الحواجز التى كانت تعوق زحفه إلى «غرناطة» كتب إلى عبد الله يستنزله عنها ، واعداً إياه بأن يضعه تحت حمايته ، ويعطيه مالا جزيلا ، ولكنه لم ينتظر الجواب ، بل داف إليه بجنوده لينجز الأمر سريعاً .

جمع أبو عبدالله أعيان المدينة وقوادها ، وأطلعهم على كتاب «فرديناند»

فأجمعوا رأيهم على الجهاد ، فأرسل عبد الله إلى فرديناند يبلغه رفض طلبه واستعداده لقتاله .

نزلت قوات «فرديناند» أمام المدينة ، وضربت الحصار حولها ، وأمرت «إيزابيلا » زوجة «فرديناند» ببناء مدينة مقابلة لها ، لأنها رأت أن الحصار سيطول ، فبنيت المدينة ، وأطلق عليها « شنتفى » (Sante-Fe) أى الإيمان المقدس .

صبرت « غرناطة على الحصار ، وقصف مدافع العدو ، ولكن المؤونة لم تكن تكفيها سوى مدة قصيرة ، وليس لها باب مفتوح إلا من ناحية جبل « شلير » تأتيها منه المؤونة رشحا ، لوعورة المسالك ، فكان الضيق يدفع أهلها حينا بعد آخر إلى ترك الأسوار والحصون ، لمنازلة العدو ، فتقع معارك دامية ، يستبسلون فيها مقاتلين قتال الضوارى ، فيسيل مرج «غرناطة» دما ، ويكتسى بالجثث والسهام . ولما اشتد الجوع على المسلمين ، دعا السلطان أبو عبدالله رجال الدولة وأهل الشورة يستطلع آراءهم فيما ينبغى عمله، فاتفقوا على إسلام البلد حفاظاً على النفوس أن تهلك حيث لا يجدى الهلاك . فاختاروا وفداً من رؤساء الجند للمفاوضة ، فخرجوا إلى معسكر الأسبانيين ، فاستقبلهم « فرديناند » و « إيزابيلا » بحفاوة ، فعرضوا عليهما إسلام العاصمة ، على شروط الأمان للمسلمين ، فقبل العاهلان دون تردد ، أن تفتح المدينة أبوابها صلحاً ، ووضعت معاهدة الاستسلام ، وهى تتضمن سبعة وستين شرط منها :

لا يجوز للجنود المسيحيين أن يدخلوا المساجد ، إلا بإذن من الفقهاء وتبقى

المساجد والأوقاف كما كانت ، ولا يمنع مؤذن ، ولا مصلّ ، ولا صائم عن أموره الدينية ، وكل مسيحى يضحك منهم فى أثناء إقامة شعائرهم يعاقب . لا يقسر من أسلم من النصارى على الرجوع إلى دينه ، أما من تنصر من المسلمين ، فإنه يوقف أياماً ، حتى يظهر حاله ، ويحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصـارى ، فإن أبى الرجوع إلى الإسـلام يترك على ما أراد ... إلخ .

وقّع « فرديناند » و «إيزابيلا» على هذه الشروط ، ثم وقّع على التسليم أبو عبد الله فتوقفت الأعمال الحربية فى ديسمبر سنة ١٤٩١ م (صفر ٨٩٧هـ) وفى ٢ يناير سنة ١٤٩٢م (٢ ربيع الأول ٨٩٧ هـ) فتحت « غرناطة » أبوابها ، ودخلها الملـكان الـكاثوليـكيان فى موكب حافل ، فساروا إلى الحمراء ، بعد أن غادر قلعتها أبو عبد الله ، مجتازاً ساحة الأسود ، كسيراً ، مختلع الفؤاد ، يسير مطرقا إلى منفاه وبجانبه أمه عائشة صامتة ،قاطبة، والناس وقوف فى الشوارع ، والشرف يشيعونه بأنظارهم منقبضين ، ما بين راحم ، وناقم ، حتى إذا انعطف به الطريق ، وكادت الحمراء تتوارى عنه ، أرسل إليها النظرة الأخيرة ، وهطلت عيناه بالدموع ، فالتفتت إليه أمه ، وقالت له بحرارة الشامت المتألم :

إبك مثل النساء ملـكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثـــل الرجال

وهكذا سقط آخر معقل من معاقل الإسلام فى الأندلس ، وضاعت دولة المسلمين هناك إلى الأبد ، ولم يبق إلا تاريخها ، عبرة لمن تدبر ، وتعلم ، وأنات الشعراء الذين رثوها ، تهيج مشاعر المسلمين ، وتذكرهم بما حدث

لإخوانهم فى الأندلس ، فيأخذون حذرهم ، حتى لا يلقوا نفس المصير ، وإليك أبيات من هذا الرثاء :

فواحسرتا كم من مساجد حولت ... وكانت إلى البيت الحرام شطورها
ووا أسفا كم من صوامع أوحشت ... وقد كان معتاد الأذان يزورها
فمحرابها يشكو لمنبرها الجوى ... وآياتها تشكو الفراق وسورها
وكم طفلة حسناء فيها مصونة ... إذا أسفرت يسبى العقول سفورها
فأضحت بأيدى الكافرين رهينة ... وقد هتكت بالرغم من ستورها
وكم فيهم من مهجة ذات ضجة ... تود لو انضمت عليها قبورها
لها روعة من وقعة البين دائم ... أساها وعين لا يكف هديرها
وكم من صغير فى حجــــر أمه ... فأكبادها حراء لفح هجيرها
وكم من صغير يدل الدهر دينه ... وهل يتبع الشيطان إلا صغيرها

* * *

— ٢ —

نشبت معارك كلامية ـ بجانب المعارك العسكرية ـ حول الإسلام والمسيحية وتعاليم كل من الدينيين ، وكانت تشتد فى المدن التى يسيطر عليها المسيحيون ، وفيها بعض المسلمين الذين اختاروا البقاء فى الوطن الذى نشأوا فيه . فكانت ، هذه الطائفة هدفاً لهجوم منظم من جانب رجال الدين المسيحى ، طبقاً لخطة وضعت لتنصيرهم ، فكانت تعاليم الإسلام موضوع المحاورات ، والمناقشات التى تدور بين القسس وبينهم .

ومن مظاهر ذلك النقاش الكتاب الذى نقدم له ، فقد أعتاد قسيس من

الأسبان ، أن يلقى أسئلة على بعض المسلمين فى مدينة «طليطلة» - بعد سقوطها فى يد النصارى - كى يضعف من عقيدتهم ويخلخل إيمانهم ، ولم يكن هؤلاء المسلمين على قدر من الثقافة الدينية ، تمكنهم من الرد عليه ، ولكن غيرتهم على الدين دفعتهم إلى البحث عمن يستطيع مدهم بإجابة ، تفحم هذا القسيس ، فوجدوا أبا عبيدة الخزرجى[1] . وكان شاباً كثير الاطلاع ، فكان يمدهم بالإجابة التى يردّون بها أسئلة القسيس .

أدرك القسيس ذلك ، فكتب إلى أبى عبيدة كتاباً ، يدعوه فيه إلى اعتناق المسيحية ، مبيناً له - من وجهة نظره - فضائلها ، ومساوىء الإسلام

---

(١) هو أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبى عبيدة (بفتح العين المهملة ، وكسر الباء الموحدة بعدها ياء مثناه) بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الحق الانصارى الخزرجى الساعدى (نسبة الى سعد بن عبادة الصحابى) ، فقيه أندلسى .

ولد فى قرطبة عام ٥١٩هـ (١١٢٥م) كان مشهورا فى شبابه بالذكاء والنبل ، حافظا للحديث ، ملما بالتواريخ والقصص متينا فى الأدب .

تذكر المصادر أنه شارك بوجه ما فى الفتن التى انتابت قرطبة فى عامى ٥٤٠/٣٩هـ (٤٥/١١٤٦م) ، وأسر سنة ٥٤٠هـ (١١٤٦م) ، وبقى أسيرا فى طليطلة الى سنة ٥٤٢هـ (١١٤٧م) ، وفى هذه الفترة ألف هذا الكتاب ، وهو ابن اثنتين وعشرين أو ثلاث وعشرين سنة .

ولا نعلم شيئا عنه بعد هذا التاريخ سوى أنه عاش حياة متقلبة ، فسكن غرناطة مدة ، وبجاية أخرى ، ثم استوطن مدينة فاس ، وأنه كف بصره فى آخر عمره ، وتوفى بفاس عام ٥٨٢هـ (١١٨٧م) .

وله غير هذا الكتاب :

- « آفاق الشموس وأعلاق النفوس » .
- « أشراق الشموس » وهو مختصر لـ « آفاق الشموس .. »
- « نفس الصباح » فى غريب القرآن وناسخه ومنسوخه
- « حسن المرتفق فى بيان ما عليه المتفق فيما بين الفجر وقبل الشفق »
- قصد السبيل فى معرفة آيات الرسول »
- « مقام المدرك فى افحام المشرك »

لكن لم يصلنا منها سوى هذا الكتاب الذى نقدم له .

ـ كما يدعى ـ فرد عليه أبو عبيدة بكتاب ، رد فيه على مزاعمه ، شارحا ما حرفوه من دين الله .

ومن الموضوعات التى دار حولها النقاش :

التثليث عند النصارى .

صلب المسيح .

مشكلة الخطيئة الأولى .

معجزات عيسى عليه السلام .

معجزات الحواريين .

وينسبه البعض الى قرطبة ، مسقط رأسه ، فيقولون : القرطبى وقد ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب بهذا الاسم ، فظن الدارسون أنه القرطبى المفسر المتوفى (٦٧١هـ ـ ١٢٧٣م) ، ولم يعرفوا أن هناك أكثر من عالم ، اشتهر باسم القرطبى : منهم :

القرطبى : البيانى ، المتوفى فى عام ٢٧٦هـ ـ ٨٩٠م ، وهو من أعلام الفقهاء والمحدثين .

والقرطبى : محمد بن أحمد ، المتوفى عام ٣٨٠هـ ـ ٩٩٠م ، وهو قاض محـدث .

والقرطبى : عبد الرحمن بن حسن ، المتوفى عام ٤٤٦هـ ـ ١٠٥٤م ، وكان عالمـا بالقراءات .

والقرطبى : عبد الوهاب بن محمد ، المتوفى عام ٤٦١هـ ـ ١٠٦٩م وكان عجبا فى تحرير القراءات .

والقرطبى : ابن عبد البر المتوفى عام ٤٦٣هـ ـ ١٠٧١م ، وكان من كبار حفاظ الحديث ، مؤرخا وأديبا ، وله مؤلفات كثيرة فى مختلف الفنون من تاريخ ، وفقه ، وحديث وغيرها .

والقرطبى : أحمد بن عمر المتوفى عام ٦٥٦هـ ـ ١٢٥٨م ، فقيه مالكى ، من رجال الحديث .

وغيرهم : ولذا حذفت النسب الى قرطبة من أبى عبيدة ، حتى لا يختلط الأمر على القارىء .

طبيعة المسيح .

خوارق العادات التى تظهر فى الكنائس .

الشرائع فى التوراة والإنجيل .

الطلاق فى المسيحية .

تعدد الزوجات فى اليهودية ، والمسيحية ، والإسلام .

القتال فى الأديان الثلاثة .

تحريف التوراة والإنجيل .

الجزاء الأخروى فى الأديان الثلاثة .

وأورد أبو عبيدة فى رده على القسيس كثيراً من نصوص الكتاب المقدس الذى يقسمه المسيحيون إلى قسمين :

قسم منها : يدعون أنه وصل إليهم بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى عليه السلام ، والآخر يزعمون أنه كتب بالإلهام بعد عيسى عليه السلام، ومجموع الكتب من القسم الأول يطلقون عليها إسم : العهد القديم ، والقسم الثانى يسمونه : العهد الجديد . ومجموع القسمين يطلقون عليه « بيبل » ، وهو لفظ يونانى بمعنى الكتاب ، وهو الاسم المعروف به الكتاب المقدس فى اللغات اللاتينية .

يضم العهد القديم تسعة وثلاثين كتابا :

١ ـ سفر التكوين ، ويسمى : سفر الخليقة أيضاً .

٢ ـ سفر الخروج   ٣ ـ سفر الأحبار ، ويسمى : سفر اللاويين أيضاً .

٤ ـ سفر العدد ٥ ـ سفر التثنية ، ويسمى : سفر الاستثناء أيضاً .

ومجموع هذه الكتب الخمسة يسمى بالتوراة ، وهو لفظ عبراني بمعنى التعليم والشريعة . وقد يطلق اسم التوراة على مجموع كتب العهد القديم كلها مجازاً .

٦ ـ كتاب يشوع (يوشع) بن نون ٧ ـ كتاب القضاة
٨ ـ كتاب راعوث ٩ ـ سفر صموئيل الأول
١٠ ـ سفر صموئيل الثاني ١١ ـ سفر الملوك الأول
١٢ ـ سفر الملوك الثاني ١٣ ـ السفر الأول من أخبار الأيام .
١٤ ـ السفر الثاني من أخبار الأيام ١٥ ـ سفر عزرا
١٧ ـ سفر نحميا ١٨ ـ كتاب أستير
١٨ ـ كتاب أيوب ١٩ ـ المزامير (الزبور)
٢٠ ـ أمثال سليمان . ٢١ ـ كتاب الجامعة .
٢٢ ـ كتاب نشيد الإنشاد . ٢٣ ـ كتاب أشعياء .
٢٤ ـ كتاب أرمياء . ٢٥ ـ مراثي أرمياء
٢٦ ـ « حزقيال . ٢٧ ـ كتاب دانيال .
٢٨ ـ « هوشع ٢٩ ـ « يوئيل .
٣٠ ـ « عاموس (أو عاموص) ٣١ ـ « عوبديا .
٣٢ ـ « يونان . ٣٣ ـ « ميخا .
٢٤ ـ كتاب ناحوم. ٣٥ ـ كتاب حبقوق
٣٦ ـ « صفنيا . ٣٧ ـ « حجي .
٣٨ ـ « زكريا . ٣٩ ـ « ملاخي .

وكان ملاخى النبى ، قبل ميلاد المسيح بنحو أربعمائة وعشرين سنة .

وهذه الكتب كانت مسلمة عند جمهور القدماء المسيحيين ماعدا كتاب استير ، والسامريون لايسلمون منها إلاسبعة كتب :

الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام ، وهى المعروفة باسم التوراة وكتاب يوشع بن نون ، وكتاب القضاة . وتخالف نسخة توراتهم نسخة توراة اليهود .

وهناك كتب أخرى لم يعرف بها ، واستعبدت من نسخة العهد القديم الموجودة بين أيدينا ، وهذه الكتب هى :

١ ـ كتاب باروخ ٢ ـ كتاب طوبيا ٣ ـ كتاب يهوديت
٤ ـ « وزدم ٥ ـ « ايكليزياستكيس ٦ ـ « المقابيين الأول
٧ ـ « المقابيين الثانى .

أما العهد الجديد ، فعشرون كتابا :

١ ـ إنجيل متى . ٢ ـ إنجيل مرقس . ٣ ـ إنجيل لوقا .
٤ ـ إنجيل يوحنا.

ويقال لهذه الأربعة الأناجيل . ولفظ الإنجيل مختص بكتب هؤلاء الأربعة ، وقد يطلق مجازاً على مجموع كتب العهد الجديد ، وهذا اللفظ معرب كان فى الأصل اليونانى (أنكليون) بمعنى البشارة والتعليم[1] .

---

(١) وهذه هى الاناجيل الأربعة التى اعترفت بها الكنيسة ، بعد أن اختارتها من عدد كبير من الاناجيل ، وأصدرت قرارا باعدام ما عداها واتخذت اجراءات صارمة فى تنفيذ هذا القرار ، حتى لم يبق منها سوى انجيل برنابا .

٥ - كتاب أعمال الرسل (الحواريون) ٦ - رسالة بولس إلى أهل رومية .

٧ - رسالته إلى أهل كورنثوس . ٨ - رسالته الثانية إليهم .

٩ - « إلى أهل غلاطية ١٠ - « إلى أهل أفسس .

١١ - « إلى أهل فليبي ١٢ - « إلى أهل كولوسي .

١٣ - « الأولى إلى أهل تسالونيكي ١٤ - « الثانية إليهم .

١٥ - « الأولى إلى تيموثاوس ١٦ - رسالته الثانية إليه .

١٧ - « إلى تيطس . ١٨ - « إلى فليمون .

١٩ - « إلى العبرانيين ٢٠ - رسالة يعقوب .

٢١ - رسالة بطرس الأولى . ٢٢ - رسالة بطرس الثانية .

٢٣ - « يوحنا الأولى . ٢٤ - رسالته الثانية .

٢٥ - رسالته الثالثة . ٢٦ - رسالة يهوذا .

٢٧ - رؤيا يوحنا (١).

---

(١) شك المسيحيون فى صحة بعض كتب العهدين ، ثم اعترفت مجالسهم بهـا ، ثم عادت بعض الفرق ونقضت هذا الاعتراف ، فقد انعقد مجلس علماء المسيحية فى عهد « قسطنطين » فى بلدة « نائس » عام ٣٢٥م لبحث مسألة الكتب المشكوك فيها فقرروا بعد المشاورة : أن كتاب « يهوديت » واجب التسليم ، وأبقوا سائر الكتب المختلفة مشكوكا فيها كما كانت . ثم بعد ذلك انعقد مجلس آخر يسمى مجلس (لوديسيا) فى عـام ٣٦٤م ، فأبقى حـكم المجلس الأول فى كتاب « يهوديت » على حاله ، وزاد عليه سبعة كتب أخرى ، وجعلها واجبة ، وهى هـذه :

١ - كتاب أسـتير .
٢ - رسالة يعقوب .
٣ - الرسالة الثانية لبطرس .
٤ - الرسالة الثانية ليوحنـا .
٥ - الرسالة الثالثة ليوحنـا .
٦ - رسـالة يهـوذا .

اعتمدنا فى التحقيق على ثلاث نسخ :

الأولى : مخطوطة مكتبة أحمد الثالث ، باستنبول تحت رقم ١٨٦٣ .
وعدد أوراقها ٩٢ ، بكل ورقة صفحتان وعدد سطور الصفحة ١٥ ، ومتوسط عدد كلمات السطر سبع وهى بخط جيد ، إلا أن بعض كلماتها غير واضحة ، عجزت عن قراءتها ، ولم يسعفنى الاهتداء إليها إلا النسختين الأخريين .
وقد حصلنا على نسخة مصورة لها ، من معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية

---

٧ ـ رسالة بولس الى العبرانيين .
بقى كتاب مشاهدات « يوحنا » فى هذين المجلسين خارجا مشكوكا فيه كما كان . ثم انعقدبعد ذلك مجلس آخر فى عام ٣٩٧م وكان عدد المجتمعين ١٢٧ من العلماء المشهورين فأبقوا حكم المجلسين الأوليـن بحـاله ، وزادوا على حكمهما هذه الكتب :
١ ـ كتاب وزدم .
٢ ـ كتاب طوبيـا .
٣ ـ كتاب باروخ .
٤ ـ كتاب ايكليزيا ستيكس .
٥ ، ٦ ـ كتابا المقابيين .
٧ ـ رؤيا يوحنـا .
لكن أهل هذا المجلس جعلوا كتاب « باروخ » بمنزلة جزء من كتاب « أرميا » لأن « باروخ » كان بمنزلة النائب والخليفة « لأرميا » ، ثم انعقدت بعد ذلك ثلاثة مجالس : مجلس « ترلو » ، ومجلس « فلورنس » ، ومجلس « ترنت » وعلماء هذا المجلس الأول أبقوا حكم المجلس المنعقد فى عـام ٣٩٧م ، على حاله ، لكن أهل المجلسين الأخيرين كتبوا اسم كتاب « باروخ » فى فهرست أسماء الكتب على حدة . فبعد انعقاد هذه المجالس ، صارت هذه الكتب المشكوك فيها ، مسلمة بين جمهور المسيحيين ، وبقيت هكذا حتى ظهرت فرقة (البروتستانت) فى القرن السادس عشر الميلادى ، فرد علماؤها حكم هؤلاء الأسلاف فى :
كتاب « باروخ » ، وكتاب « طوبيا » ، وكتاب « يهوديت » ، وكتاب « وزدم » ، وكتاب « انكليزيا استكس » ، وكتابى المقابيين ، وقالوا : ان هذه الكتب واجبة الرد وغير مسلمة .
(راجع : رحمة الله الهندى ج ١ ص ٥١ ـ ٥٥) .

بالقاهرة . وعنوان الكتاب فى هذه المخطوطة : « مقامع هامات الصلبـان ، ومراتع روضات الإيمان » .

وتاريخ نسخها القرن التاسع الهجرى . ولم يذكر ناسخها شيئاً عن نفسه ، ولا عن النسخة التى نقل عنها ، بل أضاف تذييلا بدأه بقوله : قال المراجع : ليعلم كل بصيرة . . . . . الخ . وقد رمزنا لها بالحرف « ج » .

الثانية : المخطوطة الموجودة فى المكتبة الأحمدية بتونس تحت رقم ٢٠٦٣ وهى بخط مغربى ، صعب القراءة ، وتقع فى ٤٦ ورقة تضم الورقة صفحتان ، وعدد سطور الصفحة ٢٣ سطراً متوسط عدد كلماته تسع كلمات وعنوان الكتاب فى هذه المخطوطة :

« كتاب مقامع الصلبان فى الرد على عبدة الأوثان » .

غير أنه ذكر فى هامشها أنه سمى أيضاً بروضات الإيمان ، وبهذا يتفق مع نسخة « ج » وقد ذكر ناسخها اسمه ، وتاريخ النسخ قال :

« انتهت الرسالة المباركة بحمد الله ، وحسن عونه ، وتوفيقه ، وتأييده يوم الأربعاء للسابع والعشرين خلون من ذى الحجة الحرام ، متمم شهور سنة ١٢٨٠ : ثمانين ومائتين وألف . على يد العبد الفقير ، المقر بالعجز والنقص ، الراجى من مولاه الحليم الستار ، تخفيف الذنوب ، والأوزار ، عبـده وأقل عبيده ، محمد بن على عمار[1] التونسى الدار ، التميمى ، غفر الله له ولوالديه ،

---

(١) هو عالم من أهل تونس ، قـدم الى مصر ، وجعل ناظرا لمسجد أبى الذهب ، وأوقافه ، واتصل بابراهيم باشـا ، فكان يعلم أولاده العربية ، وكان عالما ذكيا درس فى الأزهر ، وحسنت حاله . ولما مات ابراهيم باشـا

ولمشايخه ، ولجميع المسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، بجاه صاحب المعجزات ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وسلم تسليما » .

وقد رمزنا لها بالحرف « ت » .

الثالثة : نسخة طبعت بمصر عام ١٣١٦ هـ بدون تعليقات ، وهى بعنوان :

« الفاصل بين الحق والباطل »

ولم تنسب إلى أبى عبيدة ، بل ذكر ناشرها تحت العنوان :

يتضمن

« حجة عز الدين المحمدى على حنا مقار العيسوى » .

ونصه هو نص النسختين السابقتين ، غير أنه يختلف عنهما فى بعض الأشياء .

أولا : اختلفت مقدمته عن مقدمتها إذ جاء فيها :

« إننى فى سنة ألف وثلثمائة من الهجرة ، كنت رأيت كتاباً عربياً طبع ببلاد أوربا اسمه « رسائل الكندى » يقول طابعه أنه وجد فى أحد المساجد القديمة[١] . وهذا الكتاب يشتمل على رسالتين :

نفاه الخديوى عباس ، فذهب الى الحجاز ، ثم رحل الى القسطنطينية ، فمات فيهـا عام ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م) .

من كتبه : « تعديل المرقاة ، وجلاء المرآة ــ خ » ، « وحاشية على مرآة الأصول للاخسرو » . (الزركلى ــ الاعلام) .

(١) ليس من المحتمل أن يكون قصده « رسائل الكندى الفلسفية » التى احتوت على :

ـــ رسالة فى أنه لا تنال الفلسفة الا بعلم الرياضيات .

الأولى من مسلم يدعو صاحبه المسيحى إلى دين الإسلام .

والثانية رسالة من المسيحى يرد فيها على رسالة المسلم رداً مطولا . وبعد اطلاعى على ذلك الكتاب ، وفهم مبادئه وغاياته ، كنت عزمت على أن أرد عليه ، وإن كنت لست من رجال هذا الميدان ، ولكن الصدفة أحياناً تفعل ما لا يفعله القاض ، فإنى عثرت على كتاب قديم فى أحد المعـابد القديمة اسمه « الفاصل بين الحق والباطل » فأخذته ، وبعد اطلاعى عليه مع التـأمل ، أعجبنى ، واكتفيت به عما كنت عزمت عليه ، لأننى وجدته عكس رسائل الكندى . أعنى يحتوى على رسالتين :

الأولى : من مسيحى اسمه : « حنا مقار » يدعو صاحبه المحمدى واسمه : « عز الدين » إلى النصرانية .

— رسالة فى مدخل المنطق ·
— رسالة فى المقولات العشر ·
— رسالة فى المناظر الفلكية ·
— رسالة فى الغذاء والدواء المهلك ·
— رسالة فى أن النفس جوهر بسـيط ·
— رسالة فى ما للنفس ذكره ، وهى فى عالم العقل قبل كونها فى عالم الحس ·
— رسالة فى الأخـلاق ·

لأنه لا يوجد بينها ما أشار اليه ناشر كتاب « الفاصل بين الحق والباطل » من تبادل رسالتين بين مسيحى ومسـلم ·

أما ما عرف باسم : « رسالة الهاشمى ورد الكندى عليها » وهى رسالة عبد الله اسماعيل الهاشمى الى عبد المسيح بن اسحق الكندى ، يدعوه فيها الى الاسلام ، ورسالة عبد المسيح الى الهاشمى يرد بها عليه ويدعوه الى النصرانية ، فقد أثبت البكرى – فى مقال نشر فى العـدد الأول من مجلة كلية الآداب سـنة ١٩٤٧م – أنهما رسالتان موضوعتان ، وضعهما السريان فى عصر متأخر ، وزعموا وقوع هذه المساجلة فى عصر المـأمون · (الرد الجميل ص ٦٤) ·

والثانية : من المحمدى يرد فيها على المسيحى رداً شافيا . ولذلك قد صرفت فراغى فى إصلاح ما أفسده الزمان من ذلك الكتاب ، وتصحيح مافعله تقادم العهد عليه . وها أنذا الآن أنشره لإخوانى ذوى العقول من نوع الإنسان على العموم ، ليس فى ذلك غاية ، سوى ما فى الزوايا من الخبايا ؛ ولكل مقام مقال .

قال عز الدين المحمدى :

« دخلت مصر فى أمر عرض علىّ ، فاتفق اجتماعى « بحنا مقار » وهو أحد مشاهير النصارى ، وأوائل أفاضلها ، فتحدثت معه ، واستحسن حديثى . فتصاحب معى ، وتردد إلىّ ، وقصد ترغيبى فى دينه ، فتباحث معى يوماً فى أمر دين النصرانية . فقلت له بحضرة جماعة من العدول : أنا لا أكلف النصارى إقامة دليل على صحة دينهم ، بل أطالبهم كلهم أن يصوروا دينهم تصويراً يقبله العقل فإذا صوروه ، اكتفيت بذلك من غير مطالبتهم بدليل على صحته . فحاول هو فى نفسه تصوير دينهم ، فعجز عنه . فلما عجز ، قال : ما كلفنا بالتصوير ، بل كلفنا السيد المسيح بالاعتقاد ، فلا نلتزم مالا يلزمنا ، وما ليس من ديننا . وجنح إلى القول بالتقليد ، وعدم النظر فيما يصح ويفسد .

« فقلت له : الاعتقاد لابد فيه من أن تثبت شيئاً لشىء ، أو تنفيه ، فهو مركب من تصورين : تصور المحكوم عليه ، وتصور المحكوم به ، وأنتم على ماقلتم مكلفون بالاعتقـاد . ومن كلف بمركب كلف بمفرداته ، فمن كلف بالاعتقاد كلف بالتصور . فأنتم حينئذ مكلفون بالتصور ، فصور لى دينك .

« فانقطع عن الكلام ، ورأى أنه قد أصيب من مأمنه ، ولزمه السؤال

من قوله . فقال : أمهلنى ثلاثة أيام ، حتى أجتمع على « ابن العسال » وهو أحد أئمة اللاهوت — فأستحضر من البراهين القاطعة .

« فذهب ، ولم أره ، ولم يرجع ، ثم بعد ما مضى أكثر من شهر ، أرسل إلىّ كتاباً مطولا يدعونى فيه إلى النصرانية ، التى عجز عن تصويرها فضلا عن إقامة الدليل عليها ، فقرأته وتأملته ، فوجدت أن القوم ليس لهم حظ من النظر القديم ولا العقل المستقيم ، بل وجدوا آباءهم على الضلال عاكفين ، فهم على آثارهم يهرعون ، قد غمرهم الجهل ، وغمّهم العماء . فلذلك نويت عدم مخاطبة هؤلاء ومراجعتهم فى الخرافات ، ولكن قد ألح علىّ بعض الإخوان على مراجعته ، والرد عليه ، فامتثلت لأمرهم وكتبت هـذا الجواب رداً على تلك الرسالة من نصوص كتبهم وسميته :

« الفاصل بين الحق والباطل » .

ولما حان وقت سفرى أتممته وأرسلته إلى « حنا مقـار » ومضيت إلى حيث أتيت طالباً من الله أن يجعل هذا الكتاب تنبيهاً للغافلين ، ودليـلا للحائرين ، فيستيقظوا من غفلتهم ، وينظروا إلى هـذه المساوىء القبيحة ، والفضائح الفظيعة » .

ثم يسير النص مع المخطوطتين السابقتين .

ثانياً : زاد فى كتاب المسيحى ، بعد بيان كيفية الصلاة عند المسيحيين ، أركان الدين المسيحى الخمسة ، وهى : التغطيس ، والإيمان بالتثليث ، والاعتقاد بالالتحام بين أقنوم الابن وعيسى فى بطن مريم ، والإيمان بالقربان . ثم

الاعتراف بالذنوب أمام القسيس . وهى أمور لم تذكر فى المخطوطتين . ولذا لم نوردها فى النص . بل أشرنا إلى مضمونها فى الهامش .

ثالثاً : أضاف زيادات طفيفة فى رسالة أبى عبيدة وحذف منها بعض الفقرات وقد أشرنا إلى كل ذلك فى مواضعها .

ولم يذكر الناشر عن نفسه شيئاً ، سوى أنه ليس من أهل هذا الفن ، ولهذا نرى أن من المحتمل أنه عثر على مخطوطة للرسالتين فقط[1] ، وليس عليهما مايدل على كاتبيهما ؛ فزاد عليهما شيئاً من عنده ، ووضع لكل منهما اسماً يناسبه وقدم لهما وقد استنتجنا هذا الرأى مما يلى :

١ — مقدمة المخطوطتين أقرب إلى القبول منطقياً وعقلياً من المقدمة التى وضعها ، فالقسيس فى « طليطلة » ينال من الدين الإسلامى ، وهو دين أقلية ، ليس فى يدها سلطة ؛ فيهرع المسلمون إلى أبى عبيدة للرد على هذا الهجوم ، فيمدهم بما يفحم القسيس ثم يعلم القسيس ذلك فيكتب إليه خطابا يعرض عليه فيه الدخول فى المسيحية ، وذلك هو هدف المسيحيين فى « طليطلة » ، بعد أن سقطت فى يد المسيحيين . ثم يكتب أبو عبيدة رداً عليه ويخشى أن يرسله إليه خوفا على نفسه من أن يبطش به المسيحيون والسلطة فى أيديهم . فينظر حتى يحين موعد رحيله ، فيعطيه لمن أوصله إلى القسيس .

---

(١) يحتمل أن تكون من النسخة التى نسخها التميمى ، ويقوى هذا الاحتمال أن التميمى كان بمصر فى عهد محمد على ، وكان يدرس فى الأزهر ، فلعل طالبا من طلابه نسخ الرسالتين فقط ، ثم وقعت النسخة فى يد ناشر « الفاصل بين الحق والباطل » الذى حضر الى مصر بعد موت التميمى بأربعة عشر عاما فقط .

تسلسل منطقى ، وعقلى لا غبار عليه ، أما مقدمة ناشر « الفاصل بين الحق والباطل » » فيرد عليها اعتراضات :

(ا) يبدو الانتحال على الاسمين اللذين زعم أنهما كتبا الرسالتين : « حنا مقار » و « عز الدين المحمدى » ، إذ أن كلمة « المحمدى » يطلقها الأوربيون على المسلم ، نسبة إلى محمد فى مقابل نسبة المسيحى إلى المسيح ، والمسلمون يرفضون هذه النسبة . كذلك لم أجد أثراً لهذا الاسم بين علماء الإسلام . أضف إلى ذلك أن العلماء والمؤلفين فى تلك العصور ، اعتادوا أن يكتبوا أسماءهم مطولة على مؤلفاتهم ، تصل أحياناً إلى الجد السادس .

(ب) ذكر فى مقدمته أن عز الدين أفحم « حنا » فى مناظرة عامة ، ثم بعد مدة أرسل حنا إليه يدعوه إلى اعتناق المسيحية ، ولا يعقل أن يصدر هذا من « حنا » ، لأنه هزم أمامه ، وإنما المعقول ، أن يتوارى عنه ، ولا يفاتحه فى مسائل العقيدة إطلاقاً .

كيف يطلب المهزوم من المنتصر أن يعتنق المبادىء التى لم يستطع إقامة الدليل على صحتها ؟ لو انتصر « حنا » فى مناظرته ، لقبلت هذه الرواية !! .

(حـ) لماذا انتظر عز الدين – على فرض صحة هذه الرواية – حتى يحين موعد سفره ، ثم أرسل رسالته إلى « حنا » ؟

أكان يخشى على نفسه من المسيحيين ؟

هذا غير صحيح ، لأن السلطة فى مصر ، فى يد المسلمين منذ أن فتحها عمرو ابن العاص حتى الآن ، ولم يخش العلماء فى أى عصر الجهر بآرائهم الدينية ، مادامت لا تناهض السلطة الحاكمة ، والرد على المسيحى فى هذا الكتاب دينى بحت ، لا يهاجم السلطة المدنية ، ولا يتعرض لها بنقد إطلاقاً .

ولهذا اعتمدنا ـ أساساً ـ على المخطوطتين ، وما زاد عنهما فى نسخة عز الدين ، وضعنا له قوسين معقوفين بينهما نقط ، هكذا [......] ، ثم ذكرنا الزيادة فى الهامش ، إما نصاً أو تلخيصاً إن كان النص طويلا . ولا فائدة من ذكره كله .

والنسخ الثلاث خالية من التبويب ، ومن هنا وضعنا لكل مسألة عنواناً بين قوسين معقوفين [ ] ، كذلك كل كلمة من عندنا اقتضاها النص .

اعترض القسيس على تعاليم الإسلام فى تسع مسائل ، ذكرناها تحت عنوان الشبه ، فقلنا : الشبهة الأولى ، الشبهة الثانية ... إلخ ، وذكرنا رد أبى عبيدة ، عليها تحت عنوان : الرد على الشبهة الأولى ، والرد على الشبهة الثانية .... إلخ ، وتناولنا فى تعليقنا عليها الجوانب التى لم ترد فى رد أبى عبيدة ولهذا ينبغى على القارىء أن يقرأ الشبهة ، والتعليق ، ورد أبى عبيدة معا ـ ويفعل ذلك أيضاً فى المسائل التى تناولت عقيدة المسيحيين من تثليث ، وصلب .... إلخ . لأن المحافظة على ترتيب النص ، كما هو ، حالت دون جمع رد أبى عبيدة عقب كل شبهة .

وقد رد أبو عبيدة على جميع ما أورده القسيس من شبهات كل على حدة ، إلا الشبهتين الثالثة ، والسادسة : اختلاف حكم رد المطلقة إلى زوجها ، فى التوراة عنها فى القرآن ، ومسألة طرد إبليس من الجنة التى وردت فى رؤيا « يوحنا ، فقد جاء الرد عليهما ضمنا فى بيان مافى التوراة والإنجيل من تحريف وقد بينا المنبع الذى استقى منه « يوحنا » ، ما نسخه من خيال حول مسألة طرد إبليس من الجنة .

* * *

— ٣ —

تنتشر اليوم فى المجتمعات الإسلامية نغمة تدعو إلى عدم التعصب ضد أتباع الأديان الأخرى ، مع أن المسلمين لم يكونوا فى يوم من الأيام ، متعصبين بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة لدى أصحاب هذه الدعوة . ولا يقصد من هذا سوى توهين العلاقة بين المسلمين ودينهم ، وفصل المسلم عن عاداته ، وتقاليده الدينية ، تحت ستار مسايرة العصر ، وإلا كان رجعياً ومتخلفاً ، ويعيش بعقلية القرون الوسطى . وقد انزلق كثير من أرباب الفكر فى العالم الإسلامى فى هذا المجال ، فطفقوا يدعون إلى التنازل عن الأفكار الدينية فى الحياة الاجتماعية والسياسية ، ويستند المعتدلون منهم إلى أن الظروف الدولية تستدعى منا أن ننهج هذا السبيل ، وإلا كنا شواذ فى المجتمع الدولى ، لا نستطيع أن نتحرك بحرية ، فنفشل ، وتضيع حقوقنا بين التيارات السياسية المعاصرة ، ويدللون على ذلك بأن الساسة الغربيين – وهم مسيحيون – طرحوا مسألة الدين جانباً ، وتصرفوا – ولا زالوا – على أساس علمانى بحت .

ونسى هؤلاء أن تصريحات السياسيين العلنية فى تلك البلاد ، تختلف إلى حد ما عما يرسمونه من خطط تهدف إلى السيطرة – بل القضاء – على العقائد والمذاهب التى تقف عقبة فى سبيل مايتخذونه عقيدة ومذهبا ، وإلا فهل يستطيع هؤلاء أن يفسروا لنا مغزى زيارة رؤساء الدول الكبرى للبابا ، ويبينون لنا مضمون الأحاديث التى تدور بينه وبينهم فى الاجتماعات التى تستمر أحياناً وقتاً طويلا ؟ ! !

وما هو السبب فى أن الأحزاب المسيحية ، لازال لها السيطرة فى معظم بلاد الغرب ولم تستطع الأحزاب الليبرالية أن تحرز نصراً فى مواجهتها ، إلا بعد أن أظهرت عطفها على الكنيسة ، وتأييدها لها ؟ ؟ ! !

ومن الافتراء على الحقائق ، ما تردده الصحافة فى الدول الإسلامية ، من أن قيام دولة فى هذا العصر على أساس دينى ، كما هو الحال فى دولة إسرائيل ـ وكذلك الصراع الدينى بين الكاثوليك والبروتستانت فى إيرلندا ـ من الأمور الاستثنائية ، لأن الصراع فى كثير من بقاع العالم يحمل ـ فى صور متعددة ، وأشكال مختلفة ـ طابعا أيديولوجيا ـ دينيا أو مذهبيا ـ ويظهر ذلك واضحاً فى الأمثلة الآتية :

— اتفاق روسيا مع الهند على ضرب الجيش الباكستانى ، للقضاء على واحدة من أكبر الدول الإسلامية فى آسيا .

— تجرى دماء المسلمين فى الفلبين على يد المسيحيين ، دون أن تغطى وسائل الاعلام العالمية هذه الأحداث ، ولو كان الأمر بالعكس ، لملئت الدنيا صياحاً وعويلا .

— محت روسيا معالم الإسلام من المناطق التى احتلتها ، مثل طشقند وبخارى ، والقرم ، وغيرها ، فقد حولت مساجدها إلى مسارح ، ويجرى الآن ـ بطريقة منظمة وشاملة ـ استئصال العقيدة من الأجيال الناشئة ، وسوف ينقرض ما تبقى من الإسلام فى هذه المناطق بانقراض الجيل القديم . ونفس الأسلوب يجرى فى ألبانيا ـ ومعظم سكانها مسلمون ـ ومع جميع الطوائف الإسلامية فى البلاد الشيوعية .

— قضت العلمانية على الطابع الإسلامى فى تركيا التى كانت مركزاً للخلافة الإسلامية فى القرون الماضية ، وصار الطابع الدينى فى البلاد التى نشأت فيها العلمانية أكثر ظهوراً منه فى تركيا . ولا يوجد تفسير لهذه الظاهرة ،

سوى تصميم المعسكر الغربى على محو كل المظاهر الإسلامية فى تركيا .

— تتسم الحرب الدائرة بين « إريتريا » والسلطات الأثيوبية بطابع دينى .

— ذُبح كثير من المسلمين فى إحدى دول شرق إفريقيا فى ستينات هذا القرن ، وكان الدافع الرئيسى لهذه المذابح نزعة عنصرية دينية .

— عندما قامت حركة انفصالية فى إحدى دول غرب إفريقيا ، تلقت مساعدات من « الفاتيكان » ، ومن معظم الدول الأوربية المسيحية ، لأن معظم سكان المنطقة التى أعلنت الانفصال مسيحيون ، ولم تخف وسائل الإعلام الغربية وجهها ، عندما كانت تدعو مواطنيها إلى التبرع « للدولة المسيحية » الناشئة ، رغم أنها لم تكن سوى مجموعة تمردت على السلطة الشرعية ، كذلك اعترفت بعض الدول المسيحية فى إفريقيا بدولة الانفصاليين.

وهناك الكثير من الأحداث العالمية التى تأخذ الطابع الدينى ، وتحركها وتوجهها عواطف العقيدة ـ ديناً أو مذهباً ـ وتتلقى التأييد من ساسة الدول الأخرى على أساس علمانى بحت . ولورمت حصر مايقع منها فى العالم . لطالت هذه المقدمة عن المألوف .

وينبغى ألا يفهم من هذا . أن على زعماء الدول الإسلامية أن يكونوا جامدين فى تحركاتهم السياسية . ويقطعوا كل صلة بتلك الأمم التى تنهج هذا السبيل . بل عليهم ـ طبقا لما نفهمه من روح التشريع الإسلامى ـ أن يسايروا العصر فى مجال السياسة . ولا يألوا جهداً فى بناء دولهم على أسس حديثة عصرية

لتتقدم علمياً ، وفنياً وعسكرياً ، وفى الوقت نفسه لا يكونوا سذجاً ، يتبرءون من الدين وينفكرون لمن ينادى بالتمسك به ، بحجة أنهم تقدميون ، وإلا دارت عليهم الدائرة ، كما حدث لأمراء المسلمين فى الأندلس، ولن يشفع لهم يومئذ كفرهم بكل مايمت إلى الإسلام بصلة .

* *

يواجه المسلمون المعركة فى مجالين : سياسى ، وفكرى . وقد خسروا جولات فى كليهما . فنى المجال السياسى ضاعت الأندلس . ودول البلقان والقرم . وبخارى وطشقند وغيرها .

وفى المجال الفكرى ، سيطر الفكر العلمانى على القادة ، فتنكر بعضهم للاسلام وتجاهله آخرون . وتعرض كثير من الشباب ـ وخاصة بعض الذين درسوا فى الخارج ـ لحملات التشكيك فى صلاحية الإسلام للمجتمع المعاصر . إذ يحاول المبشرون ـ ومن يسلكون دروبهم ـ تشويه المبادىء الإسلامية لهم ، زاعمين تارة أنها متخلفة عن العصر ، وبالتالى كانت سبباً فى تخلف الشعوب الإسلامية ، وأخرى بالهجوم مباشرة على عقائد الإسلام وتعاليمه ، فاهتزت عقيدة الشباب نتيجة لهذه الحملات ، وضعفت العلاقة بينهم وبين الإسلام ؛ فصاروا لقمة سائغة للتيارات الإلحادية والموجات الصليبية .

كان هذا هو الدافع الرئيسى لأن أقدم هذا الكتاب للقارىء ـ عارضاً فى مقدمته جزءاً من تاريخ الصراع بين المسلمين والنصارى فى الأندلس ، ليكون سهماً فى ميدان الدفاع عن الإسلام فكريا ؛ وصوتا يذكر المسلمين ـ حكاما ومحكومين ـ بما أصاب إخوانهم بالأمس البعيد فى الاندلس ؛

ليأخذوا حذرهم ؛ ويعتصموا بحبل الله ، إخوانا متحابين ، غير متحاربين . يساعد بعضهم بعضا على النهوض بمجتمعاتهم فى النواحى الثقافية ، والفنية . والعسكرية . ويمدوا يد العون لمن يتعرض منهم للخطر ، حتى لا يؤكلوا كما أكل المسلمون فى الأندلس ، ولن يقيهم من عدوهم ساعتئذ ، إدراكهم لخطئهم وندمهم على مافاتهم ولن يملكوا إلا أن يرددوا المثل القائل :

« أكلت يوم أن أكل الثور الأبيض »

ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد .

كانو - نيجيريا فى { ٢٧ رمضان ١٣٩٥ هـ
٢ أكتوبر ١٩٧٥ م

محمد عبد الغنى شامة

بسم الله الرحمن الرحيم

و به ثقتي ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله ، وسلم تسليما

لما نفذ القضاء من الله تعالى على قرطبة[1] ، باندثار ملكها ، وتفرق أهلها عنها ، لتتابع ضنكها ، ألحق منهم « بطليطلة » ، صبيا من آل عبدالحق الخزرجي ، يوصف بالذكاء[2] ، وكان بها قسيس من القوط[3] يكثر الاعتراض في الدين على نفر كانوا تابعين له[4] من المسلمين ، فجعلوا يرفعون أسئلتهم[5] إلى الصبي فيجيبهم[6] الصبي عليها ، فيرجعون بذلك إلى القسيس ، فأنكر إجابتهم[7] ، لعلمه أنهم ليسوا من أهل الذكاء ، فاستفهمهم ، فأعلموه بذلك ، فكتب القوطي[8] إليه كتابا ، وسألهم أن يوصلوه إليه ، ويأتوا منه بجواب.

---

(١) هي مدينة في أسبانيا ، أسسها الفينيقيون ، واستعمرها الرومان ، ثم صارت عاصمة الخلفاء الأمويين في الأندلس ، فازدهرت على أيامهم ، اذ شيدوا فيها المباني الفخمة ، منها قصر الزهراء ، وهي مسقط رأس ابن رشد .

(٢) في ج : « بذكر »

(٣) في ج : « القرط » وهو خطأ ، اذ أن القرط بطون من بني كلاب يقال لهم القروط وقد أطلق لفظ قرط على رجل من سنبس كما أطلق على قبيلة من مهرة بن حيدان ، وهذا كله بعيد الصلة عن المقصود في النص ، خاصة اذا عرفنا أن القوط (بالواو) قبائل أوربية كما سبق الكلام عنها .

(٤) في ج : « يألونه » .

(٥) في ج : « سوالاتهم » .

(٦) في ج ، ت : « فيجاوبهم » .

(٧) في ج ، ت : « جوابهم » .

(٨) في ج : « القرطبي » وهو واضح التحريف .

رسالة القيس إلى أبي عبيدة

ـ هذا كتابه :

[قصة التثليث]

من فلان إلى فلان[١] باسم الأب ، والابن ، والروح القدس ، إلـه واحد[٢] سلام عليك أيها الفتى ، الإسماعيلي ، المحمدى ، ورحمة الله وبركاته .

---

(١) من ت وفي ع : « من حنا مقار العيسوى الى عز الدين المحمدى » ، ولم تذكر في ج ٠

(٢) قضية نسبة البنوة الى الله عز وجل ، ليست غريبة على العقل البشرى ، ولا هي بالمستحدثة في تفكيره ، فقد كان فراعنة مصر يعتقدون أنهم آلهة وأبناء آلهة ، وكذلك كان الشأن عند قياصرة الرومان ، وأكاسرة الفرس ، وغيرهم من أصحاب الملك والسلطان ٠ انهم كانوا ينظرون الى النـاس من سماوات عالية ، كما كان ينظر اليهم الناس من هذه الأرض على أنهم آلهة ، نزلوا من السماء ، فقدسوهم وعبدوهم ٠

وكان أتبـاع الفيلسـوف اليونانى « فيثاغورس » يعتقدون أنه الاله « أبولون » ، وأنه لم يمت ، وسيبعث بعد حين ، ويؤمن أتباعـه بعد موتـه بأنه يلهمهم الكشوف العلمية ، ويلقنهم عظات الحكم ، والأخلاق الحسنة ٠

وعلى هذا فاذا قال دعاة المسيحية ، بأن المسيح ابن الله ، فانهم لم يقولوا بدعا من القول ، لم يعرفه العقل البشرى ، وان كان بدعا وتحريفا فى الشرائع السماوية كلهـا ٠

فاذا كانت نسبة البنوة الى الله ، لهـا سابقة فى الفكر الانسانى ، فمن أين استقى المسيحيون عقيدة التثليث ؟

لم ترد كلمات :

الاب ، الابن ، الروح القدس فى الانجيل ، الا فى عبارات ، وتراكيب مختلفة ولا نجد عبارة واحدة تجمع بينها فى سياق واحد ، وذلك باستثناء ما نسب الى المسيح فى انجيل متى حيث قال لتلاميذه :

. . . .

« فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ »

(متى ٢٨ : ١٩)

ولو استعرضنا جميع أعمال الرسل ، ورسائلهم التى الحقت بالاناجيل، وصارت جزءا متمما لها ، لوجدنا انها لم تحدث عن شىء مما أصبح عقيدة مقررة عند المسيحيين ، بعد مؤتمر « نيقية » الذى قرر أن المسيح هو أقنوم الابن فى الله ذى الثلاثة أقانيم •

غير أننا رأينا أن رسائل « بولس » الرسول ، تحتوى على عبارات لاهوتية غامضة يمكن أن تحمل على محـامل شتى ، من بينهـا أن يكون المسيح ابن الله ، بمعنى لاهوتى : هو الولادة العقلية !!

يقول « ول ديورانت » فى موسوعته قصة الحضارة :

وأضاف « بولس » الى اللاهوت الشعبى الموسى ، بعض آراء صوفية غامضة ، كانت قد ذاعت بين النـاس ، بعد انتشـار « سفر الحكمة » ، و « فلسفة فيلون » •• من ذلك قول « بولس » : ان المسيح هو حكمة الله وابن الله الأول •• وبكر كل خليقة •• فان فيه الكل •• الكل به ، وله قد خلق •• الذى هو قبل كل شىء ، وفيه يقول الكل •• وليس هو المسيح المنتظر ، « المسيا » اليهودى الذى سينجى اسرائيل من الأسر •• بل هو الكلمة ، التى ستنجى الناس كلهم بموته (قصة الحضارة جـ ١١ ص ٢٦٦) •

لقد عزل « بولس » المسيح من اليهود ، وجعله مسيحا ، غير « المسيا » الذى ينتظرونه لخلاصهم ! وذلك ليستطيع أن يجعل منه الاله ، الذى تجسد ، ثم صلب من أجل خلاص العالم ، لا من أجل خلاص اليهود وحدهم ! وبهذا يضمن لدعوته مجالا ، يتحرك بها فيه فى الامبراطوريـة الرومانيـة ، بين الرومان والشعوب الخاضعة لدولتهم • وبهذا أيضا ، يفسح المجال لأمل اليهود فى مسيح منتظر بعد يسوع الذى « صلبوه » •

اعتمد المؤتمرون فى « نيقية » ، على أقوال « بولس » الغامضة ، فى اتخاذ قرارهم فى طبيعة المسيح ، وتتلخص قصة هذا المؤتمر فيما يلى :

فى سـنة ٣٢٥م اجتمع المؤتمر المسـكونى فى «نيقية » ، بأمر الملك قسطنطين الكبير ، وقد حضر هذا المؤتمر ٣١٨ أسقفا ، من شتى أنحاء العالم ومن مختلف الطوائف المسيحية • وكانت المسألة الأولى ، والوحيدة ، التى ناقشها المؤتمر ، هى طبيعة المسيح ، وذلك بعد أن قرر القس « آريوس » الاسكندرى رأيه فى المسيح ، وأنه مخلوق !

ويروى سعيد بن البطريق ـ بطريق الاسكندرية ـ فى تاريخه المعروف

. . . .

المسمى « نظم الجواهر » مقالة « آريوس » ، وما كان لهـا من آثار فى اثبات الخلاف والفرقة بين المسيحيين ، وما انتهى اليه الرأى فيه ، وفى مقالته ·
يقول ابن البطريق : كان بالاسكندرية رجل يقال له « آريوس » يقول : ان الأب وحده هو الله الفرد والابن مخلوق مصنوع ، وقد كان الأب اذ لم يكن الابن ·

فقال البطريرك ـ أى بطريرك الاسكندرية ـ لتلميذيه : ان المسيـح لعن « آريوس » ، فاحذرا أن تقبلا قـوله ، فانى رأيت المسـيح فى النوم مشقوق الثوب فقلت له : يا سيدى : من شق ثوبك ؟ فقال لى : « آريوس » فاحذروا أن تقبلوه ، وأن يدخل معكم الكنيسة ، كنيسة الله ·

فبعث قسطنطين الملك الى جميع البلدان ، فجمع البطاركة والأساقفة فاجتمع فى مدينـة « نيقية » ـ بعد سنة وشهرين ـ ألفان وثمانية وأربعون أسقفا كانوا مختلفى الآراء · فمنهم من يقول : المسيح ومريم الهـان من دون الله وهم المريمانية ·

ومنهم من يقول : ان المسيح من الآب ، بمنزلة شعة نار ، تخلقت من شعلة نـار ،، فلم تنقص الأولى ، لا يقاد الثانية منها ، وهى مقالة « سباريون » وأتبـاعه ·

ومنهم من كان يقول : لم تحمل مريم لتسعة أشهر ، وانما مر نور فى بطنها كما يمر المـاء فى الميزاب ، لأن كلمة الله دخلت من أذنها ، وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها ، وهى مقالة « اليـان » وأشياعه ·

ومنهم من كان يقول : ان المسيح انسان ، خلق من اللاهوت كواحد منـا ، وأن ابتداء الابن من مريم ، وانه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر الانسى ، صحبته النعمة الالهية ، فحلت فيه المحبة والمشيئة ، فلذلك سمى ابن الله ، ويقولون : ان الله جوهر واحـد وأقنوم واحد ، يسمونه بثلاثة أسـماء ، ولا يؤمنون بالكلمة ، ولا بروح القدس ، وهى مقالة « بولس الشمشاطى » بطريق أنطاكية ، وأتباعه ·

ومنهم من قال بثلاثة آلهة : صالح ، وطالح ، وعدل بينهما ، وهى مقالة « مرقيون » وأشـياعه ·

ومنهم من يقول : ربنا هو المسيح : وتلك هى مقالة « بولس » الرسول ، ومقالة الثلاثمائة والثمانية عشر أسـقفا ·

فلما سمع قسطنطين مقالاتهم ، عجب من ذلك ، وأخلى لهم دارا وتقدم لهم بالاكرام والضيافة ، وأمرهم أن يتناظروا فيما بينهم ، لينظر من معه الحق فيتبعه ، فاتفق منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا على دين واحـد ، ورأى واحـد ، فناظروا بقية الاسـاقفة فأفلجوا عليهم حججهم ، وأظهروا « الدين المستقيم » ·

• • • • • • • • • • •

أما أهم ما قرره المجمع ـ مجمع الثلاثمائة والثمانية عشر ـ فهو هذا القرار ، الذى جعل المسيح ربا ، هو ابن الله ، ومساويا له فى جوهره ٠

وأما صيغة القرار فهى :

« نؤمن برب واحد ، وأب واحد ، ضابط الكل ، خالق السموات والأرض ٠ كل ما يرى وما لا يرى ٠

نؤمن برب واحد ، يسوع المسيح ابن الله الوحيد ، المولود من الأب قبل كل الدهور من نور ٠٠ اله حق ، من اله حق ٠٠ مولود غير مخلوق ، مساو للاب فى الجوهر ٠٠ الذى به كان كل شىء ، هذا هو الذى من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خلاص نفوسنا ، نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء ، وتأنس (أى صار انسانا) ، وصلب على عهد « بيلاطس » وتألم ، وقبر ، وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث ، كما كتب فى الكتب ، وصعد الى السماء ، وجلس عن يمين الأب ، وأيضا يأتى فى مجده ، ليدين الأحياء ، والأموات الذى ليس لملكه انقضاء » ٠

فالايمان الذى يبشر به هذا القرار ، هو ايمان بالأب ، والابن فقط ، أما الروح القدس ، فلم يتبوأ مكانه المعروف الآن ، لدى الكنيسة المسيحية ، وظل هذا الوضع ـ وهو اغفال الروح القدس ـ حتى عـام ٣٨١هـ حيث أمر الملك «تيئود وسيوس» الكبير ، بعقد مجمع مقدس ، فى مدينة القسطنطينية لننظر فى مقولة « مكونيوس » بطريرك القسطنطينية ، التى كان ينادى بهـا ، فى محيط كنيسـته ، ويذيعها فى أتبـاعه ، وهى أن الروح القدس ، مخلوق كسائر المخلوقات ٠

وقد اجتمع فى هذا المؤتمر ، مائة وخمسون أسقفا ، يمثلون جميع الهيئات المسيحية ، وكان من بينهم « تيموتاوس » ، بطريرك الاسكندرية الذى أسندت اليه رئاسـته ٠

وانتهى المؤتمر بادانة « مكونيوس » ، ومن كان على رأيه ، من الأساقفة ، ثم خرج المجمع بالمصادقة على قرار مجمع « نيقية » ، ثم اضافة نص جديد فى شـأن « الروح القدس » ٠

وكان نصه ما يأتى :

« نعم ، نؤمن بالروح القدس ، الرب ، المحيى ، المنبثق من الأب ، نسجد له ونمجده مع الأب والابن ، الناطق فى الأنبياء ، وبكنيسة واحدة ، مقدسـة جامعة ، رسولية ، ونعترف بمعمودية واحدة ، لمغفرة الخطايا ، وننتظر قيامه الأموات ، وحياة الدهر الآتى آمين » ٠

(راجع هذا الموضوع عند الشهر ستانى : ج ١ ص ٢٢٠ وما بعدها ، وابن تيمية ج ٣ ص ٢٠ وما بعدها ، ابن حزم : الفصل فى الملل والنحل

[صلب المسيح]

أما بعد حمد الله الذى هدانا لدينه ، وأيدنا بيمينه ، وخصنا بابنه ، ومحبوبه ، ومدّ علينا رحمته بصلبه[1] يسوع[2] المسيح إلٰهنا ، الذى خلق السموٰات والأرض ، وما بينهن ، والذى فدانا بدمه المقدس ، ومن عذاب جهنم[3] وقانا ، ورفع عن أعناقنا الخطيئة[4] ، التى كانت فى أعناق بنى آدم

جـ١ ص٣٨ ـ ٤٠ ، والعقاد : الله ص ١٤٦ ـ ١٤٧ ، ١٦٦ ـ ١٧٢ ، والخطيب : المسيح فى القرآن والتوراة والانجيل ص ١٣٧ ـ ٣٠٥ ، Nolle, ص ٤٧ ، واقرأ تفسير الاتجاه العقلى فى العقيدة المسيحية لبنوة الله عند الأستاذ الدكتور محمد البهى : الجانب الالهى جـ ١ ص ١٠١ ـ ١٠٨ ، ثم راجع بطلان التثليث عند رحمة الله الهندى جـ ١ ص ٣٦١ـ٣٩٥ ، وجـ ٢ ص ٣ ـ ٢٧) .

(١) اقرأ رأى المسيحيين فى حادث الصلب فى متى : ٢٧ ، مرقس : ١٥ ، لوقا : ٢٣ ، ويوحنا : ١٩

ثم قارن معارضة القرآن لهذا الرأى فى قوله تعالى :

« وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ » [النساء : ١٥٧] .

ثم ارجع الى مناقشة ابن حزم لعقيدة المسيحيين فى صلب عيسى عليه السلام : الفصل فى الملل والنحل جـ ١ ص ٤٦ ـ ٥١ .

(٢) فى ج : « روح المسيح » .

(٣) فى ت : « الجحيم » .

(٤) جاء فى الإنجيل : « وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ أَوَّلاً يَكُونُ لِلْجَمِيعِ عَبْدًا . لِأَنَّ ٱبْنَ ٱلْإِنْسَانِ أَيضاً لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدُمَ وَلِيَبْذُلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ » [مرقس ١٠ : ٤٤ ـ ٤٥]

« لِأَنَّهُ هٰكَذَا أَحَبَّ ٱللهُ ٱلْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ٱبْنَهُ ٱلْوَحِيدَ لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ ٱلْحَيٰوةُ ٱلْأَبَدِيَّةُ [يوحنا ٣ : ١٦]

بسبب كله من الشجرة[1]، التى نهى عنهـــا ، تخلصنا المسيح بدمه ،

وقال بولس : « برُّ اللهِ بالإيمانِ بيسوعَ المسيحِ إلى كُلِّ وعلى كُلِّ الذينَ يُؤمِنونَ ، لأنَّهُ لا فَرْقَ إذ الجميعُ أخطأُوا وأعوزَهُمْ مجدُ اللهِ . مُتبرِّرينَ مجّاناً بنعمتِهِ بالفداءِ الذى بيسوعَ المسيحِ الذى قدَّمَهُ اللهُ كفّارةً بدمِهِ لإظهارِ برِّهِ منْ أجلِ الصفحِ عنِ الخطايا السالفةِ » .

(رسالة بولس الى أهل رومية ٣ : ٢٢ – ٢٥) .

« فإنَّني سلَّمتُ إليكُمْ فى الأوّلِ ما قبلتُهُ أنا أيضاً أنَّ المسيحَ ماتَ منْ أجلِ خطايانا حسبَ الكُتُبِ »

(رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس ١٥ : ٣) .

(١) لو قارنا بين نص التوراة ، فى سفر التكوين ، الاصحاح الثالث ، وبين ما أشار اليه القرآن الكريم (البقرة : ٣٦ ، الأعراف : ٢٠ ، طه : ١٢٠) فى تحديد مرتكب الخطيئة الأولى ، لوجدنا أن التوراة تحمل حواء مسئولية هذه الخطيئة ، فقد جاء فى سفر التكوين أن حواء :

« أكلتْ وأعطتْ رجُلَها أيضاً معَها فأكلَ ... فقالَ آدمُ المرأةُ التى جعلتَها معى هىَ أعطتنى منَ الشجرةِ فأكلتُ » [التكوين ٣: ٦-١٢]

أما القرآن الكريم ، فينسب الخطيئة اليهما معـا ، فهما متضامنان فى تحمل المسئولية ، اقرأ قوله تعالى :

« فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ » .

(البقرة : ٣٦)

بل نصت آية طـه ، على أن الشيطان وسوس الى آدم فقط فيقول تبارك وتعالى :

« فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ . فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ » [طه : ١٢٠ – ١٢١]

وفدانا[١] بدمه ومن عذاب جهنم وقانا .

أهرق[٢] دمه فى مرضات جميع ولد آدم ، إذ كان الذنب باقياً فى أعناق جميعهم[٣] ،

ولا شك أن تبرئة القرآن المرأة ، على هذا النحو ، يرفع عنها لعنة ، لحقتها عبر القرون ، ويرفع عنها سبة الضعف المطلق ، والانهيار السريع أمام الغواية ، ولا يخفى أثر هذا الاتجاه على وضعها فى المجتمع .

(١) فى ج : « وبرأنا » .

(٢) فى ج : « هــرق » .

(٣) يرفض القرآن الكريم أن تنسحب خطيئة آدم وحواء على كل الناس كما يعتقد علماء اللاهوت المسيحيون ، فالمسئولية الدينية فى نظر القرآن الكريم شخصية محضة ، أنزل الله ذلك فى آيات عدة ، نذكر منها على سبيل المثـال :

« لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ » . [البقرة ٢٨٦]

« وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ » [النساء : ١١١]

« مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ » [الإسراء ١٥]

« لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا »

(لقمان : ٣٣)

« الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ »

(غافر : ١٧)

« وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا »

(الاحقاف : ١٩) .

« وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ »

(النجم : ٣٩) .

بل ان القرآن ليصور لنـا أخذ البرىء بالمذنب ، لا على أنه مضـاد للشريعة فحسب ، بل هو كذلك غير متوافـق مع الفكـرة الأسـاسية للعدالة الانسانية :

« قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ » . (يوسف : ٧٩) .

فكلهم تخلّص منه ، إلا من كفر به ، وشك فيه . [. . .] [١] .

[دعوته إلى الإيمان بألوهية المسيح]

فإذا أردت أن يتغمدك الله برحمته ، وتفوز بجنته ، فآمن بالله وقل إن المسيح بن الله الذى هو الله ، والروح القدس [٢] ، ثلاثة أقانيم فى أقنوم واحد [٣] فستنجح وترشد .

---

(١) زيد فى ع : « أما بعد ، فقد أعجبنى عقلك ، وتحققت من شدة فطنتك ، وذكائك ولذلك صاحبتك ، وجالستك ، وتباحثت معك فى أمر دينى . ورغبت أن أهديك اليه سبيلا ، لولا تعصبك فى دينك السقيم ، ومغالطتك فى البحث . وانى لمتأكد أنه لو تكرر اجتماعنا كنت أقنعك بصحة ديننا ، فتهتدى اليه ، ولكن أبى الدهر الا أن يمنعنى عن وفاء ما وعدتك به لأسباب انحراف صحتى ، ولذلك كتبت اليك هذا الكتاب ، لأخبرك أن أسرار ديننا وحكمه ، هى أمور لا تدركها العقول الا بعد اعتناقه ، والدخول فيه . . » .

(٢) فى ت : « القدس الذى هو الله ، وابن ، وروح » .

(٣) يقول عوض سمعان : « الاقنوم » أو « القنوم » كلمة سريانية ، يطلقها السريان على كل من يتميز عن سواه على شرط أن يكون من شخص ، وله ظل . . ولذلك فانه يراد بالاقنوم التعيين . . وقد وردت فى اللغة اللاتينية كلمة تشبه هذه الكلمة فى النطق تماما ، « أقوانيمتس » ، ومعناها الصدارة . . وقد تعنى أيضا الانسجام فى الفكر ، والشعور ، والصفات الطيبة .

أما القول بأن كلمة « أقنوم » معناها الأصل كما وردت فى بعض كتب الفلسفة ، فليس بصحيح اذ فضلا عما تقدم من دليل لغوى ، فاننا لا نؤمن بأن الأقانيم هم أصول العالم ، لأنها تعين الله أو الله معينا ، والله دون سواه ، هو أصل العالم ومبدعه . (سمعان : ص ١٠٢) .

وليس هناك تعارض بين التفسير اللغوى ، الذى ذكره عوض سمعان ، وبين مفهومها لدى الكنيسة المسيحية ، فالأصل مميز عن الفرع ، وما يتميز عن غيره معين ، فالأقانيم أصل العالم ، فهى مميزة . ويرد ما يرمى اليه بهذا التفسير اللغوى – وهى نفى أن كلمة أقنوم معناها أصل – محاكاة العقيدة المسيحية ، لما ورد فى الفلسفة ، فان تحديدها بثلاثة يرجع الى تأثير الفلسفة الاغريقية فى علم الكلام المسيحى . يقول الأستاذ الدكتور محمد البهى : « تسمية هذه الأمور بالأقانيم ، أو الأصول يرجع الى أثر الفلسفة

ألم تسمع مافى الكتاب ، الذى جاء به صاحب شريعتك : أنه روح الله وكلمته[1] وأنه كان وجيها فى الدنيا والآخرة ، ومن المقربين[2] ، وأين [من][3] هو أوجه فى الدنيا والآخرة من للسيح ابن الله ؟

[معجزات عيسى فى القرآن]

وفى الكتاب ، الذى جاء به صاحب شريعتك ، أنه أحيا الموتى[4] وكفى بذلك دليلا على أنه هو الله .

الاغريقية فى تفلسف المسيحية ، وتحديدها بثلاثة ، يرجع الى المصدر نفسه أيضا ، لأن ما نراه فى المسيحية على هذا الوجه يذكرنا بـ (مثل) أفلاطون ، فقد جعلها أصول هذا « الوجود » المشاهد ، واعتبره ظلالها وشبيها بها فقط ، كما يذكرنا « بثالوث » أفلوطين المصرى ، الذى يتمثل فى الواحد ، والعقل ، ونفس العالم ، ولو فتشنا على الألفاظ الدالة ، على هذه المعانى الثلاثة فى المصدر النصى للمسيحية ، وجدناها : الله ، كلمة الله ، الروح القدس .
(البهى : الجانب الالهى ٠٠ ج ١ ص ١١٣)

(١) يشير إلى قوله تعالى :

« يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ » (النساء : ١٧١) .

(٢) يشير إلى قوله تعالى :

« إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ » (آل عمران : ٤٥) .

(٣) فى ع : « نعم ! وأين الاوجه فى الدنيا والآخرة ٠٠ » .

(٤) يشير إلى قوله تعالى :

« وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا =

[معجزات الحواريين]

ثم أنه أيد بإحياء الموتى بعض الحواريين(١) . فأحيوا الموتى . كمثل ما فعل المسيح .

= تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُم مُؤْمِنِينَ » (آل عمران : ٤٩) .

(١) ورد فى الانجيل فقرات متعددة ، تشير الى أن عيسى عليه السلام ، أمر حوارييه أن يقوموا بأفعال خارقة ، كتلك التى أظهرها الله على يديه **تأييدا له واظهارا لمن أنكر بعثته ، وجحد أنه مؤيد من الله :**

«وَقَالَ لَهُمْ: اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا. مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ. وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنْ. وَهَذِهِ الْآيَاتُ تَتْبَعُ الْمُؤْمِنِينَ. يُخْرِجُونَ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِي وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ جَدِيدَةٍ. يَحْمِلُونَ حَيَّاتٍ وَإِنْ شَرِبُوا شَيْئًا مُمِيتًا لَا يَضُرُّهُمْ وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْمَرْضَى فَيَبْرَأُونَ »
(مرقس ١٦ : ١٥ ـ ١٨) .

« هَا أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَانًا لِتَدُوسُوا الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ وَكُلَّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ وَلَا يَضُرُّكُمْ شَيْءٌ »

(لوقا ١٠ : ١٩) .

ويبدو من هذه النصوص ، أن عيسى عليه السلام ، لم يشر الى أنهم يستطيعون احياء الموتى ، بل أن ايمانهم يعطيهم قوة خارقة ، للسيطرة على الشياطين ، وفى سحق العقارب وهزيمة الاعداء ، وقد يكون ذلك مجازا لما يستطيع المؤمن القيام به ، نتيجة زيادة الدفع الايمانى ، الذى يكمن بين جنباته .

غير أن هناك نصا فى الانجيل يشير الى أن عيسى أرسل حوارييه الاثنى عشر ، **وأمرهم ـ فيما أمرهم به ـ باحياء الموتى :**

«هؤُلَاءِ الِاثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلاً . إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لَا تَمْضُوا وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لَا تَدْخُلُوا بَلْ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ. وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ اكْرِزُوا قَائِلِينَ إِنَّهُ

وأرسلهم المسيح إلى جميع الأجناس[1] .

قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتَ السَّمٰوَاتِ . إشْفُوا مَرْضَى . طَهِّرُوا بُرْصًا . أَقِيمُوا مَوْتَى . أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ »

(متى ١٠ : ٥ ـ ٨) .

فقـوله : « أقيموا موتى » يحتمل أن يـكون تعبيرا مجازيا على حـد قولهتعـالى :

«أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا » .

(الانعـام : ١٢٢) .

اذن ، ليس هناك فى الاناجيل الأربعة ، نص يدل صراحة ، على أن الحواريين أحيوا الموتى ، ولكن جاء في أعمال الرسـل :

«...فَقَامَ بُطْرُسُ وَجَاءَ مَعَهُمَا . فَلَمَّا وَصَلَ صَعِدُوا بِهِ إِلَى الْعِلِّيَّةِ فَوَقَفَتْ لَدَيْهِ جَمِيعُ الْأَرَامِلِ يَبْكِينَ وَيُرِينَ أَقْمِصَةً وَثِيَابًا مِمَّا كَانَتْ تَعْمَلُ غَزَالَةُ وَهِيَ مَعَهُنَّ فَأَخْرَجَ بُطْرُسَ الْجَمِيعَ خَارِجًا وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْجَسَدِ وَقَالَ يَا طَابِيثَا قُومِي . فَفَتَحَتْ عَيْنَيْهَا ، وَلَمَّا أَبْصَرَتْ بُطْرُسَ جَلَسَتْ . فَنَاوَلَهَا يَدَهُ وَأَقَامَهَا . ثُمَّ نَادَى الْقِدِّيسِينَ وَالْأَرَامِلَ وَأَحْضَرَهَا حَيَّةً »

(أعمال الرسل ٩ : ٣٩ ـ ٤١)

ولا يخفى على القارىء أن أعمال الرسل ، تأتى فى مرتبة تلى مرتبة الاناجيل ، فهى ليست وحيـا ـ يتفق فى ذلك علماء المسيحية ـ بل تعبيرا عن رأى كاتبها ولم يتفق علماء العقائد المسيحية ، على حجيتها فى التشريع . (راجع هذا الموضوع عند ابن حزم : الفصل جـ ٢ ص ٢٢) .

(١) جاء فى انجيل متي :

« ... فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلاً . دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ . فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالِابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ »

(متى ٢٨ : ١٨ ـ ١٩) .

. . . .

وفى انجيل مرقس :

«...وَقَالَ لَهُمُ اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا»

(مرقس ١٦ : ١٥) ٠

وفى انجيل لوقـا :

« ... وَقَالَ لَهُمْ هٰكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ وَهٰكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الْأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ . وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الْأُمَمِ »

(لوقا ٢٤ : ٤٦ ــ ٤٧) ٠

ما مدى حجية هذه النصوص :

ان خير اجابة على هذا السؤال ، أن نستعرض بايجاز ، تاريخ تدوين هذه الاناجيل التى اشتملت على هذه النصوص :

متى : أحد تلاميذ المسيح ، الاثنى عشر ، الذين لازموه ، وعاشوا معه ٠ وتقول المصـادر المسيحية ، انه كتب انجيله باللغة العبرية ، لليهود ، وقـد ضاعت النسخة الأصلية ، ولم يبق الا ترجمتها اليونانية ٠

واختلفوا فى تاريخ تدوينه ، فقيل : سنة ٣٧ ، أو سنة ٣٨ ، أو سنة ٤١ ، أو سنة ٤٣ ، أو سنة ٤٨ ، أو سنة ٦١ ، أو سنة ٦٣ ، أو سنة ٦٤ من الميـلاد ٠

غير أن النقاد ينكرون نسبة الانجيل الى متى ــ كما يروى «ول ديورانت» ــ ويرون أنه من تأليف أحد أتباعه ، وقد نسبه الى الحوارى ، ليقع من الناس موقع الاطمئنان والقبول ٠

ومما يزيد **الشك** فى صحة هذا الانجيل ، أن المصادر المسيحية ، لم تذكر اسم المترجم ، فبين أيدينا كتاب ، لا يعرف على وجه التأكيد اسـم مؤلفه ، ثم ضاعت النسخة الأصلية ، ووجدت ترجمتها ، ولا نعرف شيئا عن الشخص الذى ترجمها ، حتى اسمه مجهول لنـا ٠ فكيف يعتمد عليه ؟ وهل يعقل أن نصدق بأن كتابه مقدس ؟

مرقس : ليس منالحواريين ، ولم يجتمع بالسـيد المسـيح ، وان عـد من السبعين ويقال : انه بشر بانجيله فى الاسكندرية ، باللغة اليونانية ٠ ويختلفون فى تاريخ تدوينه ، فقيل : سنة ٥٦ أو ما بعدها الى ٦٥ ، والأغلب أنه ألف سنة ٦٠ ، أو سنة ٦٣ من الميلاد ٠ كما اختلفوا أيضا فى نسبة هذا الانجيل اليه فقيل : ان بطرس كتبه رواية عن « مرقس » مع ان بطرس هو رئيس

• • • • • • • • • • •

الحواريين ، فكيف ينقل عن شخص ، لم ير المسيح ؟ وبعضهم يشك فى نسبة الباب الأخير اليه •

كذلك اختلفوا فى مولد ، وصناعة مرقس ، فقيل : انه انطاكى ولد بانطاكية • وقيل : انه رومانى ولد بايطاليا • كما قيل : انه كان طبيبا • وقيل : انه كان مصورا •

لكنهم اتفقوا على أنه من تلاميذ « بولس » ورفقائه ، ولم يكن من تلاميذ المسيح ، ولا من تلاميذ حواريه • « ولبولس » هذا شأن خطير فى صياغة المسيحية ، كما سنعرض له ، بعد أن ننتهى من بيان حال الاناجيل الأربعة •

لوقا : ليس من الحواريين الاثنى عشر ، وانما هو من السبعين ، وقد بشر بانجيله باليونانية • ويعلن لوقا فى مقدمة انجيله أنه يهدف بتأليفه الى هداية الكفار ، لا اليهود •

اختلف فى تاريخ تدوينه ، فقيل : سنة ٥٣ ، أو سنة ٦٣ ، أو سنة ٦٤ من الميلاد • ويشك العلماء فى نسبة بعض الأبواب اليه ، فيقول « وارد كاتلك » : صرح « جيروم » فى مكتوبه ، أن بعض القدماء ، كانوا يشكون فى بعض الآيات من الباب الثانى والعشرين ، من انجيل لوقا ، وبعض القدماء كانوا يشكون فى البابين الأولين ، من هذا الانجيل • وما كان هذان البابان فى نسخة فرقة مارسيونى » •

واختلفوا فى شخصية لوقا ، وفى صناعته ، وفى القوم الذين كتب لهم هذا الانجيل ، لكنهم اتفقوا على أنه ليس من تلاميذ المسيح ، وأنه كان صديقا « لبولس » •

يوحنا : يعتقد جمهور المسيحيين ، أن انجيل يوحنا ، من تأليف الحوارى يوحنا بن زبدى الصياد ، ويختلفون فى تاريخ تدوينه ، فيقولون : سنة ٦٨ ، أو سنة ٦٩ ، أو سنة ٧٠ ، أو سنة ٩٧ ، أو سنة ٩٨ من الميلاد •

وينكر المحققون ، نسبة هذا الانجيل « ليوحنا » الحوارى ، ويرون أن كاتبه ، رجل آخر ، يتفق مع الحوارى فى الاسم فقط • ويدعم هذا الرأى ، أن علماء المسيحية فى القرن الثانى الميلادى ، أنكروا نسبة هذا الانجيل الى يوحنا الحوارى ، وسمع ذلك الانكار « أرينتوس » تلميذ « بوليكارب » الذى هو تلميذ يوحنا الحوارى ، فلم يرد عليهم ، بأنه سمع صحة نسب الانجيل الى الحوارى من « بوليكارب » •

ومن المستبعد ، أن « أرينتوس » لم يسمع ذلك من « بوليكارب » ، وهو الذى روى عنه أشياء ، أقل أهمية من ذلك بكثير •

وليس صحيحا أنه نسى ذلك ، لأنه كان مشهورا بقوة الحافظة ، فقد روى عنه أنه كان يقول : « سمعت هذه الأقوال بفضل الله ، بالامعان التام ، وكتبتها فى صدرى ، لا على الورق » •

كتب « استادلين » فى كتابه : أن كاتب انجيل يوحنا ، طالب من طلبة الاسكندرية ، بلا ريب ٠

وقال المحقق « برطشنيدر » : ان هذا الانجيل كله ، وكذا رسائل « يوحنا » ليست من تصنيفه ، بل صنفها واحد فى ابتداء القرن الثانى الميلادى ٠

أضف الى ذلك كله ، أن العلماء فى « القرون الأولى من الميلاد ، صرحوا بأن الاناجيل حرفت أكثر من مرة ، فقد كان « سلسوس » ـ وهو من علماء المشركين الوثنيين ـ يصيح فى القرن الثانى : بأن المسيحيين بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات ٠ وأن « فاسنس » ـ وهو من علماء فرقة مانى ـ كان يصيح فى القرن الرابع : بأن هذا العهد الجديد ، ما صنفه المسيح ، ولا الحواريون ، بل صنفه رجل مجهول الاسم ، ونسب الى الحواريين ورفقاء الحواريين ليعتبره النـاس ٠

ونستخلص من ذلك :

١ ـ نسبة الاناجيل الى كاتبها ـ « متى » و « مرقس » و « لوقا » و « يوحنا » ـ مشكوك فيهـا ٠

٢ ـ يكاد يجمع العلماء ، على أن « يوحنا » الحوارى ، لم يكتب هذا الانجيل المنسوب اليه ، فقد جاء فى دائرة المعارف البريطانية :

« أما انجيل يوحنا ، فانه لا مرية ، ولا شك كتاب مزور ، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضها لبعض ، وهما القديسان : « يوحنـا » ، « ومتى » ٠ وقد ادعى هذا الكاتب المزور ، فى الكتاب ، أنه هو الحوارى الذى يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة هذه الجملة ، على علاتها ، وجزمت بأن الكاتب ، هو « يوحنا » الحوارى ، ووضعت اسمه على الكتاب نصـا ، مع أن صاحبه غير « يوحنـا » يقينا ٠ ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراه ، التى لا رابطة بينها ، وبين ما نسبت اليه ، وانا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ، ليربطوا ، ولو بأوهى رابطة ، ذلك الرجل الفلسفى ـ الذى ألف هذا الكتاب فى القرن الثانى ـ بالحوارى « يوحنـا الصياد الجليل ، فان أعمالهم تضيع عليهم سدى ، لخبطهم على غير هـدى ٠٠ » ٠

٣ ـ لم يكن « لوقا » ـ ولا « مرقس » ـ من الحواريين الاثنى عشر ، وأغلب الظن أنه لم يكن يهوديا ، بل كان صديقا « لبولس » ـ كما كان « مرقس » أيضا ـ وهذا يعطى ضوءا على ورود النص السابق فى انجيله ، اذا عرفنا أيضا أن الاناجيل قد حرفت ، وبدلت أكثر من مرة ، وأن « بولس » كان المصدر الرئيسى للتشريع المسيحى ٠

وأمرهم بإفشاء أمره . بعد أن كان يشرح[١] لهم شرائعه بنفسه ، ورآه الناس بأعينهم . وهو يتواضع . فوجب عليهم[٢] أن يفعلوا كما رأوا خالقهم يفعل .

[كيفية الحلول وتعليله]

لأنه عز وجل ، لما كلم معالم على ألسنة أنبيائه ، الذين جعلهم رسله ووسائطه[٣] إلى خلقه ؛ ليعلموهم[٤] الإقرار بربوبيته ، ولينهوهم عن عبادة

وعليه فيكون من الراجح ، أن مصدر هذا النص ، هو « بولس » ، الذى يقول علماء الاديان عنه ، انه نقل المسيحية من ديانة محلية خاصة باليهود الى ديانة عالمية « لجميع الأمم » . (انظر

انظر Nölle, unter Paulus and Anwander, unter Apostél.

والذى دفعه الى ذلك ، أنه كان بحكم نشأته وثقافته ومولده ، مهيأ لأن يلعب هذا الدور ، فقد كان والده مواطنا رومانيا ، ورث عنه ابنه « بولس »، هذا الحق الثمين ، فكان يعيش بين اليهود ، وفى اليهود بهذا الامتياز ،الذى انتفع به ، فى كثير من مواقفه .

ولاشك أن هذه « الرعوية الرومانية » ، التى كانت ميراثا فى بيتـه قد أثرت تأثيرا مباشرا ، وغير مباشر ، فى حياة الأسرة المـادية ، والعقلية ، ووثقت الصلة بينها وبين العقلية الرومانية .

لقد عزل بولس المسيح عن اليهود ، وجعله مسيحـا غير « المسـيا » الذى ينتظرونه لخلاصهم . وذلك ليستطيع أن يجعل منه الاله ، الذى تجسد ، ثم صلب من أجل خلاص العالم ، لا من أجل خلاص اليهود وحدهم ، وبهذا يضمن لدعوته ، مجالا يتحرك بها فيه ، فى الامبراطورية الرومانية بيـن الرومان ، والشعوب الخاضعة لدولتهم .

(رحمة الله الهندى جـ ١ ص ٧٦ ـ ٨٠ ، ول ديورانت : ج ١٢ ص٢٦٦ ، الخطيب : المسيح . . ص ٨٥ وما بعدها) .

(١) فى ج : « يدل » وفى ت : « بذل » وفى ع : « بعد أن كان هو يدل » .

(٢) فى ج : « فيجب لهم » وفى ع : « فيجب عليهم » .

(٣) فى ج : « ووسائله » .

(٤) فى ج : « ليعلمهم » .

الأوثان والأصنام[١] الفاشية ضلالتها فى جميع الأرض ، ولم يمتثلوا لهم ، نزل هو سبحانه ، بعد ذلك من السماء ، ليكلم الناس بذاته ، لئلا تكون لهم حجة عليه ، فتنقطع حجتهم حينئذ ، من أجل أن كلمهم بذاته ، لا بواسطة بينهم وبينه ، فارتفعت المعاذير عمن ضيع عهده ، بعد ما كلمه بذاته ، إتماما لرحمته على الناس .

فهبط بذاته من السماء ، والتحم فى بطن مريم العذراء[٢]

---

(١) فى ج ، ت ، ع : « وشرعوا لهم ترك أوثانهم وأصنامهم » .
اضطرب القاموس فى تحديد معنى الوثن والصنم ، ففى باب الوثن تجد : الفرق بين الثن والصنم ، أن الوثن : كل ماله جثة معمولة ، من جواهر الأرض ، أو من الخشب والحجارة كصورة الآدمى ، وتنصب فتعبد .
وتحت باب الصنم نقرأ :
الصنم : هو ما اتخذ الها من دون الله ، وقيل هو ماكان له جسم أو صورة ، فان لم يكن له جسم أو صورة فهو وثن .
ويحتمل أن يكون سبب هذا الاضطراب ، أن الكلمتين تطلقان على المعنيين ، كما ذهب بعض العلماء ، اذ لم يفرقوا بينهما وأطلقوها على كلا المعنيين .

(٢) جاء فى انجيل متى :
« هُوَ ذَا ٱلْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ٱبْنًا وَيَدْعُونَ ٱسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ ٱلَّذِى تَفْسِيرُهُ ٱللهُ مَعَنَا »

(متى ١ : ٢٣)

وفى لوقا :

« وَفِى ٱلشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ ٱلْمَلَاكُ مِنَ ٱللهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ ٱلْجَلِيلِ ٱسْمُهَا نَاصِرَةُ إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ ٱسْمُهُ يُوسُفُ . وَٱسْمُ ٱلْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ »

(لوقا ١ : ٢٦ ـ ٢٧)

البتول[١]. أم النور فاتخذ[٢] [لنفسه] منها حجابا كما سبق فى حكمته الأزلية ، لأنه فى البدء كانت الكلمة ، والكلمة هو الله ، وهو مخلوق من طريق الجسم ، وخالق من طريق النفس[٣] هو خلق جسمه ، وهو خلق أمه ، وأمه كانت من قبله.

فما معنى كلمة العذراء ؟
فسر علماء اليهود كلمة العذراء ، التى وردت فى كتاب أشعياء :

« هَا ٱلْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ٱبْنًا وَتَدْعُو ٱسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ »

(أشعياء ٧ : ١٤)

بأنها المرأة الشابة ، سواء فضت بكارتها أم لا .

وفسر هذا اللفظ بالمرأة الشابة فى التراجم اليونانية الثلاثة ، وعليه فيكون متى مخطئا ، فى نقل نص أشعياء ، لأن المسيح عليه السلام ، لم يدع بعمانوئيل اطلاقا ، والاستدلال به على أن العهد القديم ، قد بشر بالمسيح ، استدلال باطل .

أما علماء الاسلام فيذهبون الى أن المراد بعذرية مريم ، طهارتها وعفتها كما قال القرآن الكريم على لسانها :

« أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا »

(مريم : ٢٠) .

(١) البتول من النساء : المنقطعة عن الرجال ، لا أرب لها فيهم ، وبها سميت مريم أم المسيح . والتبتل : ترك النكاح ، والزهد فيه ، والانقطاع عنه .

(٢) فى ج ، ع : « فأخذ » .

(٣) جاء فى إنجيل « متى » :

« فَقَالَ لِلتَّلَامِيذِ ٱجْلِسُوا هَهُنَا حَتَّى أَمْضِيَ أُصَلِّيَ هُنَاكَ . ثُمَّ أَخَذَ مَعَهُ بُطْرُسَ وَٱبْنَيْ زَبْدِي وَٱبْتَدَأَ يَحْزَنُ وَيَكْتَئِبُ فَقَالَ لَهُمْ نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى ٱلْمَوْتِ »

(متى ٢٦ : ٣٦ ـ ٣٨) .

فى الناسوت وهو كان من قبلها فى اللاهوت ، وهو الإله التام ، وهو الإنسان التام (١) .

وفى إنجيل « يوحنا » :

« اْلآنَ نَفْسِي قَدِ اضْطَرَبَتْ » (يوحنا ١٢ : ٢٧) .

فهذا يبطل ما جاء فى النص : « وخالق من طريق النفس » ، اذ نسبة الحزن والاكتئاب ، الى النفس يدل على أنها مخلوقة ، لا خالقة ونسبة الفعل اليها ، وهو (الحزن) يدل على أنه كان له جسد بشرى ، ولا يأتى هذا الا اذا كانت له نفس مخلوقة ، لها خصائص بشرية ، فصورة الانسان ، وكذلك أعضاء جسمه ، تكتسب خصائصها من النفس . اذن من الخطأ القول : بأن هناك فرقا بين جسد المسيح ، ونفسه ، فلا يوجد أحدهما بدون الآخر .

ذهب الى ذلك بعض الفلاسفة ، فقد رأى أرسطو أن الانسان لديه جوهر واحد كالتمثال تماما ، فالجسد مادته ، والنفس صورته ، وفيه تتخد المادة والصورة اتحادا جوهريا كما أنه لا يمكن فصل صورة التمثال عن الحجر أو الرخام ، الا بتحطيم التمثال نفسه . كذلك لا يمكن فصل النفس عن البدن ، الا بالقضاء على هذا الأخير . ومعنى ذلك أن أرسطو يجزم بأن المادة والصورة يكونان جوهرا واحدا فلا تنفك احداهما عن الأخرى بحال ما ، ويترتب على هذا أنه ليس من الممكن القول باستقلال النفس عن الجسم ، أو بأن لهذا الأخير وجودا مستقلا دونها ، ولذا فالبدن جزء من ماهية النفس ، وكيف يجوز لنا أن نعدها جوهرا مستقلا ، وهى لا تؤدى وظائفها المختلفة ، الا اذا استعانت بالجسم على نحو ما ؟ فهى تستخدم الحواس فى الابصار ، والسمع ، واللمس ، والذوق ، والشم ، وهل لها أن تتخيل ، أو تشتهى أو تغضب ، دون أن تكون على صلة وثيقة بالبدن ؟ (قاسم ص ٦٧ ـ ٦٨) .

(١) بدأ « يوحنا » إنجيله بهذا المقطع :

« فِي اْلبَدْءِ كَانَ اْلكَلِمَةُ وَاْلكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ . وَكَانَ اْلكَلِمَةُ اللهَ . . . كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ . فِيهِ كَانَتِ اْلحَيَاةُ وَاْلحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ . . وَاْلكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا » . (يوحنا ١ : ١ ـ ١٤) .

فهم دعاة المسيحية من هذا النص أن الكلمة هى الله ، وأن الله هو الكلمة ، وأن الكلمة قد خلق كل شىء ، وأنه صار جسدا ، وحل بيننا فى شخص المسيح .

[الصلب كما يراه المسيحيون]

ومن تمام رحمته على الناس ، أنه رضى بإراقة(١) دمه – [ليرفع] عنهم [وزر خطيئة آدم] –(٢) فى خشبة الصليب ، فـكن اليهود – أعداءه – من نفسه ، ليتم سخطه عليهم ، فأخذوه ، وصلبوه ، وغار(٣) دمه فى إصبعه ، لأنه لو وقع منه شىء فى الأرض ليبست ، إلا شىء يسير وقع فيها ، فنبت فى موضعه النوار(٤) لأنه لما لم يكن فى الحكمة الأزلية ، أن لا ينتقم الله من عبده العاصى آدم(٥) الذى ظلمه ، واستهان بقدره ، ولم يرد الله الانتقام منه ، لاعتلاء منزلة السيد وسقوط منزلة العبد .

ويرد القرآن دعواهم هذه فيقول :

« لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » (المائدة : ١٧) .

(١) فى ج : « بهرق » وفى ت ، ع : « باهراق » .

(٢) زدنا ما بين القوسين المعقوفين وكذلك وضعنا علامة الجملة المعترضة لتفهم العبارة .

(٣) غار يغور غورا : أتى الغور . وغار الماء : ذهب فى الأرض .

(٤) لم تذكر الاناجيل الأربعة أن دمه غار فى أصبعه ، ولم تشر الى هذا النبت الذى خرج من الموضع الذى وقع فيه شىء من دمه ، ولكن ورد هذا فى الأساطير التى حكيت حول أحداث الصلب .

(٥) غفر الله لآدم خطيئته فقال تعالى :

« ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ » (طه : ١٢٢) .

لكن المسيحيين يصرون على أن الله لم يغفر له هذه الخطيئة ، ليبرروا اعتقادهم فى أن المسيح قد صلب تكفيرا لها ، كى يخلص البشرية من وزرها .

أراد [الله] أن ينتصف من الإنسان الذى هو إله مثله ، فانتصف من حطيئة آدم ، بصلب عيسى المسيح ، الذى هو إله مثله[١] .

فصلب ابن الله عز وجل الذى هو الله ، فى الساعة التاسعة من يوم الجمعة ، صلبته اليهود الملاعين[٢] .

واليهود تقر أنها صلبته ، وأنتم تنكرون ذلك[٣] كفراً منكم ، لأن إنكار الصلب منكم كفر[٤] من ينكرها فهو كافر ، ولكنكم تعظمون المسيح ، فمن أجل ذلك أرتجى منكم أن يهديكم الله إلى الحق .

[دعوة القسيس أبا عبيدة إلى الايمان بعقيدة المسيحيين فى المسيح]

وما عقائدكم كلها إلا حسنة ، وكان عندكم عدل كثير فى أصل دينكم وخير شامل فلو آمنتم بالمسيح وقلتم :

إنه هو الله ، خالق السماوات والأرض لكمل إيمانكم ، ولا شك أنك تقرأ التوراة . والزبور . والنبوات[٥] فاعتبر ! فيها شواهد على ذلك كله .

---

(١) فى ت : « الذى هو الله متساو معه » .

(٢) اقرأ أخبار الصلب عند « متى » ٢٧ ، « مرقس »١٥ ، « ولوقا » ٢٣ ، « ويوحنا » ١٩ .

(٣) لأن الله يقول فى كتابه الكريم :

« . . وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ » .

(النساء ١٥٧) . انظر مالك بن بنى : ٣١٩ ـ ٣٢٠ .

(٤) فى ج ، ع : « لأن انكار الصلوبية عندنا كفر » .

(٥) يطلق اسم التوراة ، على الكتب الخمسة الأولى ، من الكتاب المقدس ، ومعنى التوراة فى اللغة العبرية القانون . جاء في دائرة معارف لاروس تحت كلمة توراة ما يأتى :

[صيغة الصلاة عند المسيحيين]

وصلاتنا[1] أحسن صلاة تقرأ ، وهى هذه :

« العلم العصرى ، ولاسيما النقد الألمانى ، قد أثبت بعد أبحاث مستفيضة فى الآثار القديمة ، وعلم اللغات ، أن التوراة لم يكتبها موسى ، وأنها عمل أحبار ، لم يذكروا اسمهم عليها (انظر سبينورزا ص ٢٦٥ ـ ٢٧٥) ألفوها على التعاقب معتمدين فى تأليفها ، على روايات سماعية قبل أسر بابل ، بل ذهب بعض العلماء الى أن هذه الأسفار الخمسة ، ليس فيها كل الروايات الاسرائيلية ، لكنها تحتوى فقط ، على اشارات ، ورموز ، وحكايات ، وأن هجرة مصر ، ما هى الا قصة وهمية ، أو حادثة رمزية ، ليس لها أدنى أصل حقيقى » ٠

لئن صح ما قاله العلماء ، من أن موسى لم يكتب التوراة الموجودة بين أيدينا ٠ فلا يمكن ـ نحن المسلمين ـ أن نتفق معهم ، فى أن هجرة بنى اسرائيل ، قصة خرافية ، لأن القرآن الكريم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، أخبرنا أن يوسف ، واخوته ، جاءوا الى مصر (اقرأ سورة يوسف) وأن ذريتهم ، خرجوا منها الى سيناء بزعامة موسى عليه السلام (اقرأ سورة طه ٩ ـ ٩٩ ، والشعراء ١٠ ـ ٦٧) ٠

الزبور : الكتاب جمعه زبر ، وقد غلب لفظ الزبور على الكتاب الذى أنزل الى داود عليه السلام ، فقوله تعالى :

« وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا »

(النساء ١٦٣)

أى وأعطينا دواود ، كتابا خاصا ، مزبورا ، فالزبور بمعنى المزبور ، كالركرب بمعنى المركوب وهو المكتوب ، وكل كتاب فهو مزبور ، ومنه قول امرىء انقيس :

لمن طلل أبصرته فشجانى   كخط زبور فى عسيب يمانى

هل الزبور الذى أنزل على داود هو المزامير الموجود فى العهد القديم الذى بين أيدينا ؟ يشك باحثو الاديان ، فى نسبة المزامير ، الى داود عليه السلام ٠

(انظر سبينوزا ص ٣٠٩)

النبوات : هى أخبار أنبياء بنى اسرائيل ، الملحقة بالعهد القديم ٠

(١) فى ج : « وصلواتنا » ٠

أبانا الذى أنت فى السماء تقدس اسمك ، وليأت[١] ملكك ، ولكن إرادتك فى السماء مثلها فى الأرض .

أعطنا خبزنا ، كفافنا[٢] ، واغفر لنا ذنوبنا ، كما نغفر نحن لمن أذنب إلينا ، ولا توقعنا[٣] فى المحن ، وسلمنا من الشرور[٤] .

[نزول النور فى بيت المقدس]

فهذه صلاتنا[٥] ، [. . .][٦] وينزل الله علينا من السماء النور ، فى

---

(١) فى ج : « وات » بدون نقطة على الحرف الواقع بعد الالف .

(٢) فى ج ، « الماتم » بدون نقط ، وفى ت : « الملايم » وساقطة من ع فوضعنا كلمة كفافنا الواردة فى انجيل « متى » .

(٣) فى ج : « توسقنا » بدون نقطة على الحرف الواقع بعد الواو .

(٤) جاءت صيغة الصلاة فى انجيل « متى » على النحو التالى :

« أَبَانَا ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمٰوَاتِ ، لِيَتَقَدَّسِ ٱسْمُكَ لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ ، لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ فِى السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ عَلَى ٱلْأَرْضِ خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا ٱلْيَومَ ، وَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضًا لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا . وَلَا تُدْخِلْنَا فِى تَجْرِبَةٍ . لَكِنْ نَجِّنَا مِنَ ٱلشِّرِّيرِ . لِأَنَّ لَكَ ٱلْمُلْكَ وَٱلْقُوَّةَ وَٱلْمَجْدَ إِلَى ٱلْأَبَدِ آمِينَ » .

(متى ٦ : ٩ ــ ١٣)

وزاد فى ع : « السلام عليك يا مريم ، يا ممتلئة ، نعمة الرب معك ، مباركة أنت فى السماء ، ومبارك هو ثمرة بطنك يسوع . يا قديسة مريم ، يا والدة الله ، صلى لاجلنا نحن الخطاة ، الآن ، وفى ساعة موتنا . آمين »

(٥) فى ج : « صلواتنا »

(٦) زاد فى ع تفصيلا لأركان المسيحية الخمسة ، فوجزها فيما يلى :

(أ) التغطيس ، ذلك أن فى كل كنيسة حوضا ، يملاه القسيس بالماء ، ويقرأ عليه شيئا من الانجيل ، ويرمى فيه ملحا أو شيئا من دهن البلسان . فاذا أراد أحد اعتناق النصرانية ، يقام له احتفال يحضره بعض الأعيان ،

كل سنة فى بيت المقدس[١] .

ويتلو فيه القيسيس عليه مبادىء المسيحية ، ثم يسأله : هل آمنت بهذا كله ؟ فيقول : نعم ، وحينئذ يأخذ القسيس جزءا من الماء المذكور ، ويسكبه عليه ، وهو يقول : وأنا أغطسك باسم الأب والابن ، والروح القدس ، ثم يمسح الماء عنه بمنديل ، وينصرف ، وقد أصبح مسيحيا ٠

ويقام هذا الاحتفال لأولاد المسيحيين ، فى اليوم الثامن من ولادتهم ، غير أن أبا الطفل هو الذى يجيب على سؤال القسيس ، ولا يمكن أن يعتبر أحد مسيحيا ، الا بعد أن تقام له هذه الطقوس ٠

(ب) الايمـان التثليث ٠

(جـ) الاعتقاد بأن أقنوم الابن قد التحم بعيسى فى بطن مريم ٠

(د) الايمان بالقربان ، وهو الاعتقاد بـأن فطيـرة من خبـز ، اذا قـرأ عليها القسيس بعض كلمات تصير بعينها جسد المسيح ، كما أنه اذا قرأ على بعض شراب الخمر ، فانه يصير دم عيسى ٠ وتجرى طقوسا فى الكنيسة ، فبعد أن يتم صنع الفطيرة ، يأمر القسيس بضرب ناقوس الكنيسة ، فيأتى المسيحيون ، ويقفون صفوفا ، ثم يتقدم القسيس أمام الصفوف ويستقبل المشرق ، ويقوم ببعض الطقوس ، ثم يأكلون الفطير ، على أنهـا جسـد المسيح ، ويشربون الخمر على أنه دم عيسى ، وذلك كما فعل المسيح ليلة القبض عليه كما يزعمون ٠

انظر متى ٢٦ : ٢٦ ـ ٣٠ ومرقص ١٤ : ٢٢ ـ ٢٦ ، ولوقا ٢٢ : ١٩ ـ ٢٠ ٠

(هـ) الاقرار بجميع الذنوب للقسيس ، اذ يعتقد المسيحيـون أنه لا يمكن دخول الجنة ، الا بعد الاقرار بالذنوب للقسيس ٠

هذه هى أركان شريعتنا ، ألفها ، واتفق عليها ائمتنا ، وفقهاؤنا فى زمن « قسطنطين » الرومانى ٠ ثم أورد نص القرار الذى أصدره مجمع « نيقية » وختم ذلك بقوله :

« فهذه هى عقائدنا ، التى أجمعت عليها جميع فرقنا ، واتفقوا على أنه لا يتم لنا عيد ، ولا قربان ، الا بها ، فانظر ، وتأمل الى معانيها الشريفة وحكمها العظيمة ، عسى الله أن يلهمك بأسرارها ، فتتخلص مما أنتم عليه من الأباطيل » ٠

(١) يعتقد المسيحيون ، أن قيام عيسى من القبر ، هو نور الهى ، أرسله الله الى البشرية ليهديها الى « الطريق المستقيم » ، لذلك يحتفلون كل عام بهذه المناسبة ، فى كنيسة القيامة فى القدس ، وتتضمن مراسيم الاحتفال اطفاء أنوار الكنيسة ، واشعال النار فى مكان اتخذوه رمزا ، لقبر عيسى ـ فهو المكان الذى دفن فيه كما يزعمون ـ يشعل المحتفلون الشموع من

[مكانة المطارن عند المسيحيين]

وقد جعل الله فى أيدى المطارين[١] مالم يجعله فى يد أحد ، وذلك أن[٢] كل ما يفعلونه فى الأرض يفعله الله فى السماء ، فإذا أذنبنا ، فهم الذين يقبلون التوبات[٣] ويعفون عن السيئات ، بأيديهم صلاح الأحياء والأموات .

هذه النار ، ويدخلون بها الى الكنيسة المظلمة ــ بعد اطفاء أنوارها ــ ليضيئوها « بنور المسيح » .

ويعتقد كثير من المسيحيين ، أن هذه النار نزلت عليهم من السماء .

بين أبو عبيدة فى رده على القسيس هذه الخدعة ، فليرجع اليها القارىء .

وكان قيصر روسيا ــ قبل قيام الثورة البلشفية ــ يرسل كل عام سفينة الى القدس محملة شموعا ، لاشعالها من هذه النار ، لتضاء بها كنائس روسيا .

(١) المطران والمطران : رئيس الكهنة ، وهو فوق الأسقف ودون البطريرك جمعها : مطارنة ومطارين .

وتتدرج الألقاب الكهنوتية على النحو التالى :

١ ــ شماس ٢ ــ قسيس . ٣ ــ أسقف . ٤ ــ مطران .
٥ ــ بطريك . ٦ ــ بابا .

(٢) فى ج : « أنهم » وفى ت : « أن جميع » ، وفى ع : « أنهم كلما يفعلونه » .

(٣) منحت المجامع الدينية البابا ، سلطات دينة ترفعه الى مرتبة غفران الذنوب ، فقد قرر مجمع روما المنعقد سنة ١٢١٥ م أن الكنيسة البابوية ، تملك حق الغفران وتمنحه لمن تشاء .

ومن يملك حق الغفران ، يملك بالتالى حق الحرمان !!!

وقد باشر رجال الدين فى الكنيسة ، هذه السلطة وتوسعوا فيها ، فأخذوا يبيعون صكوك الغفران ، ويصدرون قرارات الحرمان ، حتى لو تعلقت بالملوك والعظماء .

وشاع بين المسيحيين ، أن الله يغفر لمن يرضى عنه آباء الكنيسة ، فانتشرت صكوك الغفران ، وذاعت ، ومارستها كل الكنائس ، التى كانت تخضع للكنيسة البابوية ، فكان المذنب يدفع قدراً من المال ، فى مقابل الحصول على صك مكتوب فيه :

. . . .

« ربنا يسوع المسيح يرحمك يا ...: (يكتب اسم الذى سيغفر له) ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية القداسة ، وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لى ، أحلك من جميع القصاصات والأحكام ، والطائلات الكنسية ، التى استوجبتها ، وأيضاً من جميع الإفراط ، والخطايا ، والذنوب ، التى ارتكبتها ، مهما كانت عظيمة وفظيعة ، ومن كل علة ، وإن كانت محفوظة لأبينا ، الأقدس البابا ، والكرسى الرسولى ، وأمحوا جميع أقذار الذنب ، وكل علامات الملامة ، التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه الفرصة ، وأرفع القصاصات ، التى كنت تلتزم بمكابدتها فى المطهر ، وأردك حديثاً ، إلى الشركة فى أسرار الكنيسة وأقرنك فى شركة القديسين ، أردك ثانية إلى الطهارة ، والبر ، اللذين كانا لك عند معموديتك ، حتى إنه فى ساعة الموت يغلق أمامك الباب ، الذى يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب ، الذى يؤدى إلى فردوس الفرح ، وإن لم تمت سنين مستطيلة ، فهذه النعمة تبقى غير متغيرة ، حتى تأتى ساعتك الأخيرة ، باسم الآب ، والابن ، والروح القدس » .

ويعتمد أبناء الكنيسة فى غفران الذنوب ، على النص الذى جاء فى إنجيل يوحنا :

« مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرْ لَهُ . وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ »

[يوحنا ٢٠ : ٢٣]

[أنظر Stohlin S.58FF ، وشلبى ص ٨ — ٢٩]

أما الإسلام فيبين أن الله وحده ، هو الذى يغفر لمن يشاء ولا يمكن لأى إنسان — مهما بلغت منزلته — أن يدعى هذا الحق ، يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم :

« اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ » .

[التوبة ٨٠]

[ما أورده من شبهات]

وأما دينكم ، فقد ألف كثير من أساقفتنا كتباً ، فى الطعن فيه[١] ، وذكروا صاحب شريعتكم ، وحيله ، ووصفوا أشياء .

فرأينا أنكم لستم على الحق ، وإنما الحق معنا . ولا فائدة فى شريعتكم ، لأنا نجد الأحكام الشرعية حكمين :

[الشبهة الأولى]

الأول : الحكم التوراوى ، والذى هو من لطمك فالطمه[٢] .

الآخر : الإنجيلى ، الذى هو : من لطم خدك الأيمن فانصب له الأيسر[٣] .

---

(١) فى ج : « عليكم وفى ع : « عليه » .

(٢) لم يرد هذ التعبير فى التوراة ، وإنما ورد فى سفر اللاويين :

« وَإِذَا أَحْدَثَ إِنْسَانٌ فِى قَرِيبِهِ عَيْبًا فَكَمَا فَعَلَ كَذٰلِكَ يُفْعَلُ بِهِ . كَسْرٌ بِكَسْرٍ وَعَيْنٌ بِعَيْنٍ ، وَسِنٌّ بِسِنٍّ كَمَا أَحْدَثَ عَيْبًا فِى الإِنْسَانِ كَذٰلِكَ يُحْدَثُ فِيهِ »

[اللاويين ٢٤ : ١٩ — ٢٠]

(٣) جاء فى الإنجيل :

« سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ . وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ . بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا »

[مت ٥ : ٣٨ — ٣٩]

وأنت ترى فضل هذا على الأول ، ثم لا تجد لهذين الحكمين ثالثاً ، إلا كان داخلا فيهما[1] .

[الشبهة الثانية]

وأى دليل يطلب على أنكم على الحق ، أكثر من أن يكون مكتوباً فى كتابكم :

«فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ »[2]

والله قد قال فى التوراة :

لاَ يَتَزَوَّجُ الرَّجُلُ إِلاَّ امْرَأَةً وَاحِدَةً ، كَمَا كَانَ آدَمُ وَزَوْجَتُهُ »[3] .

(١) جاء الرد على هذه الشبهة فى الأصل فلاداعى للتكرار .

(٢) النساء ٣ .

(٣) لا يوجد هذا النص فى التوراة ، بل ورد فيها ما يخالف مفهومه فقد جاء فى سفر التكوين :

« وَاتَّخَذَ لاَمَكُ لِنَفْسِهِ امْرَأَتَيْنِ . اسْمُ الْوَاحِدَةِ عَادَةُ وَاسْمُ الأُخْرَى صِلَّةُ . . . وَقَالَ لاَمَكُ لِامْرَأَتَيْهِ عَادَةَ وَصِلَّةَ . اسْمَعَا قَوْلِي يَا امْرَأَتَيْ لاَمَكَ وَأَصْغِيَا لِكَلاَمِي . . » [تكوين ٤ : ١٩ - ٢٣]

كذلك جمع يعقوب بين امرأتين هما ليئة ، وراحيل . [تكوين ٢٩]

وهذا يدل على أن التعدد مباحا .

بل لم يرد نص فى الإنجيل ، يدل صراحة على أن التعدد حرام ، وإنما يعتمد المسيحيون فى تقييدهم الزواج بواحدة ، على نصوص يؤولونها تأويلا بعيداً عن مفهومها ، وعن السياق التى وردت فيه ، من ذلك مانشره أحد القساوسة فى مجلة الفكر الإسلامى . [العدد الثانى عشر من السنة الأولى ص٦٠-٦٢]

. . . .

« إن تعدد الزوجات هو على نوعين : تعدد الزوجات في وقت واحد وتعدد الزوجات بالتتابع ، فتعدد الزوجات في وقت واحد ، يقوم بأن يكون الرجل مقترناً بأ كثر من امرأة ويعيش معهن في آن واحد . بينما تعدد الزوجات بالتتابع ، يقتصر على أن يكون للرجل زوجة واحدة ، ولا يقترن بأخرى ، إلا إذا توفيت الأولى ، أو حل من ارتباطاته بها . فتتابع الزوجات بالتتابع معناه إذن : أن الرجل ليس مقترناً إلا بامرأة واحدة .والديانة المسيحية ما عرفت قط ـ وماأمكنها أن تعرف ـ تعدد الزجات في وقت واحد ، ولـكنها عرفت تعدد الزوجات بالتتابع ، وهذا لا يسمى تعدد زوجات .

جاء في الإنجيل المقدس ، أن التلاميذ سألوا السيد المسيح :

« أيحل لأحد أن يطلق امرأته لأية علة كانت » ؟ فأجاب :

« أما قرأتم أن الخالق منذ البدء جعلها ذكراً وأنثى وقال : لذلك يترك الرجل أباه وأمه ، ويلزم امرأته ، فيصير الاثنان جسداً واحداً ، لا يفرقن الإنسان ماجمعه الله » .

[إنجيل سيدنا المسيح للقديس متى ، الفصل ١٩ العدد ٤ ـ ٧]

لم يقل السيد المسيح : « ويلزم نساءه » ، بل « امرأته » أى « الرجل واحد ، « امرأة واحدة » والاثنان يصيران جسداً واحداً .

والرجل الذى اقترن بامرأة قراناً صحيحا ، لا يحق له أن يطلقها ، أو يحل الارتباطات ، التى بينه وبينها ، ويتزوج امرأة أخرى ثانية : « من طلق امرأته وتزوج غيرها زنى : ومن تزوج التى طلقها زنى » .

[إنجيل سيدنا المسيح للقديس لوقا : الفصل ١٦ العدد ١٨]

كلنا نعلم أن لا زنى من قبل الرجل ، الذى يعيش مع امرأة ، ومع نساء عقد معها أو معهن زواجاً صحيحاً . فما أن الحياة مع امرأة ثانية ، هوفى الديانة المسيحية

. . . .

زنى ، معناه أن تعدد الزوجات ، فى آن واحد ممنوع قطعاً . هذا ما جاء فى الإنجيل وهذا ما نجده بحرفيته ، فى رسالة القديس بولس ، إلى أهل رومية حيث قال

« فالمرأة المتزوجة تربطها الشريعة بالرجل مادام حياً ، فإذا مات حلت من شريعة الزوج ، وإن سارت إلى رجل آخر ، وزوجها حى عدت زانية ، وإذا مات الزوج تحررت من الشريعة، فلا تـكون زانية ، وإن صارت إلى رجل آخر »
[رسالة القديس بولس إلى أهل رومية ، الفصل ٧ ، العدد ٢ ــ ٤ ، ورسالته الاولى إلى أهل كورنتس (الفصل ٧ : العدد ٣٩)]

ويقول القديس بولس أيضا : « فليـكن لـكل رجل امرأته ، ولـكل امرأة زوجها ، وليقض الزوج امرأته حقها ، وكذلك المرأة حق زوجها » .
[رسالته الأولى إلى أهل كورنتس الفصل ٧ ، العدد ٢ – ٣]

وقد رددنا عليه فى نفس العدد بما يلى :

١ ــ جاء فى التوراة فى مواضع متعددة ما يفيد تعدد الزوجات ، وقد أقر القسيس ذلك فى مستهل مقاله .

قال السيد المسيح :

« لاَ تَظُنُّوا أَنِّى جِئْتُ لأَنْقُضَ ٱلنَّامُوسَ ، أَوِ ٱلأَنْبِيَاء ، مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ ، بَلْ لأُكَمِّلَ ، فَإِنِّى ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ ، إِلَى أَنْ تَزُولَ ٱلسَّمَاء ، وَٱلأَرْضُ لاَ يَزُولَ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ ٱلنَّامُوسِ ، حَتَّى يَكُونَ ٱلْكُلُّ ، فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هٰذِهِ ٱلْوَصَايَا ٱلصُّغْرَى ، وَعَلَّمَ ٱلنَّاسَ هٰكَذَا ، يُدْعَى أَصْغَرَ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمٰوَاتِ ، وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ ، فَهٰذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمٰوَاتِ ، فَإِنِّى أَقُولُ لَكُمْ إِنَّكُمْ إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى ٱلْكَتَبَةِ ، وَٱلْفَرِّيسِيِّينَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ ٱلسَّمٰوَاتِ »

[مق ٥ : ١٧ – ٢٠]

. . . .

= ما هو الناموس الذى لم يأت السيد المسيح لنقضه ، إذا لم يكن المقصود به التوراة ؟

ألا يدل قوله :

« لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ . . الخ »

على أن المراد التوراة ؟ .

إذاً فالمسيحيون ، ملزمون بأحكام التوراة – حسب رأى الأغلبية من علماء الدين – إلا إذا ورد فى الإنجيل ما ينقضها .

وقد ذكر « Stauffer » فى كتابه « Botschaft » أن رسالة المسيح كانت أخلاقية ، ولم تكن لسن قوانين ، وإصدار تشريعات ، ودلل على ذلك بما جاء فى إنجيل لوقا :

«وَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْجَمْعِ يَامُعَلِّمُ قُلْ لِأَخِي أَنْ يُقَاسِمَنِي الْمِيرَاثَ، فَقَالَ لَهُ : يَا إِنْسَانُ مَنْ أَقَامَنِي عَلَيْكُمَا قَاضِياً أَوْ مُقَسِّمًا »

[لوقا ١٢ : ١٣ – ١٤]

ثم عاد – أى Stau fer – فبين أن عيسى عليه السلام شرع « أخلاقيات جديدة » وصاحبها إبطال مقابلها فى التوراة ، ثم ذكر سبع نقاط أساسية ، خالف فيها الإنجيل التوراة ، والمقام يقتضينا أن نذكر منها نقطتين ، تتعلقان بموضوعنا :

(ا) عقوبة الزانى فى التوراة القتل : كما جاء فى سفر اللاويين إصحاح ٢٠ فقرة ١٠ – ١٣ .

خالف الإنجيل التوراة فى هذا ، وترك الزانية بدون عقاب ؛

[يوحنا ٨ : ١١]

(ب) أباحت التوراة الطلاق (التثنية ٢٤ : ١) . وحرمه الإنجيل (مرقس ١٠ – ١٢) .

. . . .

= ولم يذكر « Stauffer » ـ كما لم يذكر أحد من الباحثين فى المسائل الدينية ـ أن الإنجيل خالف التوراة فى تعدد الزوجات ، ولو كانت هناك فقرة واحدة تفيد هذا صراحة ، لملئت بها صفحات وصفحات لبيان مسايرة المسيحية فى أصولها ، للاتجاه الأوربى فى مقابل الإسلام .

أما ما أورده من فقرات الإنجيل ، فلا يدل على تحريم تعدد الزوجات ، بل على تحريم الطلاق ، فصيغة الافراد التى وردت فى إجابة عيسى عليه السلام ، جاءت لتماثل صيغة الإفراد على سؤال التلاميذ ، فلو فرض أن التلاميذ ، وضعوا سؤالهم على هذا النحو :

« أيحل لأحد أن يطلق نساءه لأية علة كانت ؟ » .

فلربما أجابهم السيد المسيح :

« ... ويلزم نساءه ...... »

فالإفراد كان لمطابقة مثيله فى السؤال ، وظروف النص ، تبين بوضوح أنه لتحريم الطلاق ، ولا يفهم منه تحريم التعدد ، إلا بتأويل متعسف .

أما الفقرة الثانية :

« من طلق امرأته وتزوج غيرها زنى ، ومن تزوج التى طلقها زوجها زنى » .

إذا فهم تحريم التعدد من الجملة الأولى ، فلن يفهم من الثانية ، لأنه ربما يكون الرجل ، الذى تزوج المطلقة ليس معدداً ، لأنها بالنسبة له زوجة أولى ، فلم كان زانياً ؟ فهو لم يعدد .....

كان زانياً لأنه دخل بامرأة ، لازالت فى عصمة آخر ، لأن الطلاق لم يعترف به ، لا لأنه عدد الزوجات .

إذاً ملابسات النص بأكمله تصرفه إلى تحريم الطلاق .

وقول القديس بولس لايدل على تحريم تعدد الزوجات ، إلا إذا صيغ على الوجه التالى :

« فَلْيَكُنْ لِكُلِّ رَجُلٍ امْرَأَةٌ وَلِكُلِّ امْرَأَةٍ زَوْجٌ » =

. . . .

ـــ ولا يخفى الفرق بين التعبيرين .

إذا كان تحريم الكنيسة تعدد الزوجات ، لا يستند إلى نص صريح فمن أين جاء ؟

ونجد إجابة هذا السؤال فيما نقله الدكتور عبد الواحد وافى فى كتابه « قصة الزواج والعزوبة فى العالم » ص ٥٧ عن « Westermarck » بقوله :

« ... وقد أخذ بهذا النظام (الزوجة الواحدة) كثير من المجتمعات الإنسانية قديمها وحديثها ، متحضرها ، وبدائيها ، وساد على الأخص فى العصور القديمة عند قدماء اليونان والرومان ، ويسير عليه فى العصر الحاضر جميع الأوربيين ، وسلالاتهم بأمريكا واستراليا وغيرها ، وقد جملته المسيحية المثل الأعلى للزواج وإن لم يرد فى الإنجيل نص صريح يدل على تحريم تعدد الزوجات ، وإذا كان قدامى المسيحيين قد ساروا على نظام وحدة الزوجة ، فما ذاك إلا لأن معظم الأمم الأوربية التى انتشرت فيها المسيحية فى أول الأمر كانت تقاليدهم تحرم تعدد الزوجات ، وقد سارت بعد اعتناقها المسيحية ، على ما وجدت عليه آباءها من قبل فلم يكن وحدة الزوجة لديها نظاماً طارئاً ، جاء به الدين الجديد الذى دخلت فيه ، وإنما كان نظاماً قديماً جرى عليه العمل فى وثنيتها الأولى » .

تلك هى سياسة الكنيسة فى نشر عقائدها ، تحرم ، وتحلل ، لترغيب الناس فى اعتناق المسيحية ، ثم يصير ما حللته ، أو حرمته ـ بمرور الزمن ـ شريعة ، تدافع عنها الأجيال اللاحقة ، كأنه منزل من السماء ، ولم يكن سوى تحريفاً لشريعة الله .

ولم تكف الكنيسة عن اتباع هذا الأسلوب إلى اليوم ، فهى تغض الطرف عن تعدد الزوجات بين المسيحيين فى أفريقيا ، حتى القسيس فى الكنيسة الأفريقية ، تجوز له أن يتزوج أكثر من امرأة ، بينما يحرم هذا على زميله فى أوربا ، فأيهما المسيحية ، أتحريم التعدد على المسيحيين فى أوربا أم جوازه لشركائهم فى العقيدة فى إفريقيا ؟

لا نجد عندهم جوابا سوى أنهم أحلوا تعدد الزوجات فى إفريقيا ، ليكسبوا أتباعاً ، وإلا خسروا المعركة أمام الإسلام ، لأن عادة الإفريقيين التعدد ، والإسلام يبيحه ، فإذا هم تمسكوا بتحريمه ، فلن يعتنق أحد المسيحية فى إفريقيا إلا نادراً .

[الشبهة الثالثة]

وكتب فى كتابكم[١] أن الرجل إذا طلق امرأته ثلاثاً ، لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره[٢] .

والله قد قال فى التوراة :

« من طلّق امرأته ، ثم أحب مراجعتها ، فهى تحل له ، مالم يتزوجها[٣] رجل آخر[٤]

---

(١) فى ت : « وكذلك عندكم » .

(٢) يشير إلى قوله تعالى :

« ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَـٰنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ * فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

[البقرة ٢٢٩ — ٢٣٠]

(٣) فى ع ، ج : « يمسها » .

(٤) نص ما جاء فى التوراة هو :

إِذَا أَخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَتَزَوَّجَ بِهَا فَإِنْ لَمْ تَجِدْ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْهِ لِأَنَّهُ وَجَدَ فِيهَا عَيْبَ شَيْءٍ وَكَتَبَ لَهَا كِتَابَ طَلَاقٍ وَدَفَعَهُ إِلَى يَدِهَا وَأَطْلَقَهَا =

[الشبهة الرابعة]

وكتب فى كتابكم :

«إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ »(١)

= مِنْ بَيْتِهِ . وَمَتَى خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهِ ذَهَبَتْ وَصَارَتْ لِرَجُلٍ آخَرَ . فَإِنْ أَبْغَضَهَا ٱلرَّجُلُ ٱلْأَخِيرُ وَكَتَبَ لَهَا كِتَابَ طَلَاقٍ وَدَفَعَهُ إِلَى يَدِهَا وَأَطْلَقَهَا مِنْ بَيْتِهِ أَوْ إِذَا مَاتَ ٱلرَّجُلُ ٱلْأَخِيرُ ٱلَّذِى ٱتَّخَذَهَا لَهُ زَوْجَةً . لَا يَقْدِرُ زَوْجُهَا ٱلْأَوَّلُ ٱلَّذِى طَلَّقَهَا أَنْ يَعُودَ يَأْخُذُهَا لِتَصِيرَ لَهُ زَوْجَةً بَعْدَ أَنْ تَنَجَّسَتْ . لِأَنَّ ذَٰلِكَ رِجْسٌ لَدَى ٱلرَّبِّ فَلَا تَجْلِبْ خَطِيَّةً عَلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى يُعْطِيكَ ٱلرَّبُّ إِلَـٰهُكَ نَصِيباً »

[التثنية ٢٤ : ١ – ٤]

فأى فضل فى هذا على ماجاء فى القرآن الكريم ؟

أليس فيه تضييقاً على المرأة ، فى أن تحيا حياة طبيعية فى المجتمع دون حرج ، مادامت ملتزمة حدود الآداب ، ومتبعة لأحكام الشريعة ؟

إن من غير المعقول عقلا ، أن يحكم على المرأة بالنجاسة ، إذا تزوجت رجلا آخر !!!

ولماذا لم تتنجس باتصالها بالرجل الأول ، فتحرم على الثانى ؟

إن ذلك تحريف لشريعة الله !!!

(١) التوبة ١١١ .

وقال الله فى التوراة :

« لاَ يَكُونُ قِتَالٌ بَيْنَ بَنِى آدَمَ ، فَإِنَّ الْقَاتِلَ وَالْمَقْتُولَ فِى النَّارِ »(١)
وليس العجب من هذا ، فإن الذى ذكرته(٢) لك فى كتابك من

---

(١) لم يرد هذا النص فى التوراة ، بل ورد ما يفيد أن الله أمر موسى عليه السلام ، ألا يهادن الخارجين عن عبادة الله ، بل يهدم مذابحهم ويكسر أصنامهم :

« إِحْفَظْ مَا أَنَا مُوصِيكَ الْيَوْمَ هَا أَنَا طَارِدٌ مِنْ قُدَّامِكَ الْأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ . إِحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَقْطَعَ عَهْدًا مَعَ سُكَّانِ الْأَرْضِ الَّتِى أَنْتَ آتٍ إِلَيْهَا لِئَلاَّ يَصِيرُوا فَخًّا فِى وَسْطِكَ بَلْ تَهْدِمُونَ مَذَابِحَهُمْ وَتُكَسِّرُونَ أَنْصَابَهُمْ وَتَقْطَعُونَ سَوَارِيَهُمْ »

[خروج ٣٤ : ١١ - ١٣]

وجاء فى سفر العدد ، أن الرب أمر موسى ، أن ينتقم لبنى إسرائيل من المديانيين .

« وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً : إِنْتَقِمْ نِقْمَةً لِبَنِى إِسْرَائِيلَ مِنَ الْمِدْيَانِيِّينَ »

[العدد ٣١ : ١]

فاختار موسى اثنى عشر ألفاً ، وأرسلهم إلى مديان كما أمر الرب ، فقتلوا كل ذكر ، وسبوا النساء ، والأطفال ، وأخذوا أموالهم غنيمة .

[أنظر العدد ٣١ : ٣ — ٥٤]

(٢) فى ت : « الذى ذكرت » .

الأحكام ، يمكنك أن تحتج فيه بالنسخ ، الذى هو مقدمة من مقدمات أصل شريعتك .

وإنما العجب من قوله مخبراً : «وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلإِنْجِيلِ» ومافى التوراة والإنجيل إلا ضد ذلك[1] .

---

(١) إنكار القسيس ورود هذا فى التوراة واضح البطلان ، فقد جاء فى التوراة ، التى بين أيديهم (وهى المشكوك فى صحتها) ما يفيد أن الله رضى بما قام به بنو إسرائيل فى حرب العمالقة .

« .. فَقَالَ ٱلرَّبُّ لِمُوسَى ٱكْتُبْ هٰذَا تَذْكَارًا فِي ٱلْكِتَابِ وَضَعْهُ فِي مَسَامِعِ يَشُوعَ . فَإِنِّي سَوْفَ أَمْحُو ذِكْرَ عَمَالِيقَ مِنْ تَحْتِ ٱلسَّمَاءِ فَبَنَى مُوسَى مَذْبَحًا وَدَعَا ٱسْمَهُ يَهْوَهْ نِسِّي . وَقَالَ إِنَّ ٱلْيَدَ عَلَى كُرْسِيِّ ٱلرَّبِّ . لِلرَّبِّ حَرْبٌ مَعَ عَمَالِيقَ مِنْ دَوْرٍ إِلَى دَوْرٍ »

[خروج ١٧ : ١٤ — ١٦]

ومن يرض عنه الله ، يدخله الجنة ، جزاء ما قام به ، وهو هنا حرب العماليق .

أما الانجيل الموجود بين أيدينا ، فقد جاء بالمتناقضات حول هذا الموضوع فبينما يقول :

« أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ . بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ . أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ »

[مق ٥ : ٤٤]

نطالع بعد قليل قوله :

« لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى ٱلأَرْضِ . مَا جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا »

[مق ١ : ٣٤]

[الشبهة الخامسة]

والعجب أيضاً من قوله عن مريم أم المسيح :

« وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا » .[١]

وقال عنها فى موضع آخر :

« يَـٰأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا »[٢]

وليست أم المسيح بأخت هارون ، ولا بابنة عمران ، وإنما اسم أبيها يؤاخيم[٣] ، فتوهمتم أنها ابنة عمران ، التى كانت أخت موسى وهارون[٤] .

---

(١) التحريم ١٢

(٢) مريم ٢٨

(٣) فى ج ، ت : « يعقيم » .

لم تذكر الأناجيل إسم أبيها ، وإنما جاء فى الأساطير أنه Joachim (يؤاخيم) وأمها « Anna » (أنا) [أنظر Mensching ص ١٩ – ٩٢]

(٤) ورد فى التوراة :

« وَأَخَذَ عَمْرَامُ يُوكَابَدَ عَمَّتَهُ زَوْجَةً لَهُ . فَوَلَدَتْ لَهُ هَـٰرُونَ وَمُوسَى » .

[خروج ٦ : ٢٠]

« وَٱسْمُ ٱمْرَأَةِ عَمْرَامَ يُوكَابَدُ بِنْتُ لَاوِي ٱلَّتِي وُلِدَتْ لِلَاوِي فِي مِصْرَ فَوَلَدَتْ لِعَمْرَامَ هَـٰرُونَ وَمُوسَى وَمَرْيَمَ أُخْتَهُمَا » .

[عدد ٢٦ : ٥٩]

ويرجح الباحثون أن زمن وجود موسى وهارون كان ١٥٠٠ قبل الميلاد .

فما هو عمران المذكور فى قوله تعالى :

. . . .

= «إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَانَ »

[آل عمران ٣٥]

لقد عرف فى التاريخ رجلان بهذا الاسم :

(ا) عمران والد موسى وهارون وهو : عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .

(ب) عمران بن ماثان والد مريم ، وكان من نسل سليمان بن داود بن نسى . وهم من نسل يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، وهو المذكور فى آية آل عمران المذكورة سابقاً .

إذاً ، فكيف نفسر وصف القرآن الكريم لمريم ، بأنها أخت هارون وبينهما خمسة عشر قرناً تقريباً ؟

ذكر العلماء فى تفسير قوله تعالى : «يَـٰأُخْتَ هَـٰرُونَ»

أربعة أقوال :

الأول : أنه رجل صالح من بنى إسرائيل ، ينسب إليه كل من عرف بالصلاح . والمراد أنك كنت فى الزهد كهارون ، فكيف صرت هكذا . وهو قول قتادة وكعب وابن زيد والمغيرة بن شعبة . ويروى أن هارون الصالح هذا ، لما مات تبع جنازته أربعون ألفاً ، كلهم يسمون هارون تبركاً به وباسمه !!

الثانى : أنه أخو موسى عليه السلام ، وعن النبى صلى الله عليه وسلم إنما هو هارون النبى ، إذ كانت من أعقابه ، وإنما قيل يا أخت هارون كما يقال : يا أخا همدان ، أى يا واحدا منهم

الثالث : كان رجلا مشهوراً بالفسق ، فنسب إليه بمعنى التشبيه ، لا بمعنى النسبة

الرابع : كان لها أخ يسمى هارون ، من صلحاء بنى إسرائيل . فذكرت به . وهذا هو الأقرب لوجهين :

(ا) أن الأصل فى الكلام الحقيقة . وإنما يكون ظاهر الآية محمولا على حقيقتها ، لوكان لها أخ يسمى بهارون . =

[الشبهة السادسة]

وقال أيضا فى كتابكم عن إبليس أن الله أسقطه من السماء إلى الأرض، لما أبى أن يسجد لآدم[١].

وقال فى التوراة : إنه أسقط إبليس من السماء ، قبل أن يخلق آدم[٢] لأنه أراد أن يجعل نفسه ندا لله ، واعتز على الملائكة فقال لهم :

أنا من نار ، ولا خالق ، فاجعلوا لى كرسياً ، أكون عليه شبه العلى .

فلم يتم قوله ، حتى أسقطه الله من السماء ، إلى خزى الدنيا هو وجميع أصحابه الذين أضلتهم[٣] الفكرة الرديئة[٤] .

= (ب) أنها أضيفت إليه ووصف أبواها بالصلاح ، وحينئذ يصير التوبيخ أشد، لأن من كان حال أبويه وأخيه هذه الحالة يكون صدور الذنب عنه أفحش .
[الرازى ج ٢١ ص ٢٠٧ – ٢٠٨]

(١) يشير إلى ماجاء فى الأعراف ١١ – ١٨ ، الحجر ٣٠ – ٤٣، ص٧١–٨٥

(٢) سقط من ت : « من السماء إلى الأرض ، لما أبى أن يسجد لآدم ، وقد قال فى التوراة : إنه أسقط إبليس ... » .

(٣) فى ج ، ع : « داخلتهم » .

(٤) لم ترد كلمة « إبليس » فى العهد القديم ، وما اشتهر فى قصة الخطيئة ، أنه أغوى حواء ، ودفعها إلى الأكل من الشجرة ، فلم تذكره التوراة إلا فى صورة حوار بين حواء والحية .

[تكوين ٣ : ١ – ١٥]

وإذا بحثنا عن الكلمة المرادفة ، وهى « الشيطان » نجد أن كاتب سفر أيوب هو أول من ذكرها :

. . . .

= « وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو ٱللهِ لِيَمْثُلُوا أَمَامَ ٱلرَّبِّ وَجَاءَ ٱلشَّيْطَانُ أَيْضًا فِي وَسْطِهِمْ ، فَقَالَ ٱلرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ مِنْ أَيْنَ جِئْتَ »
[أيوب ١ : ٦ – ٧]

أثر سفر أيوب على العقلية اليهودية ، فاعتقدت فى وجود :

— طبيعة خيرة ، وتتمثل فى الملائكة الذين أطلق عليهم سفر أيوب «بنو الله»

— طبيعة شريرة ، وتتمثل فى الشيطان كما جاء فى نفس السفر .

— طبيعة الإنسان (وأيوب رمز لها) .

والشيطان وأعوانه ، يعملون ضد الإنسان ، بينما الملائكة تدافع عنه أمام الله وتقف فى صفه ، بل تحارب الشيطان وأعوانه ، لتخلص الإنسان منه ، ولتحفظ ملك الله خالصاً له .

ويرجح علماء الأديان أن كاتب سفر أيوب ، كان واقعاً تحت تأثير المعتقدات الزرادشتية ، التى انتشرت بين اليهود أثناء وجودهم فى بابل ، إذ أن زرادشت يؤمن بالثنائية :

— قوى الخير .

— قوى الشر .

وبأن الصراع قائم بينهما [انظر Van Glasenapp ص ٢٩٩]

نسج أحبار اليهود الأساطير ، حول الصراع بين الله والشيطان ، وتناقلوها جيلا بعد آخر إلى أن صاغها كاتب رؤيا يوحنا اللاهوتى حيث قال :

« وَظَهَرَتْ آيَةٌ عَظِيمَةٌ فِي ٱلسَّمَاءِ ٱمْرَأَةٌ مُتَسَرْبِلَةٌ بِٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرُ تَحْتَ رِجْلَيْهَا وَعَلَى رَأْسِهَا إِكْلِيلٌ مِنِ ٱثْنَيْ عَشَرَ كَوْكَبًا . وَهِيَ حُبْلَى تَصْرُخُ مُتَمَخِّضَةً وَمُتَوَجِّعَةً لِتَلِدَ . وَظَهَرَتْ آيَةٌ أُخْرَى فِي ٱلسَّمَاءِ . هُوَ ذَا تِنِّينٌ عَظِيمٌ أَحْمَرُ لَهُ سَبْعَةُ رُؤُوسٍ وَعَشَرَةُ قُرُونٍ =

. . . .

= وَعَلَى رُؤُوسِهِ سَبْعَةُ تِيجَانٍ . وَذَنَبُهُ يَجُرُّ ثُلثَ نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ فَطَرَحَهَا إِلَى ٱلأَرْضِ . وَٱلتِّنِّينُ وَقَفَ أَمَامَ ٱلْمَرْأَةِ ٱلْعَتِيدَةِ أَنْ تَلِدَ حَتَّى يَبْتَلِعَ وَلَدَهَا مَتَى وَلَدَتْ . فَوَلَدَتِ ٱبْنًا ذَكَرًا عَتِيداً أَنْ يَرْعَى جَمِيعَ ٱلأُمَمِ بِعَصًا مِنْ حَدِيدٍ . وَٱخْتُطِفَ وَلَدُهَا إِلَى ٱللهِ وَإِلَى عَرْشِهِ . وَٱلْمَرْأَةُ هَرَبَتْ إِلَى ٱلْبَرِّيَّةِ حَيْثُ لَهَا مَوْضِعٌ مُعَدٌّ مِنَ ٱللهِ لِكَيْ يَعُولُوهَا هُنَاكَ أَلْفًا وَمِئَتَيْنِ وَسِتِّينَ يَوْماً .

وَحَدَثَتْ حَرْبٌ فِي ٱلسَّمَاءِ . مِيخَائِيلُ وَمَلاَئِكَتُهُ حَارَبُوا ٱلتِّنِّينَ وَحَارَبَ ٱلتِّنِّينُ وَمَلاَئِكَتُهُ . وَلَمْ يَقْوَوْا فَلَمْ يُوجَدْ مَكَانُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي ٱلسَّمَاءِ . فَطُرِحَ ٱلتِّنِّينُ ٱلْعَظِيمُ ٱلْحَيَّةُ ٱلْقَدِيمَةُ ٱلْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَٱلشَّيْطَانَ ٱلَّذِي يُضِلُّ ٱلْعَالَمَ كُلَّهُ طُرِحَ إِلَى ٱلأَرْضِ وَطُرِحَتْ مَعَهُ مَلاَئِكَتُهُ وَسَمِعْتُ صَوْتاً عَظِيماً قَائِلاً فِي ٱلسَّمَاءِ : ٱلآنَ صَارَ خَلاَصُ إِلهِنَا وَقُدْرَتُهُ وَمُلْكُهُ وَسُلْطَانُ مَسِيحِهِ لِأَنَّهُ قَدْ طُرِحَ ٱلْمُشْتَكِي عَلَى إِخْوَتِنَا ٱلَّذِي كَانَ يَشْتَكِي عَلَيْهِمْ أَمَامَ إِلهِنَا نَهَارًا وَلَيْلاً » .

[رؤيا يوحنا اللاهوتى ١٢ : ١ – ٢٠]

ومن هذا نتبين أن القسيس اعتمد فى رأيه على ما كتب فى رؤيا يوحنا اللاهوتى التى هى تعبير عن الأسطورة التى شاعت بين اليهود وقد سبق أن بينا أن نسبة الرؤيا إلى يوحنا ، افتراء وكذب عليه ، وأن المحقق « برطشنيد » يرى أن كاتبها رجل آخر غير يوحنا الحوارى ، صنفها فى ابتداء القرن الثانى الميلادى ، وذلك يجعلنا نضرب بها عرض الحائط ، فهى لا تخرج عن كونها أسطورة ، ومن شأن الأساطير إلباس الحق بالباطل ، فجاء القرآن الكريم – وهو الكتاب المقدس الوحيد ، الذى حفظ من عبث الرواة – مبيناً ما خلطوا وموضحاً ما ألبسوا : =

[الشبهة السابعة]

وأنتم تقولون : إن فى التوراة والإنجيل والزبور والنبوات خللا[١] كثيرا[٢] ، وأننا قد زدنا فيها ونقصنا ، وهذا من كفركم ، وليس معكم على ذلك دليل ، ولا هو مكتوب أيضاً[٣] فى الكتاب الذى جاء به صاحب شريعتكم ، وإنما هو كلام قلتموه أنتم[٤] .

« إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ . فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ . قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ . قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ . قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ . وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ » .
[ص٧١ – ٧٨]

(١) فى ت : « فسادا » .

(٢) ورد فى الإنجيل نصوص كثيرة متناقضة ، ذكر المؤلف بعضاً منها فى رده على رسالة القسيس .

أما النصوص المتناقضة فى التوراة ، والزبور ، والنبوات فعديدة ، ويستطيع القارىء أن يطالع طائفة منها ، فى كتاب الفصل فى الملل والنحل لابن حزم ج ٢ ص ٣ – ٧ ، ص١٣ – ١٩ وفى إظهار الحق، لرحمة الله الهندى ج ١ص ٨٧– ١٧٢ .

(٣) فى ج ، ع : « ولا أيضاً هو مكتوب » .

(٤) لم يرد فى القرآن الكريم نص صريح يفيد – على سبيل القطع – أن الكتب السماوية (التوراة ، الزبور ، الإنجيل) قد حرفت أو بدلت .

وما جاء فيه حول هذا الموضوع يحتمل أكثر من وجه ، ولهذا سنذكر هنا =

. . . .

=أوضح الآيات دلالة على التحريف، ثم نذكر عقب كل آية، ما قالة أئمة المفسرين في عصور الإسلام الأولى. وسوف يقتضي هذا المنهج إسهاباً - بل وتكرار أحيانا - اضطررنا إليه، كي تتضح الصورة أمام القارئ.

أ - قال الله تعالى: « أَفَتَطْمَعُونَ أن يؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ».

[البقرة ٧٥]

« اعلم أنا إن قلنا، بأن المحرفين، هم الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام، فالمحرف هو التوراة ».

وكيف؟

« روى أن قوماً من السبعين المختارين، سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور، وما أمر به موسى، وما نهى عنه، ثم قالوا: سمعنا الله يقول في آخره إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء، فافعلوا وإن شئتم ألا تفعلوا فلا بأس.

وأما إن قلنا: المحرفون هم الذين كانوا في زمن محمد صلى الله عليه وسلم: فالأقرب أن المراد تحريف أمر محمد علية الصلاة والسلام، وذلك أنهم حرفوا نعت الرسول وصفته، أو أنهم حرفوا الشرائع. كما حرفوا آية الرجم. وظاهر القرآن، لا يدل على أنهم أي شيء حرفوا .... وعن ابن عباس: أنهم زادوا فيه ونقصوا ».

[الرازي جـ ١ ص ١٣٥].

أما الطبري فيروي قولين في التحريف:

- المحرف هو التوراة، وهو رأى السدي.

- المحرف هو ما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم، وهو رأى الربيع.

« ثم يقول - أي الطبري - وأولى التأويلين، ما قاله الربيع بن أنس،=

. . . .

والذى حكاه ابن إسحق عن بعض أهل العلم: من أن الله تعالى ذكره: إنما عنى بذلك من سمع كلامه من بنى سرائيل، سماع موسى إياه، ثم حرف ذلك وبدل . . . . . فهؤلاء الذين بين أظهركم من بقايا نسلهم، أحرى أن يجحدوا ما أتيتموهم به من الحق، وهم لا يسمعون من الله، وإنما يسمعون منكم.

[الطبرى ج ٢ ص ٢٤٧ - ٢٤٨]

ب ـ قال الله تعالى:

« ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ». [البقرة: ١٤٦]

« يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ». [آل عمران: ٧١]

قال مجاهد: « ليكتمون الحق وهم يعلمون »: يكتمون محمدا صلى الله عليه وسلم، وهم يجدونه مكتوبا عندهم، فى التوراة والإنجيل.

[الطبرى ج ٣ ص ١٤٦]

أما الرازى فيقول: لبس الحق بالباطل، يحتمل هنا وجوها:

أحدها: تحريف التوراة، فيخلطون المنزل بالمحرف، وهو رأى الحسن وابن زيد.

ثانيها: أنهم تواضعوا على إظهار الإسلام أول النهار، ثم الرجوع عنه فى آخر النهار، تشكيكا للناس، وهو رأى ابن عباس وقتادة.

ثالثها: أن يكون فى التوراة، ما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم، من البشارة والنعت، والصفة، ويكون فى التوراة أيضاً، ما يوهم خلاف ذلك، فيكون كالمحكم، والمتشابه؛ فيلبسون على الضعفاء أحد الأمرين بالآخر، كما يفعله كثير من المشبهة وهذا قول القاضى.

. . . .

= رابعها : أنهم كانوا يقولون : إن محمداً معترف بأن موسى عليه السلام حق ، ثم إن التوراة دالة على أن شرع موسى عليه السلام لا ينسخ ، وكل ذلك إلقاء للشبهات .

[الرازى ج ٢ ص ٩٨ - ٩٩]

جـ — وقال تعالى :

« وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » .

[آل عمران ٧٨]

وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب :

عن مجاهد : يحرفونه .

وعن قتادة : هم أعداء الله اليهود ، حرفوا كتاب الله ، وابتدعوا فيه ، وزعموا أنه من عند الله .

وعن ابن عباس : هم اليهود ، وكانوا يزيدون فى كتاب الله ، ما لم ينزل الله .

[الطبرى جـ ٦ ص ٥٣٦]

أما الرازى فيقول :

« كيف يمكن إدخال التحريف في التوراة مع شهرتها العظيمة بين الناس ؟

الجواب : لعله صدر هذا العمل عن نفر قليل يجوز عليهم التواطؤ على التحريف ثم إنهم عرضوا ذلك المحرف على بعض العوام ، وعلى هذا التقدير ، يكون هذا التحريف ممكنا ، والأصواب عندى في تفسير الآية وجه آخر ، وهو أن الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، كان يحتاج فيها إلى تدقيق النظر ، وتأمل القلب ، والقوم كانوا يوردون عليها الأسئلة المشوشة ، والاعتراضات المظلمة ، فكانت تصير تلك الدلائل مشتبهة على السامعين . واليهود كانوا يقولون : مراد الله

. . . .

= من هذه الآية ما ذكرناه لا ما ذكرتم ، فكان هذا هو المراد بالتحريف » ولى الألسنة » .

[الرازى جـ ٨ ص ١١٤]

د — وقال تعالى :

« مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ، وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا » .

[النساء ٤٦]

تناول الرازى — عند تفسير هذه الآية — كيفية التحريف ، فذكر أنها تحتمل وجوها : أحدها : أنهم كانوا يبدلون اللفظ بلفظ آخر ، مثل تحريفهم اسم « ربعة » عن موضعه فى التوراة بوضعهم « آدم طويل » مكانه ، ونحو تحريفهم « الرجم » بوضعهم « الحد » بدله .

ونظيره قوله تعالى :

« فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ » .

[البقرة ٧٩]

وإن قيل : كيف يمكن هذا فى الكتاب ، الذى بلغت آحاد حروفه وكلماته ، مبلغ التواتر المشهور فى الشرق والغرب ؟

قلنا : لعله يقال : القوم كانوا قليلين ، والعلماء بالكتاب كانوا فى غاية القلة فقدروا على هذا التحريف .

=

. . . .

= الثانى : أن المراد بالتحريف إلقاء الشبه الباطلة ، والتأويلات الفاسدة وتحريف اللفظ عن معناه الحق إلى معنى باطل بوجوه الحيل اللفظية ، كما يفعله أهل البدعة فى زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذهبهم . وهذا هو الأصح .

الثالث : أنهم كانوا يدخلون على النبى صلى الله عليه وسلم ، ويسألونه عن أمر فيخبرهم ليأخذوا به ، وإذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه .

[الرازى ج ١٠ ص ١١٧ - ١١٨] .

هـ ــ وقال تعالى :

« فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ » .

[المائدة ١٣]

قال أبو جعفر : يقول عز ذكره : وجعلنا قلوب هؤلاء الذين نقضوا عهودنا من من بنى إسرائيل قسية ، منزوعا منها الخير ، مرفوعا منها التوفيق ، فلا يؤمنون ولا يهتدون فهم لنزع الله عز وجل التوفيق من قلوبهم ، والإيمان ، يحرفون كلام ربهم ، الذى أنزله على نبيهم موسى عليه السلام ، وهو التوراة ، فيبدلونه ، ويكتبون بأيديهم غير الذى أنزله الله جل وعز على نبيهم ، ثم يقولون لجهال الناس : « هذا هو كلام الله الذى أنزله على نبيه موسى عليه السلام ، والتوراة التى أوحاها إليه » .

كما حدثنى المثنى عن ابن عباس : « يحرفون الكلم عن مواضعه » يعنى حدود الله فى التوراة ، ويقولون : إن أمركم محمد بما أنتم عليه فاقبلوه ، وإن خالفكم فاحذروا .

[الطبرى ج ٦ ص ١٢٨ - ١٣٩] .

وقال الرازى « . . . . ثم إنه تعالى ذكر بعض ما هو من نتائج تلك القسوة فقال : (يحرفون الكلم عن مواضعه) وهذا التحريف ، يحتمل التأويل الباطل ، ويحتمل تغيير اللفظ ، وقد بينا فيما تقدم ، أن الأول أولى ، لأن الكتاب المنقول بالتواتر ، لا يأتى فيه تغيير اللفظ » .

= [الرازى ج ١١ ص ١٨٧] =

. . . .

= و — وقال تعالى :

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ » .

[المائدة ٤١]

« وكان تحريفهم حكم الله تعالى ، الذى أنزله فى التوراة فى المحصنات والمحصنين من الزنا بالرجم ، إلى الجلد . . . . يقولون ليهود المدينة :

إن أوتيتم هذا الجلد ، فخذوه ، وإن لم تؤتوه ، فاحذروا الرجم » .

[الطبرى ج ١٠ ص ٣١٣ – ٣١٥]

وجاء فى تفسير الرازى :

« يحرفون الكلم من بعد مواضعه » أى من بعد أن وضعه الله مواضعه ، أى فرض فروضه ، وأحل حلاله ، وحرم حرامه . قال المفسرون : إن رجلا وامرأة من أشراف خيبر زنيا ، وكان حد الزنا فى التوراة الرجم ، فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما ، فأرسلوا قوما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسألوه عن حكمه فى الزانيين إذا أحصنا ، وقالوا : إن أمركم بالجلد فاقبلوه وأن أمركم بالرجم فاحذروه ، ولا تقبلوا ، فلما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، نزل جبريل بالرجم ، فأبوا أن يأخذوا به ، فقال جبريل عليه السلام : اجعل بينك وبينهم « ابن صوريا » . فقال الرسول : هل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور ، يسكن فدك ، يقال له ابن صوريا ؟ قالوا : نعم ، وهو أعلم يهودى على وجه الأرض ، فرضوا به حكما ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذى لا إله إلا هو ، الذى فلق البحر لموسى ، ورفع فوقكم الطور ، وأنجاكم ، وأغرق =

. . . .

آل فرعون ، والذى أنزل عليكم كتابه ، وحلاله وحرامه ،هل تجدون فيه الرجم على من أحصن ؟ قال ابن صوريا : نعم ، فوثبت عليه سفلة اليهود . فقال : خفت إن كذبته أن ينزل علينا العذاب . . . . إذا عرفت القصة فنقول : قوله (يحرفون الكلم عن مواضعه) أى وضعوا الجلد ، مكان الرجم . وقوله (يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا) أى إن أمركم محمد بالجلد فاقبلوا ، وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا » .

[الرازى ج ١١ ص ٢٣٢ - ٢٣٣]

ونستنتج مما تقدم - ضاربين الصفح عن فحص الروايات التى وردت فى التفسير حتى لا نطيل على القارىء أكثر من هذا - أن العلماء اختلفوا فى مفهوم التحريف :

— فالمحرف هو ما سمع من النبى صلى الله عليه وسلم .

— أو المحرف هو التوراة .

ثم تشعب الاتجاه الثانى إلى آراء :

— حرف اليهود التوراة بالزيادة والنقص فيها .

— أو وضعوا لفظا مكان آخر .

— أو فهموا من النص معنى لا يستقيم مع منطوق اللفظ فأولوه تأويلا باطلا بعيداً كل البعد عما يدل عليه مفهوم النص ، ويرى الرازى أن هذا الرأى هو الأصح .

* * *

اهتم علماء الأديان ، والباحثون فى علوم اللاهوت ، بدراسة الكتب المقدسة تاريخيا ومنهجيا ، ومن أهم النتائج ، التى توصل إليها بعضهم ، الشك فى نسبة التوراة إلى موسى عليه السلام ، إما لتأخر تدوينها عن عصره ، أو للمعلومات الخاطئة ، والصورة المهزوزة ، التى يشتمل عليها النص ، الموجود بين أيدينا . وكتب فى ذلك كثير من علماء المسلمين[راجع : رحمة الله الهندى ج ١ ص ٢١٧- ٣٣٦] ، ورجال اللاهوت المسيحيين واليهود ، والمقام يحتم علينا الاستشهاد بما قاله غير المسلمين ، فهو أبلغ فى الدلالة ، وأوقع فى نفس السامع . فاخترنا مقولة فيلسوف

. . . .

= يهودى ، درس علم اللاهوت ، وعلم الكلام ، بجانب دراسته الفلسفية ، ألا وهو « سبينوزا » .

يرى « سبينوزا » : أن الجميع – تقريبا – يعتقدون أن موسى قام بتدوين الأسفار الخمسة – أى التوراة – الموجودة بين أيدينا ، « بل إن الفريسيين أيدوا هذا الرأى بإصرار شديد ؛ حتى أنهم عدوا من يظن خلاف ذلك من المارقين . ولهذا السبب ، فإن ابن عزرا – (هو إبراهيم بن عزرا ولد سنة ١٠٩٢ أو سنة ١٠٩٣ وتوفى فى غرناطة سنة ١١٦٧ . وهو ، عالم وشاعر ، ويبدو أنه أول شارح للتوراة ، شك فى نسبة الأسفار الخمسة ، إلى موسى)[S. NòLLe S.20] لم يجرؤ على الإفصاح عن ذلك صراحة ، واكتفى بالإشارة إليه ، بألفاظ مبهمة أما أنا – أى سبينوزا – فلن أخشى توضيحها ، وإظهار الحق ناصعا . هذه هى أقوال ابن عزرا ، فى شرحه على « التثنية ، »

— فيما وراء نهر الأردن . الخ .
— لو كنت تعرف سر الاثنى عشرة ...
— كتب موسى شريعته أيضاً ...
— وكان الكنعانى على الأرض ...
— سيوحى به على جبل الله ...
— ها هو ذا سريره سرير من حديد .
حينئذ تعرف الحقيقة .

بهذه الكلمات القليلة يبين ، ويثبت فى الوقت ذاته ، أن موسى ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة ، بل إن مؤلفها شخص آخر ، عاش بعده بزمن طويل ، وأن موسى كتب سفرا مختلفاً . وللبرهنة على ذلك يذكر :

١ — أن موسى لم يكتب مقدمة التثنية لأنه لم يعبر نهر الأردن .

٢ — نقش سفر موسى كله بوضوح تام ، على حافة مذبح واحد (انظر التثنية ٢٧ ، يشوع ٨ : ٣٢) يتكون من اثنى عشر حجرا ؛ حسب عدد الأحبار ، وينتج عن ذلك أن سفر موسى ، كان فى حجمه أقل بكثير من الأسفار الخمسة ، وهذا ماقصد إليه المؤلف بقوله :

— سر الاثنى عشرة ....

. . . .

٣ — كذلك يذكر ، أنه قد ورد فى التثنية (٣١ : ٩) :

وقد كتب موسى هذه التوراة) .

ويستحيل أن يكون موسى ، قد قال ذلك ، بل لابد أن يكون قائلها كاتب آخر يروى أقوال موسى وأعماله .

٤ — يذكر هذا النص من التكوين (١٢ : ١) وفيه يقص الراوى رحلة إبراهيم ، فى بلاد الكنعانيين ، ويضيف :

(والكنعانيون حينئذ فى الأرض) .

وهذا يدل بوضوح على أن الأمر لم يعد كذلك ، عندما كان يكتب ، فلابد أن هذه الكلمات ، قد كتبت بعد موت موسى ، وبعد أن طرد الكنعانيون ، ولم يعودوا يشغلون هذه المناطق . . لأن الكنعانيين فى زمان موسى، كانوا لا يزالون يملكون هذه الأرض .

٥ — يذكر أنه جاء فى التكوين (٢٢ : ١٤) :

أن جبل موريا ، سمى جبل الله .

ولم يحمل هذا الاسم ، إلا بعد الشروع فى بناء المعبد ، وهذا الاختيار متأخر عن موسى فى الزمان . والواقع أن موسى لا يشير إلى أى مكان اختاره الله ، بل إنه تنبأ ، بأن الله سيختار بعد ذلك مكانا ، سيطلق عليه اسم الله .

٦ — وأخيراً يذكر أن التثنية (الاصحاح ٣) تدخل بعض الكلمات فى الرواية الخاصة بعوج ملك باشان :

ولقد بقى عوج ملك باشان وحده ، من بين العمالقة الآخرين ، وها هو سريره ، سرير من حديد ، هذا السرير الذى طوله ، تسعة أذرع ، الموجود فى الربة عند أطفال آمون . . . . الخ .

هذه الاضافة تدل بوضوح تام ، على أن من كتب هذه الأسفار ، عاش بعد موسى بمدة طويلة ، طريقته فى الحديث عن الأشياء ، طريقة مؤلف يروى قصصا قديمة جداً ، ويذكر بعض الآثار ، التى مازالت باقية من هذا الزمن البعيد ، ليجعل كلامه موثوقا به . وفضلا عن ذلك ، فلا شك أنه لم يعثر على هذا السرير الحديدى إلا فى عصر داود الذى استولى على الربة كما يروى صموئيل الثانى (١٢ : ٢٩) . . . .

. . . .

وهكذا شرحنا فكر ابن عزرا ، وكذلك نصوص الأسفار الخمسة ، التى ذكرها ، لكى يثبت فكره هذا . ولكن يبدو انه قد فاته ، أن يذكر أهم الأمور ، إذ يمكن إبداء ملاحظات أخرى متعددة ، أكثر خطورة على الأسفار . فمثلا :

١ — لا يتحدث الكتاب عن موسى بضمير الغائب فحسب ، وإنما يعطى عنه شهادات عديدة ، مثل :

تحدث الله مع موسى ، كان الله مع موسى وجها لوجه ، كان موسى رجلا حليما جداً ، أكثر من جميع الناس (العدد ١٢٥ : ٣) ؛ سخط موسى على وكلاء الجيش (العدد ٣١ : ١٤) ، موسى رجل الله (التثنية ١٣ ، ١) ؛ لقد مات موسى خادم الله ، ولم يقم من بعد نبى فى إسرائيل كموسى .

وعلى العكس ، يتحدث موسى ، ويقص أفعاله بضمير المتكلم فى التثنية ، التى كتبت فيها الشريعة ، التى شرحها موسى للشعب ، والتى كتبها بنفسه ، فيقول :

كلمنى الرب (التثنية ٢ : ١ : ١٧ الخ) ، ورجوت الرب . . . الخ .

إلا فى آخر السفر ، حيث يستمر المؤرخ بعد أن نقل أقوال موسى ، ويحكى فيه روايته ، كيف أعطى موسى الشعب هذه الشريعة ، (التى شرحها) ، كتابة ، ثم أعطاهم تحذيرا أخيراً ، وبعد ذلك ، انتهت حياته .

كل ذلك — أعنى طريقة الكلام ، والشواهد ، ومجموع نصوص القصة كلها يدعو إلى الاعتقاد :

بأن موسى لم يكتب هذه الأسفار ، بل كتبها شخص آخر .

٢ — يجب أن نذكر أيضاً ، أن هذه الرواية لا تقص فقط موت موسى ، ودفنه ، وحزن الأيام الثلاثين للعبرانيين ، بل تروى أيضاً أنه فاق جميع الأنبياء ، إذا قورن بالأنبياء ، الذين عاشوا بعده :

ولم يقم من بعد نبى فى إسرائيل كموسى ، الذى عرفه الرب ، وجها لوجه (التثنية ٣٤ : ١٠) .

هذه شهادة لم يكن من الممكن ، أن يدلى بها موسى نفسه ، أو شخص آخر

. . . .

أنى بعده مباشرة ، بل شخص عاش بعده بقرون عديدة ، لا سيما أن المؤرخ ، قد استعمل صيغة الفعل الماضى :

ولم يقم من بعده نبى فى إسرائيل .

ويقول عن القبر :

ولم يعرف أحد قبره ، إلى يومنا هذا [التثنية ٣٤ : ٦] .

٣ — يجب أن نذكر أيضاً ، أن بعض الأماكن لم تطلق عليها الأسماء ، التى عرفت بها فى زمن موسى ، بل أطلقت عليها أسماء ، عرفت بعده بوقت طويل:

إذ يقال إن إبراهيم تابع أعداءه حتى دان (انظر ، التكوين ، ١٤ : ١٤)

وهو اسم لم تأخذه المدينة التى تحمله إلا بعد موت يشوع بمدة طويلة (انظر ، القضاة ١٨ : ٢٩) .

٤ — تمتد الروايات فى بعض الأحيان ، إلى ما بعد موت موسى ، فيروى فى الخروج (١٦ : ٣٥) :

أن بنى إسرائيل، أكلوا المن أربعين يوما ، حتى وصلوا إلى أرض مسكونة ، على حدود بلاد كنعان ، أى حتى اللحظة التى يتحدث عنها سفر يشوع (٥ : ١٢) .

وكذلك يخبرنا سفر التكوين (٣٦ : ٣١)

وهؤلاء الملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم ، قبل أن يملك ملك فى بنى إسرائيل .

ولا شك أن المؤرخ يتحدث عن الملوك ، الذين كانوا يحكمون الأدوميين ، قبل أن يخضعهم داود لحكمه ، ويضع حاميات ضدهم فى أدميا (انظر ، صموئيل الثانى ٨ : ١٤) .

من هذه الملاحظات كلها ، يبدو واضحا وضوح النهار :

أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة ، بل كتبها شخص عاش بعد موسى بقرون عديدة.

ولكن لنبحث ، إن شئت ، بمزيد من الدقة فى الأسفار ، التى كتبها موسى نفسه ، والمذكورة فى الأسفار الخمسة .

فمن الثابت فى « الخروج» (١٧ : ١٤) :

. . . .

أن موسى كتب بأمر الله عن الحرب ضد عماليق ، ولا يقول لنا هذا الاصحاح نفسه ، أى سفر كتب ؟ بل ترد فى « العدد » (٢١ : ١٤) إشارة إلى سفر يسمى « حروب الرب » يحتوى ولا شك على قصة الحرب ضد عماليق، وعلى كل أعمال إقامة المعسكرات (التى يشهد مؤلف الأسفار الخمسة فى « العدد » (٢٣ : ٢) . بأن موسى قد عرضها كتابة .

كما جاء فى « الخروج » (٢١ : ١٤) :

أن هناك سفر آخر ، يعرف باسم : « سفر العهد » :

قرأه موسى أمام الاسرائيليين ، عندما عقدوا عهدا مع الله .

ولا يحتوى هذا السفر ، أو هذه الرسالة ، إلا على أشياء قليلة ، أى أنه لا يحتوى إلا على شرائع الله، ووصاياه ، الموجودة فى « الخروج » فى الإصحاح ٢٠ الآية ٢٢ حتى الإصحاح ٢٤ .

ولا يمكن أن ينكر ذلك من يقرأ هذا الاصحاح المذكور بشىء من الفهم السليم ، ودون تحيز ، ففيه يرى أنه بمجرد أن عرف موسى رأى الشعب فى العهد المبرم مع الله ، كتب على التو كلمات الله ووصاياه ، ثم قرأ أمام المجمع العام للشعب ، شروط العهد فى الصباح ، بعد إقامة بعض الطقوس . وبعد هذه القراءة ، دخل الشعب فى هذا العهد ، بمحض رضاه ، بعد أن عرف الناس كلهم ، بلا شك هذه الشروط .

ونظرا إلى ضيق الوقت ، الذى استغرقته كتابة العهد المبرم ، وكذلك نظراً إلى طبيعة هذا العهد ، كان حتما ألا يحتوى هذا السفر ، أكثر مما قلته الآن .

وأخيراً فمن الثابت :

أن موسى قد شرح جميع الشرائع ، التى سنها فى السنة الأربعين ، بعد الخروج من مصر (انظر التثنية ١ : ٥) .

وأخذ من الشعب وعداً جديداً ، بأن يظلوا خاضعين لهذه الشرائع (انظر التثنية ٢٩ : ١٤) .

. . . .

= ثم كتب سفرا يحتوى على هذه الشرائع ، التى تشرح هذا العهد الجديد (انظر التثنية ٣١ : ٩) . وقد سمى هذا السفر : « توراة لله » .
وقد أضاف إليه يشوع بعد ذلك بمدة طويلة ، رواية العهد ، الذى قطعه الشعب على نفسه من جديد فى أيامه ، وهو ثالث عهد ، يقيمونه مع الله (انظر يشوع ٢٤ : ٢٥ ٢٦) .
ولما لم يكن لدينا أى سفر يحتوى فى الوقت نفسه على عهد موسى وعهد يشوع ، فيجب أن نعترف ضرورة ، بأن هذا السفر قد فقد .

[سبينوزا ص ٢٦٦ وما بعدها .]

يتساءل المرء — بعد أن تظهر أمامه هذه الحقيقة — عن السبب فى أن القرآن الكريم ، أشار إلى ذلك إشارات خفيفة !

لماذا لم يكشف الأخطاء فى التوراة ، فيهاجمها بأسلوب واضح لا يحتمل التأويل ؟ والجواب :

أن أسلوب القرآن الكريم ، فى معالجة أخطاء التوراة ، يدل على أنه ليس من أعمال البشر ، بل هو منزل من عند الله ، الذى يعلم دقائق الأمور ، وأسرار الطبائع البشرية ، ذلك أنه لو أعلن مهاجمته للتوراة سافرة ، لكان ذلك أشبه بالمهاترات ، التى تتقاذفها الطوائف المتنازعة ، إذ يلقى كل التهمة على الآخر ، تحت تأثير العواطف الثائرة ، وغالبا ما يكون هذا الأسلوب بعيدا عن الإطار العلمى — حسب التعبير الحديث — وخارجا عن دائرة التفكير العقلى ، ولهذا ركز القرآن على ناحيتين هامتين :

١ — وحدانية الله ، فقد وضح هذه المسألة وضوحا لا لبس ، ولا غموض فيها ، بل وصل به الأمر أحيانا ، إلى التهديد الشديد ، والوعيد لمن يشرك بالله ، واستعمل فى ذلك أبلغ العبارات ، وأوضحها :

« لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ =

. . . .

وَأُمَّهُ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَـآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ». [المائدة ١٧]

« لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » . [المائدة ٧٣]

ب ـ إثبات أن محمدا رسول الله يتلقى الوحى من السما :

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً » [النساء ١٧٠]

« قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » [الأعراف ١٥٨]

« وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا . وَقَالُوٓاْ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً . قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيماً » [الفرقان ٤ ـ ٦]

« أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا » [النساء ٨٢]

فإذا نجحت الدعوة ، فى إقناع الفرد ، بأن الله واحد ، وأن محمداً رسول الله ، فاعتقد الإنسان ، أن القرآن وحى من الله ، لم يعد للتوراة ـ ولا لغيرها ـ =

[ما يظهر على يد رهبانهم من خوارق العادات]

فلو أنك تطالع جميع كتبنا ، وما كان لنا من الفضائل ـ وحتى [إلى] الآن ـ فإن[1] منا أقواماً صالحين ، يوعون الآيات والبراهين ، ولكنهم لا يظهرونها ، إلا فى وقت الحاجة إليها . ولو شاهدت نزول النور ، الذى يأتينا ، فى كل سنة ، فى ليلة عيدنا الكبير [...][2] ، لرأيت أمراً عجيباً وشيئاً غريباً[3] .

= وجود ، إذ تحل التشريعات القرآنية مكانها ، ويتخذها الفرد منهاجا له ، فى سلوكه ويقرها المجتمع قانونا ، ينظم شئون حياته كلها ، وحينئذ تصبح قضية التوراة عديمة الأهمية ، ويستوى ثبوت التحريف ، وعدم ثبوته ، إذ هو يتعلق بشىء ، لم يعد سارى المفعول فى المجتمع الذى آمن :

— بوحدانية الله .

— وبأن محمداً صلى الله عليه وسلم ، أرسل إلى الناس جميعا ، وبالقرآن وحيا منزلا من الله عليه .

(١) فى ع : « فإنه » .

(٢) زاد فى ع : « أو يد الله التى كانت تظهر لنا فى كنيسة كانت لنا فى الأندلس » .

(٣) أظهر الله على يد عيسى عليه السلام ، معجزة إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه ، والأبرص ، تأييدا له ، وبيانا لمن بعث فيهم ، بأنه رسول من عند الله . ولم يحدثنا القرآن الكريم ، عن رسول أحيا الموتى — مخالفا بذلك سنن الله فى خلقه — إلا عيسى عليه السلام ، فهى منحة من الله أعطاها له ، لحكمة لا ندرك كنهها ، وإن عللها علماء الأديان بعلل شتى .

« وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ » .

[الرعد ٣٨ ، غافر ٧٨]

تلك كانت آية عيسى وحده ، دون غيره من الأنبياء ، فإذا لم يعطها الله لأحد منهم ، فأولى به ألا يعطيها ، لمن هم دون الأنبياء ، إذ لا فائدة فيها .

لكن يبدو أن طبيعة هذه المعجزة — أعنى إحياء الموتى — ، أثرت على عقلية أتباع المسيح ، كما أثرت عليها ، ما قصه اليهود من المعجزات ، التى أيدهم الله بها ، فقد حاولوا — أى اليهود — ، أن يبينوا بذلك ، أن الطبيعة كلها مسيرة لمصلحتهم وحدهم ، بأمر من الإله ، الذى يعبدونه ، وذلك حتى يقنعوا المعاصرين لهم ، من غير اليهود ، الذين يعبدون آلهة منظورة كالشمس والنور والأرض والماء والهواء . . . الخ وحتى يبينوا لهم ضعف هذه الآلهة ، وتقلبها ، أى تغيرها وخضوعها ، لاله غير منظور . وقد سر الناس بذلك ، إلى حد أنهم ما زالوا حتى اليوم يصطنعون معجزات بخيالهم ، حتى يعتقد الآخرون ، أن الله قد فضلهم على الآخرين .

أثر هذا كله على رجال اللاهوت المسيحيين ، فاعتقدوا أنهم قادرون على الإتيان بخوارق العادات ، مستندين إلى ما ورد فى الانجيل :

« فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهٰذَا الْجَبَلِ انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ وَلاَ يَكُونُ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَيْكُمْ » [متى ١٧ : ٢٠]

« لِأَنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مَنْ قَالَ لِهٰذَا الْجَبَلِ انْتَقِلْ وَانْطَرِحْ فِي الْبَحْرِ وَلاَ يَشُكُّ فِي قَلْبِهِ بَلْ يُؤْمِنُ أَنَّ مَا يَقُولُهُ يَكُونُ فَمَهْمَا قَالَ يَكُونُ لَهُ » . [مرقس ١١ — ٢٣]

ثم تمادى الرهبان فى الإغراق فى هذه الناحية ، فزعموا أن الله فضلهم على الآخرين ، بإظهار خوارق العادات على أيديهم ، وشاع ذلك عنهم ، حتى طغى هذا الجانب على غيره ، وأصبحت هذه الظاهرة أمرا ملازماً ، للدين المسيحى ، وطبيعة خاصة ، لدى من يقومون بالطقوس الدينية .

شاع هذا بين العامة — حتى صدقها أيضا عدد غير قليل من المسلمين — لأنهم عاجزون فكريا ، عن التفريق بين الحقيقة ؛ والادعاء ويميلون — بفطريتهم البدائية — إلى تصديق الخرافات .

[الشبهة الثامنة]

وأنتم تقولون : إن فى الجنة أكلا وشرباً ونكاحاً ،وجميع ذلك عندكم فى الكتاب[1] الذى جاء به صاحب شريعتكم[2] . ونحن ننكر جميع

= لكن المحققين ، استطاعوا التوصل إلى ما يكمن وراء هذه الأعمال ، التى ادعى القسيسون ، أنها معجزات ، أظهرها الله على أيديهم ، دليلا على صدقهم ، واتباعهم طريق الحق :

زعموا أن لديهم جدارا يبكى ، إذا تلى الإنجيل أمامه ، ويوهمون العامة ، أنه يبكى لما يعلمه من أمر الإنجيل .

وحقيقة الأمر ، أن فى جوفه مجارى ، فى غاية الدقة ، متصلة بزق مملوء ماء ، يعصره بعض الشمامسة ، فيخرج الماء من المجارى ، ويتصل بالمنافذ ، التى رسموها ، على هيئة عيون ، فتسيل «دموعا » ، فيراها الخاص والعام ، ومن لا يعرف سرها ، وعنده استعداد التصديق بمثل هذه الخوارق ، يعتقد أنها معجزة ، تدل على أن الاناجيل التى بأيديهم صحيحة .

وشبيه بذلك تلك الأصنام ، التى كانوا يصنعونها ، على هيئة امرأة يخرج اللبن من أثدائها ، عند قراءة الإنجيل أمامها .

أما حقيقة النور ، الذى يرونه فى بيت المقدس ليلة عيدهم ، فليس إلا إحدى الحيل ، التى برعوا فيها ، بينها المؤلف فى رده ، كما بين حقيقة « يد الله » التى تمتد لهم فى يوم معلوم من السنة .

(١) فى ج : « وجميع ذلك عندكم هو مكتوب فى الكتاب » . وفى ع : « وجميع ذلك هو عندكم مكتوب فى الكتاب » .

(٢) يشير إلى قوله تعالى :

« إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ . هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ . لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ » . (يس ٥٥ — ٥٧)

ذلك(١) ، ولا يمكن بوجه من الوجوه [وقوعه] عندنا ، ذلك

وقوله :

« مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ » . (محمد ١٥)

وقوله :

« فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ . ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ . وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ . مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ . يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ . بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ . لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ . وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ . وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ . وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ . جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ » .
(الواقعة ٢٢ ـ ٢٤)

(١) استنادا إلى ما جاء فى الإنجيل :

« وَجَاءَ إِلَيْهِ قَوْمٌ مِنَ ٱلصَّدُّوقِيِّينَ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَيْسَ قِيَامَةٌ وَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ يَامُعَلِّمُ كَتَبَ لَنَا مُوسَى إِنْ مَاتَ لِأَحَدٍ أَخٌ وَتَرَكَ ٱمْرَأَةً وَلَمْ يُخَلِّفْ أَوْلَادًا أَنْ يَأْخُذَ أَخُوهُ ٱمْرَأَتَهُ وَيُقِيمَ نَسْلاً لِأَخِيهِ . فَكَانَ سَبْعَةُ إِخْوَةٍ أَخَذَ ٱلْأَوَّلُ ٱمْرَأَةً وَمَاتَ وَلَمْ يَتْرُكْ نَسْلاً . فَأَخَذَهَا ٱلثَّانِي وَمَاتَ وَلَمْ يَتْرُكْ هُوَ أَيْضًا نَسْلاً . وَهٰكَذَا ٱلثَّالِثُ . فَأَخَذَهَا ٱلسَّبْعَةُ وَلَمْ يَتْرُكُوا نَسْلاً . وَآخِرُ ٱلْكُلِّ مَاتَتِ ٱلْمَرْأَةُ أَيْضًا . فَفِي ٱلْقِيَامَةِ مَتَى قَامُوا لِمَنْ مِنْهُمْ تَكُونُ زَوْجَةً . لِأَنَّهَا كَانَتْ زَوْجَةً لِلسَّبْعَةِ . فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ أَلَيْسَ لِهٰذَا تَضِلُّونَ إِذْ لَا تَعْرِفُونَ ٱلْكُتُبَ وَلَا قُوَّةَ ٱللهِ لِأَنَّهُمْ مَتَى قَامُوا مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ لَا يُزَوِّجُونَ وَلَا يُزَوَّجُونَ بَلْ يَكُونُونَ كَمَلَائِكَةٍ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ » .
(مرقس ١٢ : ١٨ ـ ٢٥)

أننا[١] إذا حشرنا يوم القيامة ، حشرنا بأجسادنا ونفوسنا ، ولكن لا نأكل [هناك] ولانشرب[٢] .

(١) فی ج : ت : « ذلك إلا أنا » .

(٢) لم يرد فی التوراة (الموجودة بين أيدينا) ذكر للدار الآخرة ، فلم توعد اليهود بشیء مقابل طاعتهم ، إلا باستمرار دولتهم ، التی يسعدون بها وبنعيم الدنيا، وفی مقابل ذلك فإنها أنذرتهم بسقوط الدولة ، وبأقدح المصائب لو أنهم عصوا الميثاق ونقضوه .

وكما أن غاية كل مجتمع ، وكل دولة ، هی العيش فی أمن ، والحصول علی مزايا معينة ، فإن الوعود ، التی نجدها فی التوراه — مقابل المحافظة علی الشريعة - لم تكن سوی الأمن فی الحياة ، والنعم المادية ، وعلی العكس من ذلك ، فلم يتنبأ لهم بعذاب أكيد مقابل عصيانهم سوی انهيار الدولة ؛ وما ينتج عن ذلك عادة من الشرور ، وكذلك بعض المصائب التی تحل بهم خاصة ، وذلك نتيجة لانهيار دولتهم . (انظر : سبينوزا ص ١٧٧)

فإذا نظرنا فی العقوبات ، والمكافآت التی تحدثت عنها التوراة ، نجد أنها تتعلق بأشياء مادية ، وينالها المرء — سواء كانت عقوبة أو جزاء — فی الحياة الدنيا ، فحين توجه الله سبحانه ، إلی الأسرة الإنسانية الأولی ، بشأن الفاكهة المحرمة ، قال :

« وَأَمَّا ثَمَرُ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي فِي وَسَطِ ٱلْجَنَّةِ فَقَالَ ٱللهُ : لَا تَأْكُلَا مِنْهُ وَلَا تَمَسَّاهُ ، لِئَلَّا تَمُوتَا » [تكوين ٣ : ٣]

وحين خاطب ولدها الأكبر قابيل ، قاتل أخيه هابيل . قال .

« فَٱلْآنَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا ، لِتَقْبَلَ دَمَ أَخِيكَ مِنْ يَدِكَ . مَتَى عَمِلْتَ ٱلْأَرْضَ لَا تَعُودُ تُعْطِيكَ قُوَّتَهَا » .

(تكوين ٤ : ١١ – ١٢)

وعندما فسدت الأرض بعد ذلك بحين من الدهر ، فعوقبت بالطوفان ، بارك الله نوحا وبنيه ، فقال :

. . . .

« أثمِرُوا ، وَأَكثِرُوا ، وَامْلأُوا الأرْضَ » [تكوين ٩ : ١]

وقوبل إذعان إبراهيم ، للارادة الإلهية ، حيث أطاع الله ، فهم بذبح ابنه ، بورك بالخيرات الأرضية ، على سبيل الثواب :

« بِذَاتِي أقسَمْتُ يَقولُ الرَّبُّ ، إنّي مِنْ أجلِ أنّكَ فعلتَ هذا الأمْرَ ، وَلمْ تُمْسِكِ ابنَكَ وَحِيدَكَ ، أبارِكُكَ مُبارَكةً ، وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ تَكْثِيرًا كَنُجُومِ السَّماءِ ، وَكالرَّمْلِ الّذِي عَلَى شَاطِئِ البَحْرِ . وَيَرِثُ نَسْلُكَ بَابَ أعْدَائِهِ » . [تكوين ٢٢ : ١٦ – ١٧]

ومنذ ذلك الحين أصبحت هذه الأفكار مألوفة لدى ذرية إبراهيم ، فهي تعد صيغة السلام والمباركة ، فإن إسحاق يبارك يعقوب بهذه الكلمات :

« فَلْيُعْطِكَ اللهُ مِنْ نَدَى السَّماءِ . وَمِنْ دَسَمِ الأرْضِ . وَكَثرَةَ حِنطَةٍ وَخَمْرٍ . لِيُسْتَعْبَدْ لَكَ شُعُوبٌ ، وَتَسْجُدْ لكَ قبائِلُ » .

[تكوين ٢٧ : ٢٨ — ٩]

ويقول الرب أيضاً لإسرائيل (يعقوب) :

« أثمِرْ ، وَاكثُرْ ، أمّةٌ ، وَجَماعَةُ أمَمٍ تَكُونُ مِنكَ . وَمُلُوكٌ سَيَخْرُجُونَ مِنْ صُلْبِكَ . وَالأرْضُ الّتي أعْطَيْتُ إبْرَاهِيمَ وَإسْحَقَ لَكَ أعطِيها ، وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أعْطِي الأرْضَ » .

[تكوين ٣٥ : ١١ — ١٢]

فإذا وصلنا إلى موسى ، وجدناه ، يركز على تنمية نفس الهدف ، ليعظ أبناء إسرائيل ، وهو ينقل إليهم الدعوة الإلهية ، ليحملهم على الإيمان بها :

« وَتَعبُدُونَ الرَّبَّ إلٰهَكُمْ . فَيُبَارِكُ خُبْزَكَ ، وَمَاءَكَ ، وَأزِيلُ المَرَضَ مِنْ بَيْنِكُمْ . لَا تَكُونُ مُسْقِطَةٌ وَلَا عَاقِرٌ فِي أرْضِكَ . وَأُكَمِّلُ عَدَدَ=

. . . .

= أَيَّامكَ أُرْسِلُ هَيْبَتِي أَمَامَكَ ، وَأُزْعِجُ جَمِيعَ ٱلشُّعُوبِ ٱلَّذِينَ تَأْتِي عَلَيْهِمْ ، وَأُعْطِيكَ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ مُدْبِرِينَ . وَأُرْسِلُ أَمَامَكَ ٱلزَّنَابِيرَ . فَتَطْرُدُ ٱلْحِوِّيِّينَ وَٱلْكَنْعَانِيِّينَ ، وَٱلْحِثِّيِّينَ مِنْ أَمَامِكَ . لاَ أَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ لِئَلاَّ تَصِيرَ ٱلأَرْضُ خَرِبَةً فَتَتَكَثَّرَ عَلَيْكَ وُحُوشُ ٱلْبَرِّيَّةِ ، قَلِيلاً قَلِيلاً أَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ إِلَى أَنْ تُثْمِرَ وَتَمْلِكَ ٱلأَرْضَ . . »

[خروج ٢٣ - ٢٥ - ٣٠]

ويقول الرب لهم فى موضع آخر :

« إِذَا سَلَكْتُمْ فِي فَرَائِضِي ، وَحَفِظْتُمْ وَصَايَايَ ، وَعَمِلْتُمْ بِهَا ، أُعْطِي مَطَرَكُمْ فِي حِينِهِ ، وَتُعْطِي ٱلأَرْضُ غَلَّتَهَا ، وَتُعْطِي أَشْجَارُ ٱلْحَقْلِ أَثْمَارَهَا . وَيَلْحَقُ دِرَاسُكُمْ بِٱلْقِطَافِ ، وَيَلْحَقُ ٱلْقِطَافُ بِٱلزَّرْعِ ، فَتَأْكُلُونَ خُبْزَكُمْ لِلشِّبَعِ ، وَتَسْكُنُونَ فِي أَرْضِكُمْ آمِنِينَ . وَأَجْعَلُ سَلاَماً فِي ٱلأَرْضِ ، فَتَنَامُونَ وَلَيْسَ مَنْ يُزْعِجُكُمْ . وَأُبِيدُ ٱلْوُحُوشَ ٱلرَّدِيئَةَ مِنَ ٱلأَرْضِ ، وَلاَ يَعْبُرُ سَيْفٌ فِي أَرْضِكُمْ . وَتَطْرُدُونَ أَعْدَاءَكُمْ فَيَسْقُطُونَ أَمَامَكُمْ بِٱلسَّيْفِ ، يَطْرُدُ خَمْسَةٌ مِنْكُمْ مِئَةً ، وَمِئَةٌ مِنْكُمْ يَطْرُدُونَ رِبْوَةً ، وَيَسْقُطُ أَعْدَاؤُكُمْ أَمَامَكُمْ بِٱلسَّيْفِ . وَأَلْتَفِتُ إِلَيْكُمْ وَأُثْمِرُكُمْ ، وَأُكَثِّرُكُمْ ، وَأَفِي مِيثَاقِي مَعَكُمْ . فَتَأْكُلُونَ ٱلْعَتِيقَ ٱلْمُعَتَّقَ ، وَتُخْرِجُونَ ٱلْعَتِيقَ مِنْ وَجْهِ ٱلْجَدِيدِ . وَأَجْعَلُ مَسْكَنِي فِي وَسَطِكُمْ ، وَلاَ تَرْذُلُكُمْ نَفْسِي . وَأَسِيرُ بَيْنَكُمْ ، =

. . . .

= وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهاً ، وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي شَعْباً . أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ ، مِنْ كَوْنِكُمْ لَهُمْ عَبِيدًا ، وَقَطَّعَ قُيُودَ نِيرِكُمْ وَسَيَّرَكُمْ قِيَامًا .

لَكِنْ إِنْ لَمْ تَسْمَعُوا لِي وَلَمْ تَعْمَلُوا كُلَّ هَذِهِ الْوَصَايَا . وَإِنْ رَفَضْتُمْ فَرَائِضِي ، وَكَرِهَتْ أَنْفُسُكُمْ أَحْكَامِي ، فَمَا عَمِلْتُمْ كُلَّ وَصَايَايَ ، بَلْ نَكَثْتُمْ مِيثَاقِي . فَإِنِّي أَعْمَلُ هَذِهِ بِكُمْ . أُسَلِّطُ عَلَيْكُمْ رُعْبًا ، وَسِلاًّ وَحُمَّى تُفْنِي الْعَيْنَيْنِ ، وَتُتْلِفُ النَّفْسَ ، وَتَزْرَعُونَ بَاطِلاً زَرْعَكُمْ ، فَيَأْكُلُهُ أَعْدَاؤُكُمْ وَأَجْعَلُ وَجْهِي ضِدَّكُمْ ، فَتَنْهَزِمُونَ أَمَامَ أَعْدَائِكُمْ ، وَيَتَسَلَّطُ عَلَيْكُمْ مُبْغِضُوكُمْ ، وَتَهْرُبُونَ وَلَيْسَ مَنْ يَطْرُدُكُمْ » .

[لاوين ٢٦ : ٣ - ١٧]

ويقول فى موضع آخر :

« وَمِنْ أَجْلِ أَنَّكُمْ تَسْمَعُونَ هَذِهِ الْأَحْكَامَ ، وَتَحْفَظُونَ ، وَتَعْمَلُونَهَا ، يَحْفَظُ لَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ الْعَهْدَ ، وَالْإِحْسَانَ اللَّذَيْنِ أَقْسَمَ لِآبَائِكَ وَيُحِبُّكَ وَيُبَارِكُكَ ، وَيُكَثِّرُكَ وَيُبَارِكُ ثَمَرَةَ بَطْنِكَ ، وَثَمَرَةَ أَرْضِكَ ، قَمْحَكَ ، وَخَمْرَكَ ، وَزَيْتَكَ وَنِتَاجَ بَقَرِكَ ، وَإِنَاثَ غَنَمِكَ ، عَلَى الْأَرْضِ ، الَّتِي أَقْسَمَ لِآبَائِكَ أَنَّهُ يُعْطِيكَ إِيَّاهَا ، مُبَارَكاً تَكُونُ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ ، لاَ يَكُونُ عَقِيمٌ وَلاَ عَاقِرٌ فِيكَ ، وَلاَ فِي بَهَائِمِكَ ، وَيَرُدُّ الرَّبُّ عَنْكَ كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ أَدْوَاءِ مِصْرَ الرَّدِيئَةِ ، الَّتِي عَرَفْتَهَا ، لاَ يَضَعُهَا عَلَيْكَ ، بَلْ يَجْعَلُهَا عَلَى كُلِّ مُبْغِضِيكَ ، وَتَأْكُلُ

. . . .

= كُلَّ ٱلشُّعُوبِ ، ٱلَّذِينَ ٱلرَّبُّ إِلَٰهُكَ يَدْفَعُ إِلَيْكَ » .

[تثنية ٧ : ١٢ — ١٦ ، وانظر كذلك الإصحاح الحادى عشر : ١٣ وما بعدها .]

فهى فكرة واحدة ، استولت على عقلية بنى إسرائيل .

عقاب وصورته : قحط ، هلاك ، ذلة ، عار ، استعباد الأعداء لهم .

وجزاء ، وصورته : زيادة فى غلة الأرض وثمارها ، ووفرة فى نتاج البهائم ، وزيادة فى نسلهم ، ونصر على أعدائهم .

ولا تتحدث التوراة عن ثواب أو عقاب فى الدار الآخرة ، بل لم يرد لها ذكر على الإطلاق ، والمسكن الذى ورد فى قول موسى :

« تُرْشِدُ بِرَأْفَتِكَ ٱلشَّعْبَ ٱلَّذِى فَدَيْتَهُ ، تَهْدِيهِ بِقُوَّتِكَ ، إِلَى مَسْكَنِ قُدْسِكَ » .

[الخروج ١٥ : ١٣]

فليس المراد به جنة فى الدار الآخرة ، بل هى الأرض الموعودة وراء نهر الأردن وهى بلد الكنعانيين ، يؤيد ذلك ما جاء فى فقرة أخرى :

« بَلِ ٱلْمَكَانُ ٱلَّذِى يَخْتَارُهُ ٱلرَّبُّ إِلَٰهُكُمْ مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِكُمْ لِيَضَعَ اسْمَهُ ، فِيهِ سُكْنَاهُ ، تَطْلُبُونَ ، وَإِلَى هُنَاكَ تَأْتُونَ ، وَتُقَدِّمُونَ إِلَى هُنَاكَ مُحْرَقَاتِكُمْ ، وَذَبَائِحَكُمْ ، وَعُشُورَكُمْ ، وَرَفَائِعَ أَيْدِيكُمْ ، وَنُذُورَكُمْ ، وَنَوَافِلَكُمْ ، وأَبْكَارَ بَقَرِكُمْ وَغَنَمِكُمْ » .

[تثنية ١٢ : ٥ — ٦]

وهكذا لا نصادف ، منذ آدم ، حتى موسى ، إلى آخر عهده ، أية إشارة ، فى =

. . . .

أى مكان ، إلى حياة بعد الموت ، كأنما لم يكن لعقيدة الحياة الآخرى مكان فى أديانهم .

غير أن القرآن الكريم يحدثنا أن موسى — وكذلك إبراهيم — ذكر لهم الدار الآخرة ، وأنبأهم بالبعث بعد الموت ، فإبراهيم يدعو الله قائلا :

« ولاَ تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ » .

[الشعراء ٨٧]

وموسى يتوسل إلى الله قائلا .

« وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ » .

[الأعراف ١٥٦]

كذلك أنذرهم الله بيوم الآخرة ، حيث لا ينفع المرء إلا ما قدمت يداه فى هذه الحياة الدنيا ، قال تعالى مخاطبا بنى إسرائيل :

« وَٱتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ » .

[البقرة ٤٨]

لم يرد فى التوراة الموجودة بين أيدينا ، ذكر لهذه المعانى ، التى تحدث بها القرآن عن لسان أنبيائهم ، لأنها ليست توراة موسى ، بل ألفها رجل آخر عاش فى عصر متأخر عن موسى بزمن بعيد — كما سبق بيان ذلك — ، عصر كان اليهود فيه أذلاء ، مستعبدين ، يتوقون إلى الحرية ، ويحلمون بالثروة ، ويتمنون اليوم الذى يستطيعون فيه الانتقام من أعدائهم ، الذين يسومونهم سوء العذاب ، فعبر الكاتب عن آمالهم ، وآلامهم ، وخلطها بالأفكار ، والقصص الدينية ، التى =

. . . .

= كانت تتناقلها الأفواه آنذاك ، فجاءت على هذه الحالة ، خالية من الإشارة إلى الدار الآخرة ، لأن ظروفهم الاجتماعية ، والسياسية كانت قاسية عليهم ، فلم يكونوا يفكرون إلا فى الخلاص من المآسى المحدقة بهم .

وإذا تصفحنا الأسفار التى عاش « مؤلفها » بعد فترة الأسر ، حيث اتصل اليهود بالإيرانيين ، أتباع زرادشت ، نجد فيها إشارات إلى الحياة الأخرى بما فيها من ثواب وعقاب [انظر أشعياء إصحاح ٤٠ — ٦٦ ، وحزقيال إصحاح ٤٦ — ٤٨] .

ولعل أوضحها ما جاء فى سفر دانيال :

« وَكَثِيرُونَ مِنَ ٱلرَّاقِدِينَ فِي تُرَابِ ٱلْأَرْضِ يَسْتَيْقِظُونَ ، هٰؤُلَاءِ إِلَى ٱلْحَيٰوةِ ٱلْأَبَدِيَّةِ وَهٰؤُلَاءِ إِلَى ٱلْعَارِ لِلازْدِرَاءِ ٱلْأَبَدِي » .

[دانيال ١٢ : ٢ — ٣]

أما العهد الجديد ، فقد اشتمل على نصوص عديدة ، تشير إلى الجزاء الأخروى ، فإذا قلبنا صفحاته ، فلسوف نستمع إلى نغمة جديدة كل الجدة ، لم توجد فى العهد القديم ، هنا يحس القارى بأنه انتقل من طرف ، إلى أقصى طرف مقابل له .

نجد فكرة دينية ، تدعو إلى أن صلاتنا بالعالم الراهن ، بكل ما فيها من غنى ، وعظمة سوف تنقطع ، فهى بالنسبة إلينا قيود ، ينبغى أن نتحرر منها ، نظراتنا لا تعود مثبتة على الأرض ، تنتظر الثمار ، والزرع ، بل إنها دائماً موجهة إلى السماء . قال المسيح لأحد المؤمنين الجدد :

« إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً ، فَٱذْهَبْ ، وَبِعْ أَمْلاَكَكَ ، وَأَعْطِ ٱلْفُقَرَاءَ فَيَكُونُ لَكَ كَنْزٌ فِي ٱلسَّمَاءِ ، وَتَعَالَ ٱتْبَعْنِي » .

[متى ١٩ : ٢١ ومرقص ١٠ : ٣٤]

وقال لتلاميذه :

« فَلاَ تَطْلُبُوا أَنْتُمْ مَا تَأْكُلُونَ ، وَمَا تَشْرَبُونَ ، وَلاَ تَقْلَقُوا . =

. . . .

= فَإِنَّ هٰذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا أُمَمُ الْعَالَمِ. وَأَمَّا أَنْتُمْ، فَأَبُوكُمْ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ فِي هٰذِهِ. بَلِ اطْلُبُوا مَلَكُوتَ اللهِ، وَهٰذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ.
لاَ تَخَفْ أَيُّهَا الْقَطِيعُ الصَّغِيرُ، لِأَنَّ أَبَاكُمْ، قَدْ سُرَّ أَنْ يُعْطِيَكُمُ الْمَلَكُوتَ. بِيعُوا مَالَكُمْ، وَأَعْطُوا صَدَقَةً. اِعْمَلُوا لَكُمْ أَكْيَاسًا لاَ تَفْنَى، وَكَنْزًا لاَ يَنْفَدُ فِي السَّمٰوَاتِ، حَيْثُ لاَ يَقْرَبُ سَارِقٌ، وَلاَ يُبْلِي سُوسٌ. لِأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكُمْ هُنَاكَ، يَكُونُ قَلْبُكُمْ أَيْضًا».

[لوقا ١٢ : ٢٩– ٣٤]

هذه التعاليم ذاتها، قدمها كذلك تلاميذ المسيح فى وعظهم، وفى رسائلهم إلى الذين دعوهم إلى التمسك بالمسيحية دينا. كتب «بولس» فى رسالته إلى «تيموثاوس»:

« أَوْصِ الْأَغْنِيَاءَ فِي الدَّهْرِ الْحَاضِرِ، أَنْ لاَ يَسْتَكْبِرُوا، وَلاَ يُلْقُوا رَجَاءَهُمْ عَلَى غَيْرِ يَقِينِيَّةِ الْغِنَى، بَلْ عَلَى اللهِ الْحَيِّ، الَّذِي يَمْنَحُنَا كُلَّ شَيْءٍ بِغِنًى لِلتَّمَتُّعِ. وَأَنْ يَصْنَعُوا صَلاَحًا، وَأَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ فِي أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، وَأَنْ يَكُونُوا أَسْخِيَاءَ فِي الْعَطَاءِ كُرَمَاءَ فِي التَّوْزِيعِ، مُدَّخِرِينَ لِأَنْفُسِهِمْ أَسَاسًا حَسَنًا لِلْمُسْتَقْبَلِ، لِكَيْ يُمْسِكُوا بِالْحَيٰوةِ الْأَبَدِيَّةِ».

[رسالة بولس الأولى إلى «تيموثاس» ٦ : ١٧ – ١٩]

وقال يوحنا:

« لاَ تُحِبُّوا الْعَالَمَ، وَلاَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ. إِنْ أَحَبَّ أَحَدٌ الْعَالَمَ، فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ الْآبِ. لِأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ شَهْوَةَ =

. . . .

ٱلْجَسَدِ وَشَهْوَةَ ٱلْعُيُونِ ، وَتَعَظُّمَ ٱلْمَعِيشَةِ لَيْسَ مِنَ ٱلْآبِ ، بَلْ مِنَ ٱلْعَالَمِ . وَٱلْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ ، وَأَمَّا ٱلَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ ٱللهِ فَيَثْبُتُ إِلَى ٱلْأَبَدِ .

أَيُّهَا ٱلْأَوْلَادُ هِيَ ٱلسَّاعَةُ ٱلْأَخِيرَةُ . . . . وَهٰذَا هُوَ ٱلْوَعْدُ ٱلَّذِي وَعَدَنَا هُوَ بِهِ ٱلْحَيَاةُ ٱلْأَبَدِيَّةُ » .

[رسالة يوحنا الأولى ٢ : ١٥ — ٢٥]

وهكذا نجد أن الانجيل يجعل أمل المؤمنين دائماً هو الجزاء فى الآخرة ، فى حياة ما بعد الموت ، على العكس من العهد القديم الذى ركز على تحقيق ما يعد المؤمنين به من ثواب وما ينذرهم من عقاب ، فى الحياة الدنيا ، ولا نجد هذا الاتجاه فى الإنجيل إلا فى مواضع قليلة :

١ — فى فقرة واحدة فى الانجيل حيث وعد المسيح بمكافأة مزدوجة فى الحياة المقبلة ، وفى هذه الحياة [مرقس ١٠ : ٣٠] غير أن ذكر الجزاء الدنيا فى هذه النقطة لم يأت فى إنجيل متى [انظر متى ١٩ : ٢٩]

٢ — فى فقرات متعددة عند « بولس » ، حيث وعد الأولاد المطيعين بالأعمار الطوال فى رسالته إلى أهل « أفسس » ، الاصحاح السادس فقرة رقم ثلاثة ، كذلك وعد عامة الناس ، بأن يزيدهم الله كل نعمة « مادية » ، لكى يكونوا ولهم كل اكتفاء ، كل حين فى كل شىء يزدادون ، فى كل عمل صالح ، فيعطوا المساكن رسالته الثانية إلى أهل « كورنثوس » ٩ : ٨ — ١١ . وفى رسالته الأولى إلى أهل « كورنثوس » ١١ : ٢٩ — ٣٠ ، فسر كثرة الوفيات ، والعدد الكبير من المرضى والضعفاء ، بالاخلال ببعض الواجب الدينى .

* * *

أما منهج التعليم القرآنى ، فيبين للناس صورة مركبة مزدوجة ، تستهدف الحياة الدنيا ، والحياة الأخرى معا ، وتعلن للانسان بأن عليه أن يتقبل فى كلتا الحياتين ، الثمن الأخلاقى ، والبدنى ، والروحى ، لما قدمت يداه ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، ففى الصالحين يقول سبحانه :

. . . .

« وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ »

[البقرة ٢٠١ ، ثم اقرأ الآيات : ١٤٨ آل عمران ، و ١٣٤ النساء ، و ٥٦ ، ٥٧ يوسف ، و ٣٠ ، ٤١ ، ٩٧ ، ١٢٢ النحل ، ٢٧ العنكبوت ، و ٣١ فصلت].

ويقول سبحانه فى الطالحين :

« أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ، وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ » .

[البقرة ٨٥ ، ثم اقرأ الآيات : ١١٤ البقرة ، و ١٢ ، ٥٦ آل عمران ، و ٤١ المائدة ، و ٧٤ التوبة ، و ٧٥ الاسراء و ٩ ، ١١ الحج ، و ١٩ النور ، و ٢١ السجدة ، و ٤٠ الزمر ، و ١٦ فصلت ، و ٢٥ نوح].

وليس المفهوم المادى للجزاء الأخرى إسلامى النوع ، بل هو عنصر مشترك بين جميع الأخلاق الدينية ، التى تعترف للناس بحياة أخرى ، سوف يجتمع فيها البدن والروح من جديد ، بعد أن يكونا قد انفصلا مؤقتا بالموت ، يجتمعان ليتلقيا معا ثوابا خالدا ، أو عقابا أبديا .

ولما كان المسيح قد تحدث عن حياة أخرى بعد الموت — على عكس ما جاء فى العهد القديم — فالمسيحيون يعتقدون ، بأن الله سيثيب الإنسان على ما قدم من عمل صالح ، ويعاقبه على ما اقترف من سيئات ، وليس بلازم أن يكون ذلك فى الدنيا ، فمن — لم ينل ثوابه وكذلك من لم يعاقب على ما ارتكب — فى الدنيا ، سيأخذه لا محالة يوم الحساب :

« . . . . فَيَمْضِى هَٰؤُلَاءِ إِلَىٰ عَذَابٍ أَبَدِيٍّ ، وَٱلْأَبْرَارُ إِلَىٰ حَيَوٰةٍ أَبَدِيَّةٍ » .

[متى ٢٥ : ٤٦] =

. . . .

= غير أن علماء العقيدة المسيحية ، اختلفوا فى كيفية الحياه فى الدار الآخرة : فريق يرى أنها ستكون بلا أكل ولا شرب ، ولا نكاح ، مستدلين بما ورد فى إنجيل مرقس ١٢ : ١٨ – ٢٥ ، وعليه فلن يكون هناك نبات ، ولا حيوان ، إذ خلقهما الله فى الدنيا ، لسد احتياج الإنسان ، فلما انتفت الحاجة ، لزم عدم إعادة خلقهما ، ويؤلون ما يفيد ذلك .

ويرى جمهورهم أن الحياة الأخرى ، ستكون مثل الحياة الدنيا ، فيها أكل وشرب ، ونكاح .. إلخ . وهذه هى القاعدة العامة لدى الكنيسة ، إذ يعلم آباء الكنيسة وفقهاؤها أتباعهم عقيدة بعث الجسد ، وعقيدة اشتراكه مع الروح فى الجزاء ، وهما عقيدتان ، قائمتين على أساس متين من تعاليم السيدالمسيح ، والدعاة فقد قال يسوع لحوارييه :

« وَلاَ تَخَافُوا مِنَ ٱلَّذِينَ يَقْتُلُونَ ٱلْجَسَدَ ، وَلٰكِنَّ ٱلنَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا ، بَلْ خَافُوا بِٱلْحَرِيِّ مِنَ ٱلَّذِى يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ ٱلنَّفْسَ وَٱلْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ » .

[مق ١٠ : ٢٨]

وقال أيضاً :

« يُرْسِلُ ٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ مَلاَئِكَتَهُ فَيَجْمَعُونَ مِنْ مَلَكُوتِهِ جَمِيعَ ٱلْمَعَاثِرِ ، وَفَاعِلِي ٱلْإِثْمِ . وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَتُونِ ٱلنَّارِ . هُنَاكَ يَكُونُ ٱلْبُكَاءُ وَصَرِيرُ ٱلْأَسْنَانِ ».

[مق ١٣ : ٤١ – ٤٢]

وكثيراً ما صور جهنم على أنها :

« . . إِلَى ٱلنَّارِ ٱلَّتِي لاَ تُطْفَأُ . حَيْثُ دُودُهُمْ لاَ يَمُوتُ ، وَٱلنَّارُ لاَ تُطْفَأُ » .

[مرقس ٩ : ٤٣ – ٤٤ ، ٤٨]

. . . .

ويصرخ الفتى الخبيث ، الذى كان يلبس الأرجون ، والبز مترفها ، ولم يكن يتصدق على المسكين « لعازر » حتى مات جوعاً ، يصرخ وهو فى عذاب جهنم قائلا:

« يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ ! ارْحَمْنِي ، وَأَرْسِلْ « لِعَازَرَ » لِيَبُلَّ طَرَفَ إِصْبِعِهِ بِمَاءٍ وَيُبَرِّدَ لِسَانِي ، لِأَنِّي مُعَذَّبٌ فِي هٰذَا اللَّهِيبِ » .

[لوقا ١٦ : ٢٤]

ونقرأ فى رؤيا القديس يوحنا اللاهوتى :

« وَأَمَّا الْخَائِفُونَ ، وَغَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالرَّجِسُونَ ، وَالْقَاتِلُونَ ، وَالزُّنَاةُ ، وَالسَّحَرَةُ ، وَعَبَدَةُ الْأَوْثَانِ ، وَجَمِيعُ الْكَذَبَةِ ، فَنَصِيبُهُمْ فِي الْبُحَيْرَةِ الْمُتَّقِدَةِ بِنَارٍ وَكِبْرِيتٍ » .

[٢١ : ٨]

وعلى الرغم من أن الكنيسة لم تقل شيئاً عن طبيعة النار ، فإنها تقرر أنها نار واقعية ، لها سماتها من ، اللهب ، والجمر ، والأوار الذى لا يخمد .. إلخ .

ومع أن الإشارة إلى الجنة ، كانت أقل ترديداً فى العهد الجديد من موضوع النار ، فإنها تحمل كثيراً طابع السعادة الحسية ، بجانب السعادة الروحية .

ولقد رأينا آنفاً توسلات الفتى الخبيث ، يلتمس قليلا من الماء ليبل لسانه . ولذلك يقرر يسوع فى أكثر العبارات صراحة وعموماً :

« وَأَنَا أَجْعَلُ لَكُمْ كَمَا جَعَلَ لِي أَبِي مَلَكُوتاً . لِتَأْكُلُوا وَتَشْرَبُوا عَلَى مَائِدَتِي فِي مَلَكُوتِي ، وَتَجْلِسُوا عَلَى كَرَاسِيَّ تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الِاثْنَيْ عَشَرَ » .

[لوقا ٢٢ : ٢٩ - ٣٠]

وقال أيضاً للذى دعاه :

« إِذَا صَنَعْتَ غَدَاءً أَوْ عَشَاءً فَلَا تَدْعُ أَصْدِقَاءَكَ وَلَا إِخْوَتَكَ —

. . . .

= وَلاَ أَقْرِبَاءَكَ ، وَلاَ ٱلْجِيرَانَ ٱلأَغْنِيَاءَ ، لِئَلاَّ يَدْعُوكَ هُمْ أَيْضاً ، فَتَكُونَ لَكَ مُكَافَأَةٌ . بَلْ إِذَا صَنَعْتَ ضِيَافَةً فَادْعُ ٱلْمَسَاكِينَ ، ٱلْجُدْعَ ، ٱلْعُرْجَ ، ٱلْعُمْيَ ، فَيَكُونَ لَكَ ٱلطُّوبَى ، إِذْ لَيْسَ لَهُمْ حَتَّى يُكَافُوكَ . لِأَنَّكَ تُكَافَى . فِي قِيَامَةِ ٱلأَبْرَارِ » .

[لوقا ١٤ : ١٢ – ١٤]

وأكثر من ذلك تحديداً أيضاً قوله فى آخر اجتماع له مع حوارييه :

« وَأَقُولُ لَكُمْ : إِنِّي مِنَ ٱلآنَ لاَ أَشْرَبُ مِنْ نِتَاجِ ٱلْكَرْمَةِ هٰذَا إِلَى ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ أَبِي » .

[متى ٢٦ : ٢٩ ، ومرقس ١٤ : ٢٥ ، ولوقا ٢٢: ١٨]

بيد أن الجانب الحسى من نعيم الجنة أكثر ظهوراً فى رؤيا القديس يوحنا :

« مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ ٱلْحَيٰوةِ ٱلَّتِي فِي وَسَطِ فِرْدَوْسِ ٱللهِ » .

[٢ : ٧]

« مَنْ يَغْلِبُ فَذٰلِكَ سَيَلْبَسُ ثِيَابًا بِيضًا » .

[٣ : ٥]

« لَنْ يَجُوعُوا بَعْدُ ، وَلَنْ يَعْطَشُوا بَعْدُ ، وَلاَ تَقَعُ عَلَيْهِمُ ٱلشَّمْسُ وَلاَ شَيْءٌ مِنَ ٱلْحَرِّ » .

[٧ : ١٦]

وبهذا يتبين خطأ ماذهب إليه القسيس من أن المسيحية تنكر النعيم المادى فى الحياة الأخرى .

[الشبهة التاسعة]

ودين الصليب فشا[١] فى الأرض دون سيف ولا قهر ، ود ينكم إذ
ظهر بالسيف ، والقهر فى الأرض[٢] .

(١) فى ج : « فشاء » بهمزة .

(٢) هذا مايردده أعداء الإسلام ، منذ بدء فترة الدفاع المسلح عن العقيدة إلى اليوم ، إذ مازلنا نسمع من المستشرقين ، ومن يدور فى فلكهم من ضعاف النفوس ، أن المسيحية تنكر القتال ، بينما دعا الإسلام إلى الحرب ، وإلى الجهاد فى سبيل الله أى إلى إكراه الناس بالسيف على الدخول فى الإسلام ، وهذا هو التعصب بعينه ، وغاب عن هؤلاء ... ائق التالية :

أولا :

نص القرآن الكريم فى مواضع عدة ، على أنه لا إكراه فى الدين يقول تعالى :

« لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ »

[البقرة : ٢٥٦]

ويقـــول :

« وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأَمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ » .

[يونس : ٩٩]

ويقـــول :

« فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ »

[الكهف ٢٩]

ويقـــول :

« فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ »

[الغاشية ٢١ : ٢٢]

. . . .

فالإسلام لا يجيز لأحد ـ ولو كان النبي نفسه ـ أن يجبر إنساناً على الدخول فى الإسلام .

ثانياً :

يمتاز الإنسان عن الحيوان ، بالقدرة على التفكير ، ومن خصائص هذا التفكير ، ميل الإنسان إلى الحرية فى التعبير عن آرائه ، وفى اعتناق ما يراه موافقاً لطبيعته ، فإذا ما منع من هذا بقوة السلاح ، فإن من الطبيعى أن يدافع عن رأيه بالوسائل ، التى يقاتله بها من يريدون كبت حريته ، فإن أراد أحد أن يفتن آخر عن عقيدته ، مستعملا الدعاية والمنطق ، دون اللجوء على حمله على ترك عقيدته بالقوة ، لم يكن للمؤمن أن يدافع عن عقيدته ، إلا بالحجة والمنطق ، أما إذا أجبر بقوة السلاح ، لم يكن له من سبيل إلا حمل السلاح أيضاً ، للدفاع عن عقيدته ، لأنها أثمن شىء عند من يفهمون معنى الإنسانية فهى أثمن من المال والجاه بل أغلى من الحياة نفسها ، وقد أدرك هذا المسلمون الأولون ، فدفعوا حياتهم ثمناً للدفاع عن عقيدتهم ، وتلك سنة الله فى خلقه .

« وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ ٱلنَّاسَ بَعضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ » .

[البقرة ٢٥١]

« وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ ٱللهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ » .

[الحج ٤٠]

ولو لم يقاتل المسلمون لحكم عليهم التاريخ بأنهم أذلوا ، وأهينوا ، فرضوا بالذل ، والهوان ، وتلك سبة تأباها الطبيعة الإنسانية ، ولما كان الاسلام موافقاً ـ فى تعاليمه وشرائعه ـ لهذه الطبيعة ، لم يرض لأتباعه أن يتصفوا بهذه النقيصة . وعليه فلم يحمل المسلمون السلاح ـ لاجبار أحد على الدخول فى دينهم ، بل كان للدفاع عن أثمن شىء لديهم ، ألا وهى حرية ممارسة ماتمليه عليهم عقيدتهم .

. . . .

ثالثاً :

يعقد أعداء الإسلام مقارنة بين محمد وعيسى عليهما السلام ، مدعين أن عيسى لم يقاتل أحداً ، بينما قاد محمد معارك كثيرة ، ضد من وقفوا فى سبيل دعوته وينسى هؤلاء أن عيسى استمر ثلاث سنوات فقط يدعوا إلى دينه بدون قتال ، ومكث محمد ثلاث عشرة سنة يتلقى أذى قريش ، دون أن يحمل السلاح فأى المدتين أطول ! !

أضف إلى ذلك أن عيسى قال أثناء هذه المدة القصيرة .

« مَا جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلَامًا بَلْ سَيْفًا » .

[متى ١٠ : ٣٤]

بينما لم يذكر محمد فى العهد المكى ـ وهو ثلاث عشرة سنة ـ شيئاً عن القتال، فأيهما كان ـ بصرف النظر عن كون ما يتلقيانه وحيا ـ أشد ميلا إلى السلم ! !

كان يمكن أن تكون المقارنة صحيحة ، لو أن عيسى استمر فى دعوته مدة أطول من المدة التى مكثها محمد فى مكة داعياً إلى الله ، ولم يقاتل ، بينما قاتل محمد !

فإذا تركنا العهد النبوى لكل منهما ، وتصفحنا تاريخ كلتا الديانتين لرأينا أن المسيحية لم تعرف سلاماً إطلاقاً ، بل حمل المسيحيون الناس حملا على اعتناقها ، « فمنذ فجر المسيحية إلى يومنا هذا ، خضبت أقطار الأرض جميعاً بالدماء ، باسم السيد المسيح ، خضبها الروم ، وخضبتها أمم أوربا كلها .

والحروب الصليبية ، إنما أذكى لهيبها المسيحيون ، لا المسلمون . ولقد ظلت الجيوش باسم الصليب تنحدر من أوربا مئات السنين قاصدة أقطار الشرق الإسلامية تقاتل ، وتحارب وتريق الدماء . وفى كل مرة كان البابوات ، خلفاء المسيح ، يباركون هذه الجيوش الزاحفة ، للاستيلاء على بيت المقدس ، وعلى الأماكن النصرانية المقدسة . أفكان هؤلاء البابوات جميعاً هراقطة وكانت مسيحيتهم زائفة ؟

أم كانوا أدعياء جهالا ، لا يعرفون أن المسيحية تنكر القتال على إطلاقه ؟ أم يقولون : تلك كانت العصور الوسطى ، عصور الظلام ، فلا يحتج على المسيحية بها ؟ إن يكن ذلك بعض ماقد يقولون ، فإن هذا القرن المتمم للعشرين ، الذى نعيش فيه ، والذى يسمونه عصر الحضارة الإنسانية العليا ، قد رأى مارأت تلك العصور ــ

. . . .

= المظلمة فقد وقف اللورد اللنبى ممثل الحلفاء (إنجلترا وفرنسا ، وإيطاليا ورومانيا وأمريكا) يقول فى بيت المقدس ، فى سنة ١٩١٨م حين استيلائه عليه فى أخريات الحرب العالمية الأولى: « اليوم انتهت الحروب الصليبية ».

وإذا كان من بين المسيحيين قديسيون أنكروا القتال فى مختلف العصور ، وسموا بذواتهم إلى الذروة من معنى الإخاء الإنسانى ، بل من معنى الإخاء بعد عناصر الكون كله ، فمن بين المسلمين كذلك قديسون سمت نفوسهم هذا السمو ، واتصلوا بكل الوجود اتصال إخاء ومحبة وإشراق ، ملأ منهم النفوس بوحدة الوجود . لكن هؤلاء القديسيين من النصارى والمسلمين ، وإن صوروا المثل الأعلى لا يمثلون حياة الإنسانية أثناء تطورها الدائم وفى دأب جهادها إلى الكمال . إلى الكمال هذا الذى نحاول تصوره ثم يقعد بنا العقل ويقعد بنا الخيال ، دون شىء من الدقة فى إدراكه ، وان نحن جازفنا بتصويره تمهيداً لما نحاول من جهود فى سبيله ، وهذه أربع وتسعون وثلاثمائة وألف سنة قد انقضت منذ هجرة النبى العربى من مكة إلى يثرب والناس فى مختلف العصور يزدادون فى القتال افتناناً وفى صنع آلاته الجهنمية المدمرة دقة وإتقاناً . وما تزال كلمات نبذ الحرب وإلغاء التسلح والتحكيم لا تزيد على أنها كلمات تقال فى أعقاب كل حرب تهلك الأمم ، أو على أنها دعايات تلقى فى جو الحياة من أناس لم يستطيعوا حتى اليوم - ومن يدرى ! فلعلهم لا يستطيعون يوما - أن يحققوا منها شيئاً ، وأن يحلوا السلام الصحيح سلام الإخاء والعدل محل السلام المسلح نذير الحرب وطليعة ويلاتها .

والإسلام ليس دين وهم وخيال ، ولا هو دين يقف عند دعوة الفرد وحده إلى الكمال ، وإنما الإسلام دين الفطرة التى فطر الناس جميعاً عليها أفراد وجماعات وهو دين الحق والحرية والنظام . ومادامت الحرب فى فطرة الناس ، فتهذيب فكرتها فى النفوس وحصرها فى أدق الحدود الإنسانية هو غاية ما تحتمل فطرة البشر ، وما يحقق للإنسانية تطورها فى سبيل الخير والكمال. وخير تهذيب لفكرة الحرب ألا تكون إلا للدفاع عن النفس ، وعن العقيدة ، وعن حرية الرأى والدعوة إليه ، وأن ترعى فيها الحرمات الإنسانية تمام الرعاية . وهذا ما قرره الإسلام . وهذا ما نزل به القرآن » .

[هيكل ص ٢٥٣ ، ٢٥٤]

وقاتل صاحب شريعتكم الأمم وغلبهم ، وكان سبباً فى تغيير أمرنا وتكفيرنا . وفى كتابه :

« لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ »[1].

ودخلت العرب بلادنا ، واستأصلت ديارنا ، وهتكت أستارنا . [لكنه لما آمن بالله ، ودعا إلى الله ، أعانه الله ، فقاتل] جميع الأمم فغلبهم بسيفه .

وإنما جاء المسيح ابن مريم مهيناً ضعيفاً ، ولم يقاتل أحداً ، فأُخذ وصُلب فى مرضاتنا ، فهو إلهنا ، وخالقنا ، ورازقنا ، ومميتنا ، ومحيينا ، وهو عز وجل بفضله يغفر ذنوبنا ويتغمدنا برحمته .

وأنا [. . . .][2] قد بذلت لك النصيحة فى هذه الرسالة [. . . .][3] لما ظهر لى من ذكائك[4] ، فاعتبرها وتدبرها والله يجعلها نورك ، وسبب هداك . آمين آمين .

ولما وقف الصبى على هذه الرسالة زجر موصليها ، وامتنع عن[5] مراجعة القسيس ، تخوفاً منه ، لكونه يومئذ بين ظهرانيهم ، وفى كنه ديانتهم[6] ، فألحوا عليه فى الجواب . وفى خلال ذلك حان [موعد] سفره عنهم فكتب

---

(١) المائدة ١٧ .

(٢) فى ع : « ياصاحبى » .

(٣) فى ع : « لمحبتى لك و . . . . » .

(٤) فى ج : « سلك » وفى ت : « نباهتك » .

(٥) فى ج : وت : « من » .

(٦) فى ت : « لكونه مدجن بين أظهر القوم : وفى قبة ديانتهم » .

هذا الجواب المسمى بمقامع هامات الصلبان ، ورواتع روضات الإيمان[١] وتركه[٢] عندهم ومضى وهذه نسخته[٣] .

[رسالة أبي عبيدة إلى القسيس][٤]

من فلان إلى فلان :

---

(١) لم يتفق المؤرخون على عنوان هذا الكتاب فهو :
— مقامع الصلبان ، فى برنامج شيوخ الرعيني ونيل الابتهاج ومعجم المؤلفين.
— مقامع الصلبان ، ومراتع رياض أهل الإيمان ، فى التكملة .
— مقامع هامات الصلبان ورواتع رياض الإيمان ، فى الذيل والتكملة .
مقاطع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان ، فى الأعلام .
كذلك اختلف العنوان فى المخطوطات الثلاث التى اعتمدنا عليها كما ذكر سابقاً .
ولهذا رأيت أن أختار له عنوان « بين الإسلام والمسيحية » اقتباسا من موضوعه ، ثم ذيلته بما لم يختلف فيه وهو نسبته إلى أبي عبيدة فجاء عنوان الكتاب هكذا :

بين الإسلام والمسيحية

كتاب أبي عبيدة الخزرجي المتوفى سنة ٥٨٢ ﻫ .

(٢) فى ج : « وغادره » .
(٣) سقط من ع قوله « ولما وقف الصبي .. إلى وهذه نسخته » .
(٤) صدر صاحب « الفصل بين الحق والباطل » الرد على القسيس بأبيات شعرية ، فيها محاجاة للمسيحيين وهى :

عجبي للمسيح بين النصارى ... وإلى أى والد نسبوه
أسلموه إلى اليهود وقالوا ... إنهم بعد قتله صلبوه
وإذا كان ما يقولونه حقا ... وصحيحا فأين كان أبوه
حين خلى ابنه رهين الأعادى ... أتراهم أرضوه أم أغضبوه
فلئن كان راضيا بأذاهم ... فاحمدوهم لأنهم عذبوه
ولئن كان ساخطا فاتركوه ... واعبدوهم لأنهم غلبوه

بسم الله الرحمن الرحيم

إله ، فرد ، صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد(١) .

سلام على المهتدين ، والحمد لله رب العالمين ، مفضلنا بالإيمان على جميع الأجناس ،وجاعلنا خير أمة أخرجت للناس(٢)،نوحد الله بموجبات توحيده ، ونمجده سبحانه حق تمجيده ، ونؤمن به وبملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله(٣) ولا نشرك بعبادة ربنا أحداً(٤) .

وصلى الله على سيدنا ، ومولانا ، ونبينا محمد ، خلاصة أصفيائه ، وخاتم رسله ، وأنبيائه ، سيد الآدميين ، المبعوث رسولا فى الأميين(٥) .

---

(١) إقتباسا من سورة الاخلاص .

(٢) « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » .

[آل عمران : ١١٠]

(٣) « ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ ، وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ » .

[البقرة ٢٨٥]

(٤) قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ، يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ، وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا » .

[الجن ١ — ٢]

(٥) هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ » .

[الجمعة : ٢]

. . . .

=فَـَٔامِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » .

[الأعراف: ١٥٨]

فما معنى الأمى ، وما المقصود بالأميين ؟

ورد لفظ الأمى في القرآن الكريم مرتين فقط ، فى آيتى ١٥٧ ، ١٥٨ من سورة الأعراف ، وفى كلا الاستعمالين وصف للنبى صلى الله عليه وسلم بأنه أمى ، أى لا يعرف القراءة والكتابة ، فالعرب كانت تنسب من يجهلها إلى أمه « لأن الكتاب كان فى الرجال دون النساء ، فنسب من لا يكتب ، ولا يخط من الرجال ، إلى أمه فى جهله بالكتابة دون أبيه » .

أما لفظ « الأميون » فقد ورد أربع مرات :

(ا) « وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ » .

[البقرة: ٧٨]

(ب) « فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ، وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ » . [آل عمران : ٢٠

(ج) « وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » . [آل عمران ٧٥]=

صلى الله عليه وسلم ، من نبي كريم ، على خلق عظيم[١] ، جاءنا على فترة من الرسل[٢] ، موضحاً السبل ، داعياً إلى خير الملل ، ملة أبينا إبراهيم .

= (د) « هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ » . [الجمعة ٢]

فالمقصود بالأميين من هم في مقابل أهل الكتاب – وهم العرب – ما عدا الآية الأولى: فالمراد بهم قوم من أهل الكتاب ، وعليه فيحتمل أن يكون اللفظ في آيتي آل عمران ، وآية الجمعة مستعملا استعمالا مجازياً ، على اعتبار أن العرب كانوا جاهلين برسالات السماء ، مثل من يجهل القراءة والكتابة ، لأنه لم يبعث فيهم رسول من قبل ، أو يكون المراد حقيقة اللفظ ، لأن الأمية كانت متفشية فيهم .

ولا يرد على استعمال الأول أن وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالأمي في آية الأعراف لا يكون دليلا قاطعاً على أنه لم يعرف القراءة والكتابة ، لأن قول الله تعالى

« وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ » .

[العنكبوت : ٤٨]

يمنع صرف اللفظ عن حقيقته .

(١) « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » .

[القلم : ٤]

(٢) « يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » .

[المائدة : ١٩]

« وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ »[١]

« مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ »[٢] .

« إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ »[٣] .

« وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ »[٤] .

فصل : فى تقديم الاعتذار ، عن النزول إلى إجابتك[٥] ، والاعتذار عن ذلك للاعتراف بأن الالتفات [إلى] ما لديكم يخل بعقل الإنسان ودينه[٦] .

[رأى أحد ملوك الهند فى المسيحية]

وكما وصف أحد ملوك الهند — وقد ذكرت له الملل الثلاثة — فقال :

أما النصارى ، فإن كان مناصبوهم من أهل الملل ، يجاهدونهم بحكم شرعى ، فلقد أرى ذلك بحكم عقلى ، وإن كنا لم نر بحكم عقولنا قتالا[٧] ، ولكن استثنى هؤلاء القوم من جميع العالم[٨] ، فإنهم قصدوا مضادة العقل ،

---

(١) البقرة : ١٣٠ .

(٢) آل عمران : ٦٧ .

(٣) آل عمران : ١٩ .

(٤) آل عمران : ٨٥ .

(٥) فى ج ، ت : « مجاوبتك » .

(٦) فى ت : « للاعتراف بأن دينكم لا مجال لعقل الإنسان ودينه » .

(٧) أى أن العقل لا يحكم بالقتال إلا مع هؤلاء .

وناصبوه[١] العداوةَ واستحلوا[٢] ، بيت الاستحالات مع أنهم حادوا[٣] عن المسلك الذى انتهجه غيرهم من أهل الشرائع ، وقد كان لهم فيهم كفاية ، ولكنهم شذوا عن جميع مناهج العالم الشرعية ، الصالحة ، والعقلية ، الواضحة ، واعتقدوا كل مستحيل ممكناً ، فلم يعرف عنهم شيء[٤] ، وبنوا من ذلك شرعاً لايؤدى البتة ، إلى إصلاح نوع من أنواع العالم ، إلا أنه يصير العاقل ،

إذا تشرع به أخرق ، أحمق .

والمرشد سفيها .

والمحسن مسيئاً .

لأن من كان فى أصل عقيدته ، التى نشأ عليها[٥] الإساءة إلى الخالق ، والنيل منه بوصفه بغير صفاته الحسنى ، لخليق به أن يستحل الإساءة إلى مخلوق .

وكذلك مابلغنا عنهم فى خلقهم ، من الجهل[٦] وضعف العقل والطمع ، والبخل ، ومهانة النفس ، وخساسة الهمة والقدر ، وقلة الحياء إلا قليلا منهم .

فلو لم يجب مجاهدة هؤلاء القوم إلا لعموم أضرارهم التى لا تحصى

---

(١) فى ج : « وناصبوا » وفى ت : « ونصبوا » .
(٢) فى ج : « وتحلوا » .
(٣) فى ج : « مع أنهم حارو » .
(٤) أى لم يفهم منهم شىء .
(٥) فى ج : « التى جرى نشاءه عليها » وفى ت : « التى جرى نشوء عليها » .
(٦) كان هذا حالهم قبل النهضة الأوربية التى كان السبب الرئيسى فيها ـ كما يرى الباحثون المعتدلون ـ اتصال أوربا بالشرق الإسلامى .

وجوهه [لـكنى . . .] ، وكما يجب قتل الحيوان المؤذى بطبعه [لايلام المرء على قتل هؤلاء] فـكيف وثم من الموجبات ماتقدم .

فهذا مابدا له من جهلـكم ، وليس بمخاصمكم ، ولا مناوئـكم ، ولا بمتهم باتباع الهوى فيـكم .

ولم أقدم هذا الفصل قاصداً تبيان ضلالتك ، لأن ذوائبها قد سارت مسرى الشمس[١] ، وبواطلها لاحت لعيون الجن والإنس ، ولـكن لأتم الحجة على نفسى ، وأحيل مارمته أولا من الاعتذار عن النزول إلى محاوبتك ، وأوجب الاختلال بإنسانية من التفت إلى مقالاتـكم ، وعطل [نفسه ساعة] من نهار [بالأشتغال بـ][٢] محالاتـكم التى عقيدتها قذى فى عين الحق ، ومقالتها قرع على كبد الصبر[٣] .

[رأى رئيس سدنة الهيا كلة بمصر]

وقال أفلاطون رئيس سدنة الهيا كلة بمصر :

لما ظهر محمد صلى الله عليه وسلم بتهامة ، ورأينا أمره يعلو على الأمم المجاورة له ، رأينا أن نقصد « اصطفن » البابلى[٤] لنعلم ماعنده ، ونأخذ رأيه ، فلما اجتمعنا على الخروج من مصر ، رأينا أن نذهب[٥] إلى قراطيس

---

(١) فى ج : « صارت تستر الشمس » .
(٢) كلمة النص غير واضحة فى ت ، ج .
(٣) فى ت : « ومقالها فزع فى عين العرف » .
(٤) فى ج : « اصكل من البابلى »
(٥) فى ت : « نسمى » وفى ج : « نصر » .

معلمنا لنودعه ، فلما دخلنا علينا ورأى جمعنا ، أيقن أن الهيا كل قد حدث فيها شيء[(١)] ، فغشى عليه حينا غشية حتى ظننا أنه فارق فيها ، فبكينا ، فأومأ إلينا أن اسكتوا فكففنا عن الصراخ ، والبكاء ، فتصبرنا جهدنا ، حتى هدأ ، وفتح عينيه وقال :

هذا ما كنت أنهاكم عنه ، وأحذركم منه ، إنكم قوم غيرتم فغير بكم ، وأطعتم جهالا من ملوككم ، فخلطوا عليكم فى الأدعية ، فقصدتم البشر من التعظيم بما هو للخالق وحده ، فكنتم فى ذلك كمن أعطى القلم مدح الكاتب ، وإنما حركة القلم بالكاتب.

قال : فقلت له :

ويحك ! هذا التعظيم إنما هو للخالق ، فاجتمعت العامة فأخرجتنى من الهيا كل[(٢)] وكذلك ذكر عنه ـ أى أفلاطون ـ أيضاً أنه قال :

---

(١) فى ج : « قد خلت منا » .

(٢) لم يستطع البقاء عندما أراد أن يبين وجهة نظره فى وجوب الاستماع إلى ما نزل من عند الله على محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن العامة ـ الجاهلين بإدراك مثل هذه المواقف ـ ثارت عليه ، ووقفت بجانب من يدعو إلى التمسك بما كان عليه الآباء ، ولو كان ضلالا ، وتلك ظاهرة قابلت الأنبياء جميعاً :

« وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ » .

[المائدة: ١٠٤]

« وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » .
[الأعراف : ٢٨] =

رأيت فى نومى فى ليلة حسن فيها إخلاصى ، كأن « أرمانيوس » الملك جالساً ، إذ دخل عليه غلمان بأطباق فى أيديهم [فيها] هدايا [يقدمونها له] فردها فى وجوههم ووضع خده فى الأرض ، يدعو عليهم ويقول :

ياسيدى ! أعطنى مايخصك ، ولا يشاركك فيه غيرك وعزيز - والله - علىّ أن أرى هذا المشهد العظيم ينتقل ، وانتقاله أحسن من التحريف ، وإقامة الدعوات على الاختلاط .

فكان على أثر ذلك ظهور محمد صلى الله عليه وسلم بدين الإسلام . وسيأتى فى هذه الرسالة ذكر [أشياء] من ديانتكم ، وأسباب التحريف المسلم بها ، وقصدكم تعظيم رجل بما هو للخالق وحده ، جرأة على الخالق تبارك وتعالى ، واستخفافا بحقه ، وذكر إقامة الدعوات على اختلاط . على أنى بيّن القصور ، لصغر السن ، وإغفال المطالعة ، وقلة العناية بذلك قبل اعتراضك إياى[1] .

كما يعانى منها المصلحون فى كل عصر وجيل ، لأن العقبة الكئود أمام برامجهم الإصلاحية ، هى سهولة إثارة العامة ضدهم ، ويكفى أن تتصفح تاريخ جمال الدين الأفغانى - كمثل على ذلك - وتلميذه الشيخ محمد عبده فسترى أن من اتخذوا الوظائف العامة وسيلة للارتزاق ، وجمع الثروة وقفوا فى سبيل هذا التيار الإصلاحى ، لا حباً خالصاً فى الدين ، ولا دفاعاً عنه ؛ وإنما خوفا على ضياع المركز ، وذهاب موارد جمع الثروة إلا قليلا منهم دفعه جهله للوقوف فى وجه التيار الإصلاحى .

(١) سقط من ع من أول رسالة أبى عبيدة حتى هنا ، ووضع بدلا عنها النص التالى :

« الحمد لله الذى ليس لأزليته بداية ؛ الأبدى الذى مالأبديته نهاية . خلق عيسى من غير ذكر ، وحوى من غير أنثى وآدم من تراب ، إن فى ذلك لآية =

[إبطال دعوى ألوهية عيسى عليه السلام
وإثبات نبوته من نصوص أناجيلهم]

أما بعد :

أيها الأعجمي الألكن ، الطاعن على كتاب الله جهلا ، ولا يعرف لخطابه فصلا ، والملتمس له تأويلا ، وأنت لم تؤت من العلم كثيراً ولا قليـــلا .

هلا راجعتك[1] بصيرتك ، وناجيت بالتحقيق سريرتك ؟ فعلمت أنه منزل بلغة لا تعلمها ، وعبارة لا تفهمها .

« وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ »[2]

ومن أعجب قولك ، الشاهد على جهلك أن تندب مسلماً إلى الإيمان بالله ، وترغب مؤمناً فى عيسى ابن مريم رسول الله[3] . وكلتا الخلتين قد

= أحمده حمد من نزه عن الجوهر والعرض والحسد ، وأشكره شكر من قدسه عن أن يكون والد ، أو يكون له ولد . وأشهد أنه الملك الحق الذى لا يهزم ولا يغلب ، القوى الذى يفنى كل شىء ولا يقتل ولا يصلب . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى بشر به عيسى ، ونص عليه موسى صلى الله عليهم أجمعين . إن الدين عند الله الإسلام . ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

(١) فى ج : « عارتك » وفى ت : « أعدت » .

(٢) آل عمران : ٧ .

(٣) من ع ، وفى ج : « أن تندب مسلماً إلى الإيمان بالله عيسى ، وتولى عيسى ابن مريم رسول الله » وفى ت : إلى الإيمان بالله .. عيسى ابن مريم رسول الله » .

أحكم عندنا مضمارها[١] ولدينا ثبوتها واستقرارها ، ومنا صدع ظهورها فى الخليقة واستمرارها . كواكب الإيمان بالله عندنا تتجلى ، ونحن بالمسيح ابن مريم رسول الله أولى . قدرناه حق قدره ، وقلنا بفضله المعلوم ونخره ، واعتقدناه بمنزلة تقبلها الأفهام ، وتليق بالعقول والأوهام[٢] .

« لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا »[٣] .

وتبرأنا من قوم غدوا فيه على طرفى نقيض : مفتون به ضال ، وظالم بغيض ، وهما فى عمى بصائرهما سيان ، ولدى حلبة الكفر فرسا رهان . أما المفتونون به الضالون فقد أوقعوا أنفسهم فى خطيئة [ذى شقين] يستحيل غفرانها[٤] :

[الأول] : الاشراك بعبادة الله غيره .

[الثانى : أنهم] أوردوا عيسى بغلوهم فيه مورداً يعتذر عبد الله منه يوم الحشر بين يديه ، إذ يقول له ، وهو تبارك وتعالى أعلم :

---

(١) من ع ، وفى ج : « وكلتا الحيلتين عند أحكم مضمارها » . وفى ت : « وكلتا الحالتين عند حكم مضمارها » .

(٢) فى ع ، وفى ج : « واعتقدناه بمنزل ما تعد فى الأفهام لائقة بالعقول والأوهام » . وفى ت « واعتقدناه بمنزلة سابقة فى الأفهام لائقة بالعقول والأوهام » .

(٣) النساء : ١٧٢ .

(٤) من ع ، وفى ج ، و ت « إن المفتون مزيتين فى الضلال على من أبغضه وسبه أحدهما الإشراك بعبادة الله غيره ، والأخرى أنهم أوردوا » .

« ءأنتَ قُلتَ للنّاسِ اتّخذُوني وأُمّيَ إلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ قالَ سُبْحَٰنَكَ ما يَكونُ لي أنْ أقولَ ما لَيسَ لي بحقٍّ إنْ كُنتُ قُلتُهُ فقد عَلِمْتَهُ تعلَمُ ما في نفسي ولا أعلَمُ ما في نفسِكَ إنّكَ أنتَ علّامُ الغُيوب . ما قُلتُ لهُمْ إلا ما أمَرتَني بهِ . أنِ اعبُدوا اللهَ ربّي وربَّكُمْ وكُنتُ عليهِمْ شهيداً ما دُمتُ فيهِمْ فلمّا توفّيتَني كُنتَ أنتَ الرّقيبَ عليهِمْ وأنتَ على كُلِّ شيءٍ شهيدٌ »(١)

أما من أبغضه ، أو سبه ولعنه ، فإنما أوردوه بفعلهم مورداً يكون الله حسيبهم فيه ، والقائم دونه ، يأخذ حقه منهم [...](٢) .

أخبرني أيها الجاعل إلٰه المسيح من حيث هو من الله روح ! لِمَ تظلم آدم ؟ وأنتم تقولون وتوافقون : إن الله تعالى نفخ فيه من روحه بعد أن سواه من تراب .

---

(١) المائدة : ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) زاد في ع : « هذا وقد اطلعت على كتابك ، وعلمت مرامك ، ويعلم الله أنك فضلا عن جهلك لديننا — دين الإسلام — القويم ، لست على شيء من دينك السقيم . فلذلك قد أشفقت عليك ، وحررت لك كتابي هذا رداً على كتابك لعلك بعد تلاوته ، ترجع عن غيك وجهلك ويهديك الله صراطاً مستقيماً . فأعرني السمع والبصر ، لأشرح لك من نفس كتابيك الإنجيل والتوراة ، فساد ما أنتم عليه من الاعتقادات المضحكة ، المخجلة التي لو لم توجد النصرانية إلى وقتنا هذا ، لما أمكن التصديق بوجود طائفة تعقل بين الناس ، فتعتقد أقوالكم ، أو ترضى بمقالاتكم .

ثم أبين بعد ذلك أساس ديننا ، وموافقته للمدنية ، ومساعدته لأشرف مقاصد المجتمع الإنساني ، عسى الله أن يكشف عن بصيرتك وتميز الحق من الباطل ، فتخرج من الظلمات إلى النور .

وتقولون : إن المسيح نفخة من روح الله فى رجل سوّاه الله تعالى من لحمة مريم ، المتخذة من آدم ، فلحمه إذا بمنزلة ترابه ، ونفخه من روح الله بمنزلة نفخة من روح الله ، فلماذا أوجبت الألوهية لعيسى ولم توجبها لآدم ، وأنت تُقِرُّ له بروح من الله فى حجاب من تراب[١] ؟

ما أزين بك أن تقول : إن الله خلق عيسى وأمه آية للناس ، عبداً ورسولا ، [وهى] صديقة مباركة ، ، [و] كانا يأكلان الطعام[٢] ، وأكل الطعام هنا كناية عن التغوط ، وقد كان يجب لله تعالى لو سبق فى حكمه أن يكون إنساناً وينزل لمقابلة[٣] عباده ـ كما زعمت ـ أن يمتنع عن التغوط ، إذ هو دنية ابتلى بها آدم ، وبنيه مبينة لنقصهم واحتقارهم . وهو تعالى المختص بالكمال ، والموصوف بالعظمة والجلال فلا يليق به تلك الدنية ، ولا نعلم فى فرق ملتكم من يقول : إن عيسى لم يكن يتغوط ، ولا يبول . حاشى الله أن يحقر خلقاً له بدنية ، يراها أخس الآدميين عاراً على نفسه ، ثم يتشبه بعبيده فيها ، بل كان يتركها دون غيرها من صفات الإنسانية[٤] .

أليس من الواضح عند ذوى العقول ، أنه لما لم يلزم من عدم الأب

---

(١) فى ج : « فلحمه إذا بمنزلة ترابه ونفخه من روح الله فهى أوجبت بذلك الإلهية لعيسى فمالك لا توجبها لآدم وأنت تقول إنه روح [من الله فى فخار من تراب » .

(٢) « مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ » .
[المائدة: ٧٥]

(٣) فى ج ، ت : « لمباشرة » .

(٤) سقط من ع من أول قوله : « ما أزين بك »

والأم البشريين لآدم عليه السلام ، أن يكون ابناً لله تعالى ، ولما لم يبعد خلق آدم من التراب ، لم يبعد أيضاً خلق عيسى عليه السلام من الدم ، الذى كان يجتمع فى رحم أمه عليهما السلام .

فلو أنصفت وطلبت الحق ، لعلمت أن ذلك من البيان ، ما يبلغ إلى الغاية القصوى ، فى تحصيل المرام ، من هذه المسألة ، ولكنك قد اتخذت التقليد دليلا ، على عدم النظر والتأمل فى الأمور مذهباً ، فلا حول ولاقوة إلا بالله .

أخبرنى أيها المسكين :

متى ادعى عيسى عليه السلام الألوهية تصريحاً ؟ أو متى ذكر الأقانيم التى تقولونها توضيحاً[1] ؟ .

ألم تقرأ فى إنجيلك الكائن بين يديك عن عيسى ، أنه قال حين خرج من السامرة ولحق بالجليل[2] : أنه لم يكرم أحد من الأنبياء فى وطنه[3] ؟ .

وفى الإنجيل للوقا : أنه لم يقبل أحد من الأنبياء فى وطنه فكيف تقبلونه[4] ؟

---

(١) زيد فى ع من قوله : « أليس من الواضح » « ..... »

(٢) فى ج ، ت : « بجلجان » .

(٣) « وَبَعْدَ ٱلْيَوْمَيْنِ خَرَجَ مِنْ هُنَاكَ وَمَضَى إِلَى ٱلْجَلِيلِ لِأَنَّ يَسُوعَ نَفْسَهُ شَهِدَ أَنْ لَيْسَ لِنَبِيٍّ كَرَامَةٌ فِي وَطَنِهِ » . [يوحنا ٤ : ٤٣ - ٤٤]

(٤) « فَقَالَ لَهُمْ : عَلَى كُلِّ حَالٍ تَقُولُونَ لِي هٰذَا ٱلْمَثَلَ أَيُّهَا ٱلطَّبِيبُ ٱشْفِ نَفْسَكَ . كَمْ سَمِعْنَا أَنَّهُ جَرَى فِي كَفْرِ نَاحُومَ فَافْعَلْ ذٰلِكَ هُنَا أَيْضًا فِي وَطَنِكَ ، وَقَالَ ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ مَقْبُولاً فِي وَطَنِهِ » .

[لوقا ٤ : ٢٣ - ٢٤]

وحسبك هذا من دليل على أنه ما ادعى غير النبوة المعلومة .

وفى الإنجيل لمرقس[1] أن رجلا أقبل إلى المسيح وقال له :

« أَيُّهَا ٱلْمُعَلِّمُ ، الصَّالِحُ أَيَّ صَلَاحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِي ٱلْحَيٰوةُ ٱلْأَبَدِيَّةُ[2] . فَقَالَ لَهُ لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ[3] وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيٰوةَ فَاحْفَظِ ٱلْوَصَايَا . قَالَ لَهُ أَيَّةَ ٱلْوَصَايَا ؟ فَقَالَ يَسُوعُ[4] لَا تَقْتُلْ ، لَا تَزْنِ ، لَا تَسْرِقْ ، لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ ، أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ »[5] .

---

(١) فى ج ، ت: « لماركس » .

(٢) فى ج ، و ت « لأنال الحيوة الدائمة » .

(٣) فى ج ، و ت: لم قلت لى صالحاً إنما الصالح الله وحده » .

(٤) وردت العبارة فى ج ، و ت هكذا « ... الله وحده .. وقد عرفت الشروط وذلك ألا تسرق ولا تزن ولا تشهد بالزور ولا تخون أكرم أباك وأمك» .

(٥) متى ١٩ : ١٦ – ١٩ أما ما جاء فى إنجيل مرقس كما أشار المؤلف بهذا الصدد فهو كما يلى :

« وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ إِلَى ٱلطَّرِيقِ رَكَضَ وَاحِدٌ وَجَثَا لَهُ وَسَأَلَهُ أَيُّهَا ٱلْمُعَلِّمُ ٱلصَّالِحُ مَاذَا أَعْمَلُ لِأَرِثَ ٱلْحَيٰوةَ الْأَبَدِيَّةَ ، فَقَالَ لَهُ يَسُوعَ : لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحاً لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ ٱللهُ . أَنْتَ تَعْرِفُ ٱلْوَصَايَا ، لَا تَزْنِ لَا تَقْتُلْ ، لَا تَسْرِقْ ، لا تَشْهَدْ بِالزُّورِ ، لَا تَسْلُبْ ، أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ » .

[مرقس ١٠ : ١٧ – ١٩]

وفى الإنجيل ليوحنا[١] أن اليهود لما أرادت القبض[٢] عليه وعلم بذلك، رفع بصره إلى السماء ، وقال : قد دنا الوقت يا إلهى فشرفنى لديك[٣] ، واجعل لى سبيلا إلى أن أملك كل ما ملكتنى ، الحياة الباقية ، وإنما الحياة الباقية ، أن يؤمنوا بك إلهاً واحداً ، وبالمسيح الذى بعثت ،وقد عظمتك على أهل الأرض واحتملت ما أمرتنى به فشرفنى لديك[٤]

وفى الإنجيل أن[٥] عيسى قال لتلاميذه : لا تسبوا أباكم على الأرض ، فإن أباكم الذى فى السماء وحده ، ولا تدعوا معلمين ، فإن معلمكم المسيح وحده[٦] .

فقوله : ولا تسبوا أباكم على الأرض [معناه] : لا تقولوا إنه على الأرض ، ولكنه فى السماء .

ثم أنزل نفسه حيث أنزله الله تعالى وقال : ولا تدعوا معلمين ، فإن معلمكم المسيح وحده .

---

(١) فى ج : « ليحنى »

(٢) فى ج ، وفى ت : « التقبض » .

(٣) فى ج : «لذلك» .

(٤) قارن يوحنا : الإصحاح السابع عشر .

(٥) فى ج : « وفى الإنجيل لما أن عيسى ... » .

(٦) ورد النص فى إنجيل متى هكذا :

« وَلاَ تَدْعُوا لَكُمْ أَباً عَلَى ٱلْأَرْضِ لِأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمٰوَاتِ . وَلاَ تُدْعَوْا مُعَلِّمِينَ لِأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ ٱلْمَسِيحُ » .

[مى ٢٣ : ٩ - ١٠]

فها هو [ذا] قد سمى نفسه معلماً فى الأرض لهم ، وشهد أن إلههم فى السماء واحد .

وفى الإنجيل للوقا أن عيسى أحيا الميت بباب مدينة « نائين »[١] عندما[٢] أشفق لأمه ، لشدة حزنها عليه فقالوا : إن هذا النبى لعظيم[٣] ، وإن الله قد تفقد أمته[٤] .

وفى الإنجيل ليوحنا[٥] أن عيسى قال لليهود :

لست أقدر [أن] أفعل من ذاتى شيئاً ، لكننى أحكم بما أسمع ، لأننى لست أنفذ إرادتى ؛ بل إرادة الذى بعثنى[٦] .

وفى الإنجيل ليوحنا[٧] أيضاً أنه أعلن صوته فى البيت وقال لليهود :

---

(١) فى ج ، و ت : « نايم » .

(٢) فى ج ، و ت : « حين » ؛

(٣) فى ج : « العظيم » .

(٤) « . . . فَأَخَذَ ٱلْجَمِيعَ خَوْفٌ وَمَجَّدُوا ٱللهَ قَائِلِينَ قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ وَٱفْتَقَدَ ٱللهُ شَعْبَهُ » .

[لوقا ٧ : ١٦]

(٥) فى ج : « ليحنا » .

(٦) ونص إنجيل يوحنا :

« أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئاً كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ لِأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي ، بَلْ مَشِيئَةَ ٱلآبِ ٱلَّذِي أَرْسَلَنِي » .

[يوحنا ٥ : ٣٠]

(٧) فى ج : « ليحنا » .

قد عرفتمونى فى موضعى ، ولم آت من ذاتى ، ولكن بعثنى الحق ، وأنتم تجهلونه[1] فما هو [ذا] قد جعل نفسه ، وموضعه معلومين عند اليهود ، وجعل الله عندهم مجهولا ، وقال :

إنه لم يأت من ذاته ، ولكن الله قد بعثه ، فما زاد فى دعواه شيئاً على ما ادعاه غيره من الأنبياء عليهم السلام .

وفى الإنجيل أنه قال لليهود ـ بعد حوار طويل [وكلام] كثير مذكور بينه وبينهم فى ذلك المجلس ـ حين قالوا له :

إنما أبونا إبراهيم .

قال :

إن كنتم بنى إبراهيم فاقفوا أثره ، ولا تريدوا قتلى ، على أنى رجل أديت إليكم الحق الذى سمعته من الله . غير أنكم تقفون أثر آبائكم .

قالوا :

لسنا أولاد زنا ، إنما نحن أبناء الله ، وأحباؤه .

فقال :

لو كان أباكم لحفظتمونى ، لأنى رسول منه [أى من الله][2] خرجت

---

(١) يشير إلى قول إنجيل يوحنا :

« فَنَادَى يَسوعُ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ قَائِلاً تَعْرِفُونَنِي وَتَعْرِفُونَ مِنْ أَيْنَ أَنَا وَمِنْ نَفْسِي لَمْ آتِ بَلِ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَقٌّ الَّذِي أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ » . [يوحنا ٧ : ٢٨]

(٢) زدنا مابين القوسين لأن النص يقول :

« لِأَنِّي خَرَجْتُ مِنْ قِبَلِ اللهِ وَأَتَيْتُ . لِأَنِّي لَمْ آتِ مِنْ نَفْسِي بَلْ ذَاكَ أَرْسَلَنِي » .

[يوحنا ٨ : ٤٢]

مقبلا ، ولم أقبل من ذاتى ، ولكن هو بعثنى ، ولكنكم لا تقبلون وصيتى ، وتعجزون عن سماع كلامى، إنما أنتم أبناء الشيطان ، وتريدون إتمام شهواته» إلى كلام كثير ذكر فى الإنجيل الذى بأيدكم ،[عما][(١)] كان بينه وبين اليهود فى ذلك[(٢)] .

وفى الإنجيل أيضاً :

أنه كان يمشى يوماً فى إسطوان سليمان فأحاطت به اليهود وقالت له : إلى متى تخفى أمرك ؟[(٣)] إن كنت المسيح الذى ننتظره ، فأعلمنا بذلك[(٤)] .

ولم يقولوا :

إن كنت الله ، لأنهم لم يعلموا من دعواه ذلك[(٥)] ، ولا اختلاف

---

(١) فى ج : « إذ » وفى ت : « لأنه » .

(٢) قارن يوحنا الاصحاح الثامن .

(٣) نص إنجيل يوحنا :

« إِلَى مَتَى تُعَلِّقُ أَنْفُسَنَا » .

[يوحنا ١٠ : ٢٤]

(٤) راجع يوحنا ١٠ : ٢٥ .

(٥) لم يوفق أبو عبيدة فى الاستدلال بهذا النص ، على أن الإنجيل الموجود بين أيدينا ينكر ألوهية عيسى .

كما أخطأه الصواب فى الاعتماد عليه — أى النص المشار إليه — بأن اليهود لم تعلم من دعواه أنه ادعى الألوهية ، ذلك أننا نقرأ بعد فقرات قليلة أن الحوار تطور بينه وبينهم :

« فَتَنَاوَلَ ٱلْيَهُودُ أَيْضاً حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ أَجَابَهُمْ يَسُوعُ أَعْمَالاً كَثِيرَةً حَسَنَةً أَرَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَبِي . بِسَبَبِ أَيِّ عَمَلٍ مِنْهَا

عند اليهود أن الذى انتظروه [هو] إنسان نبى ، ليس بإنسان إله كما تزعمون .

وفى الإنجيل أيضاً عنه :

أن اليهود أرادوا القبض[١] عليه ، فبعثوا لذلك الأعوان ، وأن الأعوان رجعوا إلى قوادهم .

فقالوا :

لِمَ لَمْ تأخـــذوه ؟

فقالوا :

ما رأينا آدمياً أنصف منه !

فقالت[٢] اليهود :

وأنتم أيضاً مخدوعون[٣] ؟

أترون أنه آمن به أحد من القواد ، أو من رؤساء أهل الـكتاب ؟

إنما آمن به من الجماعات ، من يجهل الـكتاب .

تَرْجُمُونَنِى . أَجَابَهُ ٱلْيَهُودُ قَائِلِينَ لَسْنَا نَرْجُمُكَ لِأَجْلِ عَمَلٍ حَسَنٍ بَلْ لِأَجْلِ تَجْدِيفٍ . فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلَهًا » .

[يوحنا ١٠ : ٣١ – ٣٣]

فإذا سلمنا بصحة هذا النص – وذلك بعيد – ، لا يسعنا إلا التصديق بأن اليهود الذين اشتركوا فى هذه المناقشة علموا أن عيسى ادعى الألوهية .

(١) فى ج ، وت : « التقبض » .

(٢) فى ج : « وقالت » .

(٣) فى ج : « تخدعون » .

فقال لهم « نيقوديموس – وهو من كبار القسس[1] – :

أترون أن كتابكم يحكم على أحد قبل أن يسمع منه ؟

فقالوا له :

إكشف الكتاب ! ترى أنه لا يجىء من الجليل نبى[2] .

فما قالت اليهود ذلك إلا [لأنه][3] أنزل لهم نفسه منزلة نبى فقط ، ولو علمت من دعواه [إدعاه] الألوهية لقالته يومئذ [تقبيحاً له وتحريضاً على قتله] .

وكثير من هذا فى الإنجيل يطول ذكره ، ولا محالة أنك إن سمحت نفسك بالانقياد إلى الحق ، وخلعت الهوى ، علمت أن ذلك كذلك .

وفى الذى اتخذتموه دليلا على صلبه من كلام عاموص النبى ، أن الله قال على لسانه :

ثلاثة ذنوب أقبل لبنى إسرائيل [و] الرابعة لا أقبلها ، [وهى] بيعهم الرجل الصالح .

[حجة عليكم لا لكم ، لأنه] لم يقل بيعهم إياى ، ولا قال بيعهم إلها متساوياً معى ، ويجرى تأويل قوله [هنا] على وجهين :

١ – أما أن يكون عنى بالمبيع عيسى كما تزعمون ، فقولوا [حينئذ] : إنه الرجل الصالح ، أو العبد الصالح كما قال عاموص ، وليس بالإله المعبود .

---

(١) فى ج : « قمود من القس » وفى ت . « نقود من القس » .

(٢) قارن يوحنا ٧ : ٤٥ – ٥٢ .

(٣) فى ت: « إلا وقد أنزل لهم نفسه » وفى ج: « إلا وقد أنزل الله نفسه » .

٢ — وأما أن يريد بالمبيع غيره ، وهو الذى شبه لليهود فابتاعوه ، وصلبوه[(١)] ويلزمكم [وقتئذ] إنكار صلوبية عيسى [عليه السلام] .

ثم جعلت حجة على إجلال منزلة عيسى عن آدم ، والاعتلاء به إلى منزلة الألوهية ، أنه أحيا ميتاً ، ولم ترد أن يكون الله تعالى [قد جعل][(٢)] له ذلك برهاناً على نبوته ، ودلالة على صدق رسالته . ثم لم تلبث أن أوجبت ما نفيت ، وأقررت بما أنكرت ، وكنت كالقائم القاعد فى الحال الواحد [وذلك حين] قلت : إن عيسى فى حال الألوهية التى تصفونه بها ، قد أيد نفراً من الحواريين بإحياء الموتى - بزعمكم - ، وجعلهم رسلا[(٣)] إلى الأجناس، فأحيوا الموتى بزعمك .

فما الذى أوجب أن يكون المسيح فى حال الألوهية ، قد أيد بذلك بشراً[(٤)] وجعله رسولا إلى الأجناس ، ومنع أن يكون الله عز وجل يؤيد بشراً ، ويجعله رسولا إلى الناس ؟

فإن كان المسيح من أجل إحياء ميت[(٥)] هو الله فكل من أحيى ميتاً بزعمك فهو الله ! .

وبإجماع من جميع الملل الثلاثة أن إلياس النبى أحيا الموتى ، وكذلك

---

(١) يساق هذا دليلا على عدم صلب المسيح عليه السلام .
(٢) فى ج : « أن يجعل » .
(٣) فى ج ، وت : « وجعل لهم إرسالا » .
(٤) فى ج : « كثيراً » .
(٥) فى ج : « فإن المسيح فمن أحيى ميتاً » .

اليسع[1] فلم تظلمون بعضاً دون بعض ؟

ثم قلت : إن الله عز وجل لما كلم العالم على ألسنة أنبيائه ، الذين جعلهم

---

(١) تحدث القرآن الكريم عن إلياس مرتين :

(أ) « . . . . . . وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ » .

[الأنعام : ٨٥]

(ب) «وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ . أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ . ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ . فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ . إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ . وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْأَخِرِينَ . سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ . إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ » .

[الصافات ١٢٣ ـ ١٣٢]

وليس فيهما ما يدل على أنه أحيا الموتى . كذلك لم يذكر مؤلفو قصص الأنبياء شيئاً من ذلك ، باستثناء الثعالبي الذي ذكر أن إلياس أحيا ميتاً بعد موته بأربعة عشر يوماً (انظر : ابن كثير ح ٢ ص ٢٤١ ـ ٢٤٧ ، الثعالبي ص ٢٢٨) وهو من الاسرائيليات التي نقلها الثعالبي من سفر الملوك الأول إصحاح ١٧ .

أما اليسع فقد ذكره القرآن الكريم في موضعين :

(أ) « . . . . وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ » .

[الأنعام ٨٦]

(ب) « . . . . وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ » .

[ص ٤٨]

رسله ، ووسطائه إلى خلقه ، ليعلموهم الإقرار بربوبيته ، وشرعوا لهم ترك أوثانهم ، وأصنامهم . الفاشية ضلالتها فى جميع الأرض [لم يذعنوا] فنزل هو تعالى بعد ذلك من السماء ، ليكلم الخلق بذاته ، لئلا تكون لهم حجة عليه ، فتنقطع حجتهم بأن كلمهم بذاته ، لا بواسطة . فارتفعت المعاذير عمن ضيع عهده بعد أن كلمه بذاته .

أخبرنى أيها المغرور !

ما الذى أوجب ذلك ؟ هل كان علمه[1] لم يحط بما فعل أنبيائه ، حتى هبط ليطلع على فعلهم ؟

أو هل كانت أنبياؤه متهمة عنده لمخالفة أمره ؟

أو هل كانت الأنبياء لم تقو على بيان[2] ما جاءت به من الإيمان بالله ، وعجزت عن إظهاره فى العالم ، وضعفت عن إظهار المعجزات العجيبة الدالة على صدقهم ، حتى هبط هو ففعل مالم يفعله [من أرسل] من قبله ؟

فلقد قصصتم فى الإنجيل الذى بأيديكم :

أن اليهود كانت تطالبه[3] بمثل معجزات موسى بن عمران ، فلا

= دون أن يبين أن الله أظهر على يديه معجزة إحياء الموتى . كذلك لم أعثر فى قصص الأنبياء على ما يؤيد رأى أبى عبيدة ، إلا أن العهد القديم ذكر أن اليسع أحيا صبياً مات بعد إصابته بدوار فى رأسه (الملوك الثانى ٤ : ١٦ - ٣٧) ويبدو أن أبا عبيدة تأثر بذلك - وهى ظاهرة ابتلى بها كثير من علماء المسلمين - فسلم بأن إلياس واليسع أعادا الحياة للموتى ، ونسى أن القرآن الكريم لم يخبر أن الله أيد نبياً غير عيسى عليه السلام بمعجزة إحياء الموتى . وعليه فيكون قوله : « وبإجماع من جميع الملل ... إلخ » قولا خاطئاً .

(١) فى ج : « هل كان ممليك » .

(٢) فى ج : « هل كانت الأنبياء لم تقوا فيما بان » .

(٣) فى ج ، ت : « تطابه » .

يجيبهم بشيء ، وسأذكر ذلك ، وبعض مواضعه من الإنجيل إن شاء الله عز وجل .

أخبرني أيها المخدوع !

ما الذى أظهره دليلا على أنه هو الله حتى تنقطع حجة العالم به دون غيره كما زعمت ؟

وما الذى رأوا من العظمة التى لم يكونوا رأوها حتى ترتفع المعاذير ؟ ألأجل أن رأوا يديه ورجليه مكتونة ! ـ كما تظن من غير يقين ـ ، مصفوعاً فى قفاه ، مبصوقاً فى وجهه بتاج من الشوك على رأسه(١) مصلوباً على جذع(٢) مسمرة يداه ورجلاه فيه .

وعجباً لتمويهكم أيضاً ، باختلافكم فى خشبة صلبه . فمن قائل :

كانت من السرو ، ومن قائل :

كانت من الأرز ، ومن قائل :

كانت أطروشاً من قنبيط ! !

وقلتم :

إن الخشبة قطعت وحملت على عنق الله تبارك وتعالى إذلالا له ، أو تبكيتاً ، وصلب عليها .

تشنعون بذلك خطيئة اليهود ، لتضرموا قلوب عوامكم ضغناً عليهم .

ولقد وجب [وحق الإنسانية] تنقيص تلك الألوهية بما لا يخفى على أحد [ولو كان صبياً] .

لا جرم أنه لو سبق فى حكم الله ، أن يباشر خلقه ، مثل المباشرة التى

(١) قارن إنجيل يوحنا ١٩ : ١ - ٥

(٢) فى ج ، وت: « على أطروش قلبيط » .

ذكرتها ، لأنبأت بذلك التوراة ، والأنبياء تصريحاً ، لا كناية وألغازاً . ولجل ذلك عن الأفكار ، ولعظم فى الأوهام ، وانتظرته الأمم بأشد أسباب الانتظار .

ولقد[1] تأولتم فى التوراة ، وفى بعض النبوات [لإثبات التثليث] بما يخرج عن منهج الحق ، ويبعد عن الصدق[2] ـ ويوجد تأويل من قبلكم لها ، [وهو] أهدى سبيلا ، وأقوم قيلا ، وأوضح دليلا ـ [مثلا ـ] كما تأولتم فى الملائكة الثلاثة الذين أتوا بالبشارة (إلى) إبراهيم تحت المقصة ، فقام إليهم ، وبجلهم ، وخاطبهم خطاب رجل واحد على ما ذكر فى توراة اليهود[3] .

جعلتم [ذلك] دليلكم على التثليث . إلى غير ذلك من التأويلات التى هى رمد فى عين الإيمان ، وشجى[6] فى صدر كل ناطق ، إنسان .

ثم احتال بعضكم[5] لذلك الكفر البشيع ، والجهل الشنيع فى وجوه من العذر (التى) هى أقبح من الذنب ، كالشمس ثلاثة أشياء : جرم ، ونور ، وحرارة تشبيهاً بالتثليث .

وكالحديدة يحميها الحداد ، ثم يمدها ، فليمد ما شاء ، فإنه ليس يمد النار وإنما يمد جسم الحديد ، تشبيهاً بالله عز وجل ، حين صلب بظنكم . إلى غير ذلك من الهذيانات .

---

(١) فى ج ، ت : « أما أنكم » .
(٢) فى ج و ت : « وينزح عن مبين الصدق » .
(٣) انظر سفر التكوين ١٨ : ١ – ٢٢ .
(٤) فى ج : « سحى » .
(٥) فى ج : « بعضهم » .

وإنما استدركتم العذر بهذه الأقوال الوخيمة، لتوهموا جهلاءكم[1] أن لتلك البشائع التي تعتقدونها، وتنطق بها ألسنتكم[2] أسرارا وأصولا ثابتة في الحقائق حين ينظرون إلى من سواهم من أهل الملل، يعبدون الله وحده، ولا يشركون به شيئاً، وإن اختلفوا فيما سوى ذلك.

وقد دعا سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم أربابكم[3] إلى المباهلة حين أنزل الله عليه:

« إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ . ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ . فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ »[4].

فجزعوا لذلك، وأبوا عليه، فأوعدهم عليه الصلاة والسلام لو باهلوا باضطرام ذلك الوادي ناراً عليهم، فتخوفوا نقمة الله تعالى حين يظهر[5] كرامته عليهم وجاهه لديه، وإلا فلم لم يجيبوه[6] حينئذ ويتباهلوا، ولا يحترقون

(١) في ج، وت: « سفهاءكم ».

(٢) في ج: ألسنتهم »

(٣) في ج، ت: « وقد كان سيد النبيين محمداً صلى الله عليه وسلم دعى أربابكم »

(٤) آل عمران ٥٩ – ٦١.

(٥) في ج « سموا »، وفي ت « شنوا ».

(٦) في ج، وت: « يبكتوه ».

كما أوعدهم فيكون فى ذلك عليه مالا يخفى[١] ؟

[وإذا تأملتم بعين الإنصاف] الإنجيل الذى بأيدكم ، فإنكم تجدون فيه نصاً على ما قدمت من الدلائل على براءة عيسى مما نسبتموه إليه من ادعاء الألوهية لنفسه :

« مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ »[٢] .

غير أن من ضل بعده إلى مدة من نحو ثلثمائة سنة كانوا (مهرة) فى استدراك الأكاذيب ، وتنقية الإنجيل بها ، فادعوا[٣] أنه[٤] يكلمهم فى سحاب السماء ، وفى أضغاث الأحلام ، وشدوا أزر ذلك[٥] بأن نصوا فى الإنجيل :

أن الإيمان بعيسى لم يتم إلا بعده .

ليجعلوا ماجاءوا به من الكذب تماماً لإيمانهم .

وأصل هذا النص أن عيسى قال لأصحابه :

أن الإيمان به لا يتم إلا بالذى بعده ، وأكد ذلك فى مواضع كثيرة

---

(١) انظر البخارى حـ ٥ ص ٢١٧ وابن كثير : السيرة النبوية حـ ٤ ص١٠٠ – ١٠٨ .

(٢) آل عمران ٧٩ .

(٣) فى ج ، ب : « يدعون »

(٤) فى ج: « أنهم »

(٥) فى ج : « وشدوا إن رد ذلك »

صرح فيها بسيد النبيين والمرسلين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم . سأذكر منها ماتأتى لى ذكره فى هذه الرسالة إن شاء الله تعالى .

ولما هموا بالتحريف[(1)] بعد مدةمن وفاة[(2)] الحواريين رضى الله عنهم ، وكرهوا ما ندبهم إليه عيسى ، وأمرهم به فانحرفوا عنه بتأويلات وخيمة اخترعوها ، وإلى شرائع مضلات شرعوها .

[بيان اضطراب الأناجيل وتناقضها ، وهو الجزء الأول من الرد على الشبهة السابعة]

(بيان اضطراب الأناجيل وتناقضها ، وهو الجزء الأول من الرد على الشبهة السابعة) .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم [كثير من المتناقضات][(3)] .

---

(١) فى ج : « بالتخويف » .

(٢) فى ج ، وت : « هلاك » .

(٣) ذكر صاحب كتاب « الفاصل بين الحق والباطل » متناقضات أخرى أردنا إثباتها هنا بتصرف مع تصحيح نصوص الإنجيل التى أخطأ فى نقلها :

« أخبرنى أيها المغرور »

أى ضمان عندكم على صدق رواة دينكم ؟

وأى شهادة لكم على صدق أقوال مؤسسى مذهبكم ؟

أنتم تعلمون علم اليقين ، وتقرون مع الناس أجمعين ، أن عيسى عليه السلام لم يأخذ القلم بنفسه مطلقاً ، ولم يترك شيئاً مسطوراً من أقواله ، ولم يكلف أحداً بجمع مقالاته ، ولا أملى إنساناً شريعته .

وإنما أحاديثه ومواعظه كانت كلها شفاها ، لم تحصرها الدفاتر ، ولا سطرتها الأقلام ، فى زمن المسيح عليه السلام ، ولا فى زمن متقارب منه ، لأن دينكم فشا فى الناصرة بين جماعة من صيادى الأسماك ... قليلى العدد .

ولاختلاطهم باليهود ، واستيلاء الجهل عليهم لم يقدروا على كتابة شىء من أقوال المسيح عليه السلام .

. . . .

= ثم اشتغلتم بعد ذلك بالمنازعات ، والمدافعات عن النصرانية ... فلم تفكروا في تقرير شيء من أصل دينكم ، وبقي هذا الدين .. في الأذهان تلعب به أيدي الأغراض ، وهو يتقلب بين ما يمحوه النسيان ، وبين ما يثبته ويزيد فيه حوادث الأيام ، حتى آل الأمر إلى اختلاف مذاهبكم ، وتعدد شرائعكم ، فصار عندكم أزيد من الخمسين إنجيلا اتفقتم بعد الجيل السادس على خمسة أناجيل اخترعتموها تعرفون منها أربعة مشهورة . . وها أنا أسرد عليك عدة من تناقضها ، لتعلم تغييرها ، وتبديلها ، وعدم الوثوق بشيء منها :

١ – قال « لوقا » :

« وَفِي ٱلشَّهْرِ ٱلسَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ ٱلْمَلَاكُ مِنَ ٱللهِ . . . فَقَالَ لَهَا ٱلْمَلَاكُ لَا تَخَافِي يَا مَرْيَمُ ، لِأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ ٱللهِ . وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ٱبْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ . . . وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى ٱلْأَبَدِ وَلَا يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ » .
[لوقا ١ : ٢٦ – ٣٠]

ثم يذكر بعد ذلك – أي لوقا – أن يسوع حُمِل إلى بيلاطس مذلولا مهينا :

« وَسَأَلَهُ [أي سأل بيلاطس يسوع] بِكَلَامٍ كَثِيرٍ فَلَمْ يُجِبْهُ بِشَيْءٍ . وَوَقَفَ رُؤَسَاءُ ٱلْكَهَنَةِ وَٱلْكَتَبَةِ يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ بِٱشْتِدَادٍ » . .

[لوقا ٢٣ : ٩ – ١٠]

وهذا تناقض ، لأن أحد النصين يجعل يسوع عليه السلام ملكا عظيماً ، والآخر يصفه بالذل والمهانة ، ثم إن هذا الملك الذي بشر به لم يتحقق مطلقاً ، أما على رأيكم فقد صلب ، وأما على رأينا فقد رفعه الله تعالى من غير ملك ، ولا مهانة . وقولكم في هذا كله لا أصل له . ثم إن محاورة تجري بين عيسى عليه السلام =

. . . .

=والأحبار أقحمت فى الإنجيل إقحاماً ، فأى شيء أدخلها فى الإنجيل المنزل من السماء ؟

فالأولى بك أن تقطع أن هذا غير منزل .

٢ — ذكر إنجيل « لوقا » أنه لما نزل بيسوع عليه السلام الجزع من اليهود ظهر له ملاك السماء ليقويه .

[انظر لوقا ٢٢ : ٤٢]

لم يذكر ذلك « متى » ولا « مرقس » ولا « يوحنا » !

فإن كانوا قد تركوا ذلك ، لم يؤمن أن يتركوا ما هو أهم منه من الفرائض والأحكام .

وإن كان الترك صحيحاً فتكون الزيادة كذباً فى النسخة الأخرى ! وليس هذا سوى التحريف والتبديل مع أن نقل « لوقا » يقتضى رفع المسيح عليه السلام إلى السماء ، لأن الملك لا تقتله اليهود ، وما نزل إلا للعصمة من الأذى .

وهذا ظاهر وهو مبطل لمتقدكم فى الصلب . ثم تقوية الملك إن كان للاهوت المتحد بالناسوت فمحال ، لأن الله تعالى لا يحتاج إلى تقوية بغيره وإن كان للناسوت ، فحينئذ أين هو اللاهوت ؟ فما حصل الاتحاد الذى تقولونه .

٣ — قال « يوحنا » إن أول آية أظهرها المسيح عليه السلام هى تحويل الماء خمراً [يوحنا ٢ : ١ — ١١] ، ولم يذكرها الثلاثة الأخر . وإذا أغفلوا مثل هذا كانوا متهاونين بالدين ، وإن كانت غير صحيحة عندهم ، فكيف ينقل الدين عن شخص واحد هو يوحنا ، وشرط ثبوت أصل الأديان التواتر .

٤ — قال « يوحنا » إن المسيح غسل أقدام تلاميذه ، ومسحها بمنديل كان فى وسطه . [انظر يوحنا ١٣ : ٤ — ١١] وأمرهم أن يقتدوا به فى التواضع . ولم يذكر ذلك الثلاثة الأخر ، فإن كان كذبا دخل الخلل ، وإن كان صدقاً ، فلم أغفلوه ؟ فدخل الخلل أيضاً .

٥ — قال « متى » :

« حِينَئِذٍ جَاءَ يَسُوعُ مِنَ ٱلْجَلِيلِ إِلَى ٱلأُرْدُنِّ إِلَى يُوحَنَّا

. . . .

= لِيَعْتَمِدَ مِنْهُ . وَلَـكِنْ يُوحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلاً أَنَا مُحْتَاجٌ أَن أَعْتَمِدَ مِنْكَ وَأَنْتَ تَأْتِي » . [مق ٣ : ١٣ – ١٤]

وفى موضع آخر يقول :

« أَمَّا يُوحَنَّـــا فَلَمَّـا سَمِـعَ فِي السِّجْنِ بِأَعْمَالِ الْمَسِيحِ أَرْسَلَ اثْنَـيْنِ مِنْ تَلَامِيذِهِ . وَقَالَ لَهُ أَنْتَ هُوَ الآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَر » . [١٢ : ٠ – ٣]

وقال يوحنا :

« وَفِي الْغَدِ نَظَرَ يُوحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلاً إِلَيْهِ فَقَالَ هُوَ ذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ . هٰذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ يَأْتِي بَعْدِي رَجُلٌ . . . فَهَـذَا هُوَ الَّذِي يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ » .

[١ : ٢٩ – ٣٣]

ولم يشارك أحد من أصحاب الأناجيل « يوحنا » فى الإشارة إلى عيسى بأنه حمل الله الذى يرفع خطية العالم . كذلك اضطرب « مق » ، فمرة يحكى عن احتياج « يوحنا » لعيسى وأخرى يبين لنا جهل « يوحنا » – وهو النبى بحقيقة عيسى .

٦ – يحكى يوحنا أن مريم المجدلية جاءت لزيارة قبره ومعها امرأة أخرى ، وإذا ملك نزل من السماء وقال لهما : لا تخافا فليس يسوع هنا فقدقام بين الأموات .

[٢٧ : ١ – ٧]

بينما يحكى « يوحنا » أنها جاءت وحدها فرأت أن الصخرة قد رفعت عن القبر فأسرعت إلى « بطرس » وتلميذ آخر ، فأخبرتهما أن المسيح عليه السلام قد أخذ من تلك المقبرة ، فخرج « بطرس » وصاحبه فأبصرا الأكفان موضوعة فى ناحية القبر . وبينما هى واقفة تبـكى .... قال لها يسوع : يا امرأة لماذا تبكين ؟ من تطلبين ... إلخ . [انظر يوحنا ٢٠ : ١١ – ١٨] .

فأى الروايتين أصح ؟

[فمثلا [1]] استشهادكم بكلام الأنبياء عليهم السلام ، واتخاذكم أقوالهم حجة[2] بينكم وبين اليهود . ثم أثبتم فى نص الإنجيل أن عيسى قال :

أنا الباب ، فمن دخل علىّ سلم ، ويجد مرعى أبداً ، ثم عرض بمن قبله من الأنبياء فجعلهم لصوصاً وسراقاً . فقال آمين ، أقول لكم إنى أنا باب الضأن ، والقادمون عليكم كانوا لصوصاً وسراقاً ، ولا يقبل اللص إلا ليسرق شيئاً ، ويقتل ، وأنا قدمت لتحيوا ، وتزدادوا خيراً[3] . ولقد رأيت مفسركم « أوجستين »[4] . قد اعتذر عن هذا بهذيان لا يلتفت إليه .

وفى الإنجيل الذى بأيدكم عنه أنه قال :

إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى غير مقبولة[5] وغيرى يشهد لى .

ثم فى موضع آخر من الإنجيل أنه قال :

---

٧ ـ لم أغفل « متى » صعود المسيح عليه السلام وذكره « يوحنا » بتعبير غامض (٢٠ : ١٨) وهما من الحواريين الاثنى عشر ، بينما ذكره « لوقا » « ومرقس » وهما ليس من الحواريين .

(قارن : الفاصل بين الحق والباطل ص ٤٢ ـ ٤٩) .

(١) فى ج ، ت: « مملو من القول ونقيضه ، ولقد رأيت فيه من التضاد والتناقض ما فيه عجيب كاستشهاد »

٢) فى ج ، ت: « جنة » .

(٣) قارن إنجيل يوحنا ١٠ : ٨ ـ ١٨ .

(٤) فى ج ، ت :« لطيفكم أغشيش » وفى ع :« أغشتين » .

(٥) فى الإنجيل: « فشهادتى ليست حقا » (يوحنا ٥ : ٣١) .

إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق ، لأنى أعلم من أين أتيت[١] وإلى أين أذهب .

أخبرنى ! كيف تكون شهادته حقاً وباطلا ، ومقبولة وغير مقبولة ؟

وكيف يجمع بين هذين فى كتاب منسوب إلى الله تعالى ؟ .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم عنه ، أنه حين استشعر بوثوب اليهود عليه ـ بظنكم ـ قال :

[الآن] قد جزعت نفسى ، فماذا أقول يا أبتاه ؟ فسلمنى من هذا الوقت[٢] وأنه حين رفع فى الخشبة صاح صياحاً عظيماً ، وقال :

إيلى ، إيلى ! لم شبقتنى[٣] ، وترجمته : إلهى ، إلهى لم أسلمتنى[٤] ؟ ثم فى موضع آخر من الإنجيل . أنه قال قبل ذلك :

من أحب أن يقفو أثرى فليوهب نفسه[٥] .

---

(١) فى الإنجيل « من أين جئت » (يوحنا ٨ : ١٤) .

(٢) نص الإنجيل .

« فَقَالَ لَهُمْ نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ . . . يا أَبَتَاهُ إِنْ لَمْ يُمْكِنْ أَنْ تَعْبُرَ عَنِّي هٰذِهِ الْكَأْسُ إِلَّا أَنْ أَشْرَبَهَا فَلْتَكُنْ مَشِيئَتُكَ » .

[مق ٢٦ : ٣٨ - ٤٢]

(٣) فى ج : « لم عرب » ، وفى ت : « لم عذبتنى » .

(٤) قارن « مق » ٢٧ : ٤٦ .

(٥) نص فى الإنجيل :

« مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ

لحرض على إتلاف النفوس ، فكيف يجزع [هو] مما حرض عليه قبل ؟

أم كيف يكون إلهاً وتجزع نفسه ؟

أم كيف يكون ابنا لله يدعوه أن يخلصه من ذلك الوقت فلم يستجب له ؟

وفى الإنجيل الذى بأيديكم عن «متى» الحوارى ، حين ذكر نسب عيسى عليه السلام :

قال هو ابن[1] يوسف بن يعقوب بن قتان بن اليعازر بن أليود ابن أخيم[2] [وهكذا إلى أن] عد إلى إبراهيم الخليل عليه السلام أربعين أبا[3] .

وفى إنجيل « لوقا » الحوارى يقول فى نسب عيسى:

إنه ابن يوسف ابن هالى[4] . وهكذا عدَّ إلى إبراهيم خمساً وخمسين أبا[5] .

فكيف يقع هذا الاختلاف فى كتاب الله تعالى ؟ حتى أن[6] أحد ملوك العجم غير المتنصرة اطلع [فى][7] أناجيلكم على هذا التناقض فى نسب

= وَيَتْبَعْنِى . فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا . وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِى وَمِنْ أَجْلِ ٱلْإِنْجِيلِ فَهُوَ يُخَلِّصُهَا » .

[مرقس ٨ : ٣٤ - ٣٥]

(١) فى ج : « من يوسف » .

(٢) متى ١ : ١ — ١٧ .

(٣) فى ج ، ت : « تسعا وثلاثين أبا » .

(٤) فى ج ، ت : « يوسف بن متان بن لابى بن ملحا بن منان » .

(٥) فى ج ، ت : « تسعاً وخمسين » وهو خطأ . انظر لوقا ٣ : ٢٣ — ٣٤ .

(٦) فى ج ، ت : « وقد كان » .

(٧) فى ج ، ت : « من » .

عيسى فعابه عليكم[1] وشافه أربابكم فيه ، فلم يكن فيهم من يعتذر عن ذلك وسقط ما بأيديهم .

ثم إن أحد الأساقفة سمع ذلك على بعد ، فخاطب الملك بعذر تخيل فيه[2] وهو أن النسبين المتناقضين :

أحدهما : نسب طبيعى ، نسب التناسل[3] والتوليد .

والآخر نسب شرعى ، نسب الولاء والكفالة .

فاستحسن جمهوركم هذا العذر وعمل عليه .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم عنه أنه كان يوماً قد نهاهم عن التجارة فى بيت المقدس ، وأن اليهود قالت حينئذ :

أى علامة تظهر لنا ؟

فقال :

تهدمون هذا البيت وأبنيه لكم فى ثلاثة أيام .

فقالت اليهود :

بيت بنى فى خمس وأربعين سنة ، تبنيه أنت فى ثلاثة أيام ؟[4] .

---

(١) فى ج : « فكانت عليكم » .

(٢) فى ج : « بعد أن تجبل فيه » .

(٣) فى ج ، ت : « التنسيل » .

(٤) نص الإنجيل :

« أَيَّةَ آيَةٍ تُرِينَا ؟ . . . فِي سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بُنِيَ هٰذَا الْهَيْكَلُ » . [يوحنا ٢ : ١٨- ٢٠]

ثم فى موضع آخر عنه [يقول إنه] لما ظفرت به اليهود - بظنكم - وحمل إلى بلاط عاملى [الـ] قيصر ، واستدعيت عليه بينة ، أنَّ شاهدى زور جاءا إليه وقالا : سمعنا هذا يقول : أنا قادر على بنيان هذا البيت فى ثلاثة أيام(١) .

أخبرنى ! كيف استجزتم أن تسموهما شاهدى زور ، وقد شهد نص كتابكم أنه قال ذلك ؟

فإن قلت : إن اليهود ظنوا بهذا القول غير ماعنى عيسى ، فإن الشاهدين لم يشهدا على تأويل ، إنما شهدا على لفظه ، وما نطق به لسانه ، وما هو فى كتابكم منصوص(٢) .

وأى تأويل لهذا غير مايظهر من فحوى مجاوبة اليهود ، من أن البيت المعنى فى كلامه ، [هو] بيت المقدس ؟

[فقلتم إنما أراد جسمه ، وأنه قام بعد ماصلب بثلاثة أيام ، وأن الخمس والأربعين هو عدد أرقام اسم آدم بحساب الجمل ، وهكذا من الهذيانات التى لم تعرف اليهود منها شيئاً ، ولا سمعت أن أسلافها جرى بينهم وبين عيسى عليه السلام هذا المجلس ولا سوى ذلك مما تصفون من خرافات كتبكم](٣) .

---

(١) قارن مق ٢٦ : ٦٠ — ٦١ .

(٢) فى ج ، ت : « وماهو فى كتابكم نص » .

(٣) فى ج ، ت : «فقلتم فى معنى ذلك أن التربة التى صنعت منها الخمسة والأربعون من أقطار الأرض ، وأن الأحرف التى فى ابتداء السطر إذا حصلت وجد آدم ، وأكدتم التصديق ، فهذا الهذيان الذى لايؤدى إلى معنى بإخراج المعدود من إسم=

وفى الإنجيل الذى بأيديكم عنه أن يحيى قال فيه : إنه يجب أن يكبر ولا ينقص[1].

أخبرنى أيها المغرور عمن كان إلـهاً تاماً كما تصفون . كيف تلحقه الزيادة ، ويدركه النقصان أو تأخذه الآفات ؟

وقد اعتذر عن سفاف هذه المقالة مفسركم « أوجستين »[2] ، وأراد تأويله بنوع [من] الهذيان ، ثم استحى .

وفى الإنجيل « للوقا » أن عيسى قال لرجلين من تلامذته :

إذهبا إلى الحصن الذى يقابلكما ، فإذا دخلتما ، فستجدان جحشا[3] . مربوطاً لم يركبه أحد فحلاه وأقبلا به إلىّ[4] .

=آدم حين نزل حروفه بحساب أبى جاد على خمسة وأربعين من العدد ، فأنتم تأولتم قول اليهود بهذا الهذيان ، وأنتم أقررتم أنها ترد شيئاً من ذلك ، وإنما أردت المدة التى يبنى فيها بيت المقدس ، ومن أعجب الأشياء أن اليهود لا تعرف شيئاً من هذا ولا سمعت أن أسلافها جرى بينهم وبين عيسى هذا المجلس ، ولا سوى ذلك مما تصفون من مزخرفات أصل مزخرفات كتبكم » .

(١) نص الإنجيل :

« يَنْبَغِى أَنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّى أَنَا أَنْقُصُ » .

[يوحنا ٣ : ٣٠]

(٢) فى ج ، ت : « مفسركم ولطيفكم أعسس » .

(٣) فى ج ، ت : « فلوا » .

(٤) نص الإنجيل :

« إِذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِى أَمَامَكُمَا وَحِينَ تَدْخُلاَنِهَا تَجِدَانِ جَحْشًا مَرْبُوطًا لَمْ يَجْلِسْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ قَطُّ فَحُلاَّهُ وَأْتِيَا بِهِ » .

[لوقا ١٩ : ٣٠]

وفى الإنجيل « لمتى » يصف هذا الخبر بعينه ، ويذكر [أنه كان معها أتانة][1] فحسبك (هنا) من خلل ووقوع تشكيك .

وفى الإنجيل « للوقا » يخبر عن المرأة التى صبت الطب على رجلى المسيح ، و [أنكر ذلك][2] التلاميذ ، وقالوا هلاَّ تصدقت به[3] .

وفى الإنجيل « لمتى » يصف هذا الخبر بعينه [ويذكر] أنها إنما صبت الطيب على رأس المسيح[4] .

فما أبعد اليقين عن خبر فيه هذا الاختلاف ؟

وفى الإنجيل أن أم ابنى [زبدى][5] جاءت إلى عيسى ، ومعها ابناها ، فقال : ما تريدين ؟

فقالت : أريد أن يجلس ولدى : أحدهما عن يمينك ، والآخر عن يسارك ، إذا جلست فى ملكك .

فقال : تجهلين السؤال . أيصبران على الكأس الذى أشرب ؟

فقالا : نصبر .

فقال : سيشربان بكأس ، وليس تجليسكما عن يمينى ، ولا عن شمالى إلا إلى من وهب ذلك إلىّ[6] .

---

(١) فى ج ، ت : « أنها إنما كانت حمارة متبعة » . قارن متى ٢١ : ١ — ٢ .
(٢) فى ج ، ت : « شق على » .
(٣) قارن لوقا ٧ : ٢٦ — ٥٠ .
(٤) متى ٢٦ : ٧ .
(٥) فى ج : « سداى » ، وفى ت : « أن أم سداى » .
(٦) قارن متى ٢٠ : ٢٠ — ٢٣ .

فها هو ذا عيسى قد أقر أنه ليس له من الأمر شيء[١] .

ومن أعجب الأشياء ، التماس بعضكم تأويلا لهذه المقالات الشنيعة[٢] .

[فتنقلون من الفلسفة تارة ومن العلوم الروحانية أخرى][٣] حين [لا تجدون لنصوصكم مخرجاً شرعياً][٤] .

وأيم الله ! ما يُعلم فى معمور الأرض ديانة يتشرع بها إنسان[٥] تضاد الفلسفات والعقليات التى ادعيتم تجويز محالاتكم عليها مثل ملتكم[٦] .

ولعمرى[٧] إن العرب ، عبدة الأوثان ـ الذين بعث الله فيهم سيد النبيين ، والمرسلين ، محمدا صلى الله عليه وسلم ـ كانوا أشد الكفار[٨] عبادة [للأوثان] وأشنعهم إلحاداً [ورغم هذا] فلقد اتقوا من مثل ما أنتم عليه حين قالوا عن أوثانهم وأصنامهم :

« مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللهِ زُلْفَىٰ »[٩] .

---

(١) ليس هذا النص دليلا على التناقض فى الإنجيل ، وإنما يساق دليلا على عدم ألوهية عيسى ، لأنه فوض الأمر لله العلى القدير .

(٢) فى ج : « البشيعة » .

(٣) فى ج ، ت : « من فلسفة ، وروحانية » .

(٤) فى ج : «يهديكم المقبولات الشرعيات »، وفى ت : « حتى نبذتم المعقولات الشرعية » .

(٥) فى ج : « يسرع بها إنساناً » .

(٦) فى ج : « من مثلكم » .

(٧) فى ج ، ت : « ولقد تعلم » .

(٨) فى ج ، ت : « كانوا شر الكفار » .

(٩) الزمر ٣ .

فكأنهم نزهو الله تعالى [إلا أنهم] جعلوا واسطة بينهم وبينه جهلا منهم .

ما أبين فضل[١] هؤلاء على من اعتقد أن الله تبارك [وتعالى] ، نزل من السماء عن كرسى عظمته ، ودخل فى امرأة ، وأقام يتخبط تسعة أشهر فى بحر[٢] بين بول ودم وطمث ثم خرج بعد ذلك إلى لطم اليهود خديه وصفعهم فى قفاه وبصقهم فى وجهه ، ووضعهم تاجا من الشوك على رأسه وقصبة فى يده استخفافاً به ، وتسميرهم يديه ، ورجليه فى خشبة ، وصلبهم إياه عليها[٣] ، وإيجابه تبارك وتعالى على نفسه اللعنة ، بذلك ، لأنه تعالى قال فى التوراة :

مَلْعُونٌ ، مَلْعُونٌ مَنْ تَعَلَّقَ بِالصَّلِيبِ[٤] .

ولقد جعلتموه سفيهاً حين وصفتموه بهذا وهو قادر ، وأوجبتم شكر اليهود على أنفسهم ، فإن فعلهم به أرشد من فعله بنفسه ، حين أعادوه إلى سمائه ، وصرفوه إلى كرسى عظمته .

---

(١) فى ج : « ما من فضل » .

(٢) فى ج : « من بحر » .

(٣) قارن « متى » ٢٧ : ٢٨ – ٣١ « مرقس » ، ١٥ : ١٦ – ٢٠ ، « لوقا » ٢٢ : ٦٣ – ٦٥ « يوحنا » ١٩ : ١ – ٥ .

(٤) نص التوراة :

« وَإِذَا كَانَ عَلَى إِنْسَانٍ خَطِيَّةٌ حَقُّهَا الْمَوْتُ فَقُتِلَ وَعَلَّقْتَهُ عَلَى خَشَبَةٍ فَلاَ تَبِتْ جُثَّتُهُ عَلَى الْخَشَبَةِ بَلْ تَدْفِنُهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِأَنَّ الْمُعَلَّقَ مَلْعُونٌ مِنَ اللهِ » .

[سفر التثنية ٢١ : ٢٢ – ٢٣]

وقد كان سفها بأن أهان نفسه وأنزلها فى غير نصابها .

نستعيذ بالله من شر هذا الإلحاد الذى شرعتموه ،ونستهديه أوضح سبل الرشاد الذى حرمتموه ، ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

ومما فى الإنجيل عنه من التناقض أنه قال :

لا تحسبوا أنى قدمت لأصلح بين أهل الأرض ، لم آت لصلاحهم لكن لألقى المحاربة بينهم . إنما قدمت لأفرق بين المرء وابنه ، وبين الابنة وأمها ، حتى يصير أعداء المرء أهل بيته(١) .

وفى الإنجيل أيضاً عنه أنه قال :

إنما قدمت لتحيوا وتزدادوا خيراً ، وأصلح بين الناس(٢) .

فنى الأول جعل المسيح نفسه نقمة على العالم ، وفى الثانى رحمة عليهم، وهذا كلام نبرىء الحواريين منه .

وأنه قال :

من لطمك على خدك الأيمن(٣) فانصب له الأيسر(٤) .

وفى الإنجيل عنه أنه قال :

لم آت لأنقض شريعة من قبلى ، إنما جئت لأتمم(٥) .

---

(١) قارن مق ١٠ : ٣٤ - ٣٦ .

(٢) هذا النص ترجمة لما تحتويه موعظة الجبل .
انظر مق : الاصحاح الخامس والسادس والسابع .

(٣) فى ج : « بخديك » .

(٤) قارن مق ٥ : ٣٩ .

(٥) قارن مق ٥ : ١٧ .

وما أشبه هذا ، ثم فيه بعد أحرف قليلة كلام آخر ينقض فيه شريعة التوراة حرفاً حرفاً ، فى قوله :

أما علمتم أنه قيل للقدماء : لاتقتلوا ومن قتل فقد استوجب القتل .

وأنا أقول : كل من سخط على أخيه فقد استوجب العقوبة ،

ومن قذف أخاه ، فقد استوجب النفى من الجماعة ، ومن رماه بالحرق ، فقد استوجب جهنم .

أما علمتم أنه قيل للقدماء : من فارق امرأته ، فليكتب لها كتاب الطلاق ؟ .

وأنا أقول : من فارق امرأته منكم ، فقد جعل لها سبيلا إلى الزنا[١] ومن تزوج مطلقة فهو فاسق .

وقوله : أما بلغكم أنه قيل للقدماء : العين بالعين والسن بالسن ؟

وأنا أقول لكم : لاتكافئوا أحداً بسيئة ، ولكن من لطم خدك اليمنى ، فانصب له خدك اليسرى ، ومن أراد مغالبتك ، وانتزاعك قميصك ، فزده أيضاً رداءك ومن سألك شيئاً فاعطه ، ومن استسلفك فأسلفه[٢] .

أخبرنى أيها المغرور عن هذا الخلاف ! أتعده تتميما أو نقضاً لشريعة من سبقه ؟

وفى الإنجيل « لمتى » عن المسيح أنه قال « لبطرس » :

طوبى لك ياشمعون بن الحمام ، وأنا أقول لك إنك الحجر ، وعلى هذ

---

(١) فى ج : « الزواج » .

(٢) قارن مق ٥ : ٢١ - ٤٤ .

الحجر أبنى بيتى ، فكلما حللته على الأرض يكون محلولا فى السماء ، وما عقدته على الأرض يكون معقوداً فى السماء[١] .

ثم فيه بعد أحرف يسيرة يقول له ــ أى « لبطرس » .

إذهب [عنى] ياشيطان ، ولا تعارضنى ، فإنك جاهل[٢] .

فكيف يكون شيطاناً جاهلا ويطيعه صاحب السماء ؟

وفى الإنجيل أيضاً نص [يفيد] أنه لم تلد النساء مثل يحيى ، هذا ما [جاء] فى إنجيل « متى[٣] » .

ثم فى إنجيل يوحنا أن يحيى بعثت إليه اليهود من يكشفون لهم عن أمره ، فسألوه من هو :

أهو المسيح ؟ قال : لا .

قالوا : أخبرنا ! من أنت ؟

قال : أنا صوت صارخ فى البرية[٤] .

إلى كلام كثير ينفى [فيه] عن نفسه ، كونه إلياساً ، أو كونه نبياً[٥] ولا يجوز لنبى أن ينكر نبوته .

---

(١) قارن متى ١٦ : ١٧ ــ ١٩

(٢) قارن متى ١٦ : ٢٣ .

(٣) قارن متى ١١ : ١١ .

(٤) فى ج ، ت : « أنا صوت مناد فى المفاز » .

(٥) قارن يوحنا ١ : ١٩ ــ ٢٧ .

وقال فى هذا الـكلام [حين][1] ذكر عيسى أنه لايصلح أن يحل شراك نعله[2] ، وسماه حمل الله[3] ، وأنتم تقولون : هو الله .

وكذلك تنالون من الإنجيل الذى بأيديكم [حين تدعون] أنه لانبى بعده [أى بعد عيسى ثم تثبتون] فيه أيضاً أنه كان بعده بأنطاكية أنبياء منهم « برنابا » ، و « سمعان » ، « ولوكيوس » ، و « مناين »[4] .

وكذلك فى كتبكم أنه قدم أنبياء الله من البيت المقدس ، وقام آخرهم ـ وكان يقيما [اسمه] « أغبانوش » ـ فتنبأ [بقحط شامل ومجاعة عامة][5].

وفيها [أى الـكتب] أن « جرجيس » [جاء] بعده ، وبعث إلى ملك الموطى وهو من أهل فلسطين ، وكان قد أدرك بعض الحواريين .

فأنتم القائلون أن لانبى بعد المسيح ، وأنتم المصدقون بنبوة هؤلاء كلهم ولم يكن لهم من الذكر فى الـكتب ولا [فى أخبار الأنبياء] مثل ما للذى كفرتم .

---

(١) فى ج ، ت : « وقد » .

(٢) فى ج : « شراك عينيه » .

(٣) فى ج ، ت : « حروف » بإهمال الأول . لـكن فى الإنجيل (حمل) انظر يوحنا ١ : ٣٧ – ٣٩ .

(٤) فى ج : « فاربه [بدون نقط] وشمعون ، ولو موسى [بدون نقط] ومائلل . وهذا خطأ ، إذا جاء فى أعمال الرسل الاصحاح الثالث عشر : « وكان فى أنطاكية فى الـكنيسة هناك أنبياء ومعلمون « برنابا » ، « وسمعان » الذى يدعى «نيجر» ، «ولوكيوس» القيروانى « ومناين » الذى تربى مع «هيرودوس» رئيس الربع ، وشارل » . [أعمال الرسل ١٣ : ١]

(٥) فى ج : فتنبأ وقال إنه يكون فى بلاد مجاعة ، وقحط شديد » .

« وأقتصر على هذا من تهافت أناجيلكم ، وما اشتملت عليه من الزلل ، والأباطيل .

ومن طالع كتبكم ، وأناجيلكم وجد فيها من العجائب مايقضى له بأن شرائعكم وأحكامكم ونقولكم قد تفرقت تفرق أيدى سبأ ، وأنكم لاتلزمون مذهباً [وليس هذا بغريب] فأناجيلكم [ماهى إلا] حكايات ، وتواريخ ، وكلام كهنة ، وتلاميذ وغيرهم . حتى أنى أحلف بالذى لا إله إلا هو أن تاريخ الطبرى عندنا أصح نقلا من الإنجيل ، ويعتمد عليه العاقل أكثر ، مع أن التاريخ عندنا لايجوز أن ينبنى عليه شىء من أمر الدين ، وإنما هو فكاهات فى المجالس .

وتقولون مع ذلك : إن الإنجيل كتاب الله ، أنزله إلينا ، وأمر المسيح باتباعه .

فليت شعرى ! أين هذا الإنجيل المنزل من عند الله ! وأين كلماته من بين هذه الكلمات !

[إن] الذى تنقلونه عن عيسى عليه السلام لفظا ــ وهو قليل ــ لا يلزم أن يكون منزلا من عند الله ، لأن المسيح عليه السلام كان يتكلم بأشياء على وجه النصيحة ، ومن مقتضى الطباع البشرية ، وغير ذلك . فهذا كله ليس من عند الله ، فنحن لانقول : إن كل ما تكلم به محمد صلى الله عليه وسلم قرآن . وقد نقل عنه القرآن ــ الموحى به من ربه لفظاً ــ نقلا متواتراً ، يقطع بصحته الخلف والسلف . أما أنتم فلايتعين لكم شىء مما أنزل الله أبداً ، فضلا عن نقله بعد تعيينه .

[إبطال دعوى صلب المسيح من الإنجيل]

ثم قلت : إنه لاينكر صلبه [أى عيسى] إلا كافر ، وما ذلك إلا ضلالات ابتدعتموها ، ومحالات على رعاع الأعاجم أجزتموها ، وأيم الله ! إنكم لفى شك منه ، مالكم به من علم إلا إتباع الظن(١) .

وإلا فأخبرنى أيها المغرور ! مامعنى قول « يهوذا الأسخريوطى »(٢) [وهو من الحواريين ، تلاميذ المسيح ، ارتد عنكم بزعمكم] ودل عليه بظنكم - حين خرج مع اليهود إلى طلبه ، قال لهم : إنى لأستحى منه [ولذا فسوف] أجعل الأمارة عليه - حيث أنكم لاتعرفونه بعينه - أن أُقبِّله . فإذا فعلت فأنتم وذاك(٣) .

فهذا يشهد أن اليهود لم تكن تعرفه ، وهذا منصوص فى إنجيلكم(٤)

---

(١) « .. وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا » .
(النساء . ١٥٧)

(٢) فى ج ، ت : « اليهوذ الإشكوريوت » .

(٣) نص الإنجيل :
« والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلاً الذى أقبله هو أمسكوه » .
[متى ٢٦ : ٤٨]

(٤) فى ج : « وهذا فى إنجيلكم أيضا » ، و فى ت : « وهذا فى أناجيلكم وفى نصوصكم أيضا » .

ومن نصوصكم أيضاً أنهم حين أحاطوا بعيسى ومن معه ، خرج بنفسه إليهم وقال :

من تطلبون ؟

قالوا :

يسوع الناصرى[١] .

قال :

أنا هو .

فنظروا إلى يهوذا [نظرة تساؤل عن الإشارة التى اتفقوا معه عليها ، ففعلها][٢] فقبضوا[٣] عليه بظنكم[٤] .

---

(١) فى ج : « باشر القازرى » .

(٢) فى ج : « فنظروا إلى أن أظهر يهود الإمارة » .

(٣) فى ج : « فتقبضوا » .

(٤) اتفقت الأناجيل الثلاثة ـ « متى » ، « ومرقس » ، « ولوقا » ـ فى رواية القبض على عيسى عليه السلام ـ كما يزعمون ـ ، إذ نصت على أن « يهوذا الأسخريوطى » قبل عيسى ، فعرفه الجند ، فقبضوا عليه ، وخالفهم فى ذلك « يوحنا » فقد جاء فى إنجيله :

« فَأَخَذَ يَهُوذَا ٱلْجُنْدَ وَخُدَّامًا مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ ٱلْكَهَنَةِ وَٱلْفِرِّيسِيِّينَ وَجَاءَ إِلَى هُنَاكَ بِمَشَاعِلَ وَمَصَابِيحَ وَسِلَاحٍ . فَخَرَجَ يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا يَأْتِي عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُمْ مَنْ تَطْلُبُونَ ؟ أَجَابُوهُ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ . قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَنَا هُوَ . وَكَانَ يَهُوذَا مُسَلِّمُهُ أَيْضاً وَاقِفاً مَعَهُمْ . فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ إِنِّي أَنَا هُوَ رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا عَلَى ٱلْأَرْضِ . =

أخبرنى ! .

كيف أمِنْتُمْ [والحال كما رويتم] أن يكون قد عمدت إلى سواه - [حيث كانت لا تعرفه - ورفعه الله ، كما رفع أخنوخ النبى [(١)] .

= فَسَأَلَهُمْ أَيْضاً مَنْ تَطْلُبُونَ . فَقَالُوا يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ . أَجَابَ يَسُوعُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّى أَنَا هُوَ . فَإِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَنِى فَدَعُوا هٰؤُلَاءِ يَذْهَبُونَ . لِيَتِمَّ الْقَوْلُ الَّذِى قَالَهُ إِنَّ الَّذِى أَعْطَيْتَنِى لَمْ أُهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدًا . . . . ثُمَّ إِنَّ الْجُنْدَ وَالْقَائِدَ وَخُدَّامَ الْيَهُودِ قَبَضُوا عَلَى يَسُوعَ وَأَوْثَقُوهُ وَمَضَوْا بِهِ » .

[يوحنا ١٨ : ٣ - ١٢]

(١) فى ج : «حنوح» ، فاسمه فى التوراة العبرية «خنوخ» وفى الترجمة العربية «أخنوخ» .

من هو « أخنوخ » هذا ؟

جاء ذكره فى الكتاب المقدس خمس مرات :

(ا) أخنوخ بن ياردبن مهلئيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام [التكوين ٥ : ١ - ٢٠] ، ثم أخبر أن الله أخذه :

« وسار « أخنوخ » مع الله ، ولم يوجد ، لأن الله أخذه » [التكوين ٥ : ٢٤]

(ب) ذكر كاتب «أخبار الأيام الأول» نسبه، وهو مطابق لما ورد فى سفر التكوين [١-١]

(ح) كذلك أورده « لوقا » فى إنجيله ، عندما تحدث عن نسب المسيح ، فاتفق مع سابقه فى سلسلة نسبه - أى أخنوخ - [حتى آدم عليه السلام] . [لوقا ٣ : ٣٧]

(د) جاء فى الرسالة إلى العبرانيين :

« بالإيمان نقل « أخنوخ » لكى لا يرى الموت ، ولم يوجد لأن الله نقله » .

= [١١ - ٥]

. . . .

= اتفق هذا النص مع نص سفر التكوين ، وإن اختلفت الألفاظ ، فى سفر التكوين « . . أخذه . . » وهنا « ... الله نقله » ، فاليهود والمسيحيون يفسرون كلا التعبيرين بأن الله رفعه إلى السماء .

(هـ) أما ما حكى فى « رسالة يهوذا » فلم يخرج عن كونه إخباراً بأن : « أخنوخ » هو النبى السابع بعد آدم ، بلغ رسالة ربه إلى الناس مبيناً لهم أنه سوف يعاقب الفجار على ما اقترفت أيديهم ... إلخ »

[قارن « رسالة يهوذا » ١٤ — ١٦]

يتضح من هذه النصوص اتفاق الكتاب المقدس بقسميه العهد القديم ، والعهد الجديد – على :

— سلسلة نسب « أخنوخ » .

— وأن الله رفعه حياً .

ماذا تقول المصادر الإسلامية عنه ؟

لم يذكر القرآن الكريم هذا الاسم إطلاقاً ، إلا أن المؤرخين عندما تحدثوا عن إدريس عليه السلام ، قالوا إنه ابن يارد بن مهلئيل ابن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام ، واسمه فى التوراة « أخنوخ » .

ثم رووا قصة عن كعب ، تفيد أن الله رفعه إلى السماء ، رداً على سؤال لابن عباس عن تفسير قوله تعالى :

« وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيًّا »

[انظر : ابن كثير : قصص الأنبياء حـ ١ ص ٧١ — ٧٥ ، والثعالبى ص ٤٢ – ٤٣ ، والطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن : حـ ١٦ ص ٧٢] .

ولا يخفى أن هذا كله إسرائيليات ، إذ تدل الآية القرآنية على أن الله رفع قدره ، لا على أنه رفعه إلى السماء ، فتوجيهها إلى المعنى الذى روى عن كعب متأثر بتيار انتشار الإسرائيليات فى المجتمع الإسلامى .

كذلك اعتمد المؤرخون فى نسب « إدريس » عليه السلام على ما جاء فى الكتاب المقدس بشأن « أخنوخ » ، ويبدو لى أن ولوعهم بذكر نسب كل نبى ورد =

ولعلكم صدقتم [يهوذا] الإسخريوطى[١] فى دلالته عليه ، [و] فى نص إنجيلكم ، أنه مرتد ، كافر ، ملعون . فشهادته إذاً غير جائزة ، أو لعله عندما عاينه ، وأدركته الندامة ، جعل الإمارة على غيره من التلاميذ ، وسارع التلميذ إلى وقايته بنفسه .

والدليل على قيام هذا الاحتمال أنه فى نص الإنجيل الذى بأيديكم أن « يهوذا الإسخريوطى » أدركته الندامة حينئذ ، و [أعاد][٢] لهم الثلاثين درهما التى كان باعه بها ، إذ أعلمهم أنه ليس [هو] ذلك [المقبوض عليه] .

فقالت له اليهود :

وما علينا[٣] !

فأنت ترى هذه الندامة ، وهذا القول لليهود [وتقرأها فى] أناجيلكم[٤] وقلتم :

= اسمه فى القرآن ، دفعهم إلى القول بأن « إدريس » هو « أخنوخ »، إذ عندما تصدوا لكتابة قصص الأنبياء ، وجدوا أن القرآن الكريم أشار إلى بعضهم إشارات عابرة — لأنه ليس كتاب قصص فى المقام الأول بل هو تشريع — لذا بحثوا عما سكت عنه فى الكتاب المقدس ، فكان عملهم هذا غير علمى — فى محيط المجتمع الإسلامى — إذ المصدر الذى يعتمد عليه فى البحث العلمى ، يشترط فيه أى يكون صحيحاً ، وخاصة ما يتعلق بشرح ما جاء فى القرآن الكريم ، وعليه فقول المؤرخين المسلمين إن « إدريس » هو « أخنوخ » يفتقر إلى دليل صحيح من مصادر التشريع الإسلامى .

(١) فى ج ، ت : « الاشكريوث » .

(٢) فى ج : « وحرف » .

(٣) قارن متى ٢٧ : ٣ — ٤ .

(٤) تتلخص ملاحظات أبى عبيدة التى استنتجها من الإنجيل للتدليل على أن الشخص الذى صلبته اليهود لم يكن عيسى فيما يلى : =

. . . .

(ا) لم يكن عيسى بشخصه معروفاً لدى رجال الشرطة ، التى أمرت بالقبض عليه ، ولذا أخذوا معهم « يهوذا الإسخريوطى » ليعينه لهم .

(ب) ثبت أى يهوذا ندم على استعداده لمعاونة الشرطة، فى تعيين شخص عيسى من بين التلاميذ ، ورد لهم المبلغ الذى أخذه منهم .

(ج) يحتمل بناء على هاتين الملاحظتين ـ وهما مذكوران فى الإنجيل نصاً ـ أن يهودا أدركته الندامة قبل وصوله مع رجال الشرطة ! إلى المكان الذى فيه عيسى مع تلاميذه ، فعين لهم أحد التلاميذ على أنه عيسى ، ولم ينكر التلميذ رغبة فى إنقاذ معلمه فأخذ ، وصلب .

ولا يرفع هذا الاحتمال ذهاب مريم المجدلية إلى القبر ، وإخبارها بقيام عيسى عليه السلام ، لأنها لم تكن مع التلاميذ ، حين ذهبت الشرطة للقبض عليه ، ولم يخبروها بأن المقبوض عليه ليس عيسى ، حتى لا ينتشر الخبر ، فتعاود السلطات البحث عن عيسى . كذلك لم يكذبوها حين روت أنه قام من قبره ، لأن فى ذلك رفعاً لشأنه . وعاملا قوياً لحمل الناس نفسيا على الإيمان بالمسيحية .

اعتقدت مريم بأن المصلوب هو عيسى ، فصدمت نفسيا ، ولم تصدق الواقع ، فآمنت ـــ تحت تأثير الصدمة ـــ بإمكان رجعته بعد موته ، وتلك ظاهرة معروفة فى كل الجماعات الدينية ،فإننا « إذا تتبعنا تطور الجماعات الدينية فى معتقداتها وجدنا أن عقيدة الرجعة لإنسان معين تنم عن تقدير المعتقد لهذا الإنسان المعين ، وعن حبه له . بل عن شدة الوله به ، وعن هذا الحب الشديد ، والرغبة المتزايدة فى الحرص على بقائه ، ولقائه ، ومحادثته ، ينشأ شك المحب فى قتل من يحبه أو موته ، لو سمع بأنه قتل ، أو مات . فإذا اصطدم بالحقيقة الواقعة ، وهى أنه لم يعد يراه يقظة ، ولم يعد يتحدث إليه مشافهة بعد فوات وقت طويل على ذلك ، لم يصدق بموته أو قتله مع ذلك ، ويؤمن بغيبته فحسب . ثم بناء على ذلك بأوبته ورجعته يو ... طالت فترة الغيبة أم قصرت . لأن الحب القوى يخلق أملا قويا قد يتعارض مع واقع الأمر . والنفس موزعة بين الأمل القوى ، والواقع الذى لامراء فيه ، لا تركن إلى طرف منهما . وهذه حال الشك .

إنه خنق[(١)] نفسه[(٢)] . وتأويل المفسرين منكم فى خنق نفسه : أنه[(٣)] أراد الإسراع عاجلا إلى جهنم ، قبل نزول عيسى إليها ، ليُخرج[(٤)] من فيها حين قدامه بدمه من عذابها . فأراد يهوذا أن يكون من جملة المخرجين .

وقلتم : إن عيسى أبى إلا أن يكون [أى يهوذا] فيها من المخلدين[(٥)] .

ولكن عيشة النفس فى الأمل أهدأ وأرغد ، لأن متعتها فيه أطول ، ولأنه ملجؤها عند فرارها من الواقع . ولهذا ترجح البقاء فيه عن النزول إلى عالم الحقيقة ، وهذا هو حال ترجيح أحد طرفى الشك . وهو هنا ترجيح غيبة المحبوب ، دون الاعتقاد بقتله ، أو موته الذى تمثل الواقع ، ثم يصبح هذا الترجيح عقيدة بالغيبة .

فإذا اطمأنت النفس عندئذ إلى غيبة المحبوب تحول هذا الاطمئنان إلى أمل قوى فى عودته ، لأنها شديدة الحرص من قبل على رؤيته يقظة ، ومشافهته فى الحديث . ثم يتحول هذا الأمل بعد مرور فترة أو فترات عليه إلى عقيدة برجعته » .

[البهى : الجانب الإلهى جـ ١ ص ٩٢ — ٩٣]

اشتد هذا الأمل عند مريم ، فتخيلته واقعاً ، فأخبرت بأنها رأت عيسى عليه السلام ، وكلمها . ولم يكن ذلك سوى هواجس النفس ، التى لا تذعن للواقع من شدة ما ألم بها من الحزن .

(١) فى ج : « خلق » .

(٢) متى ٢٧ : ٥ .

(٣) فى ج : « إذا » .

(٤) فى ج : « فيخرج » .

(٥) يشير بذلك إلى ما ورد فى الإنجيل على لسان عيسى عليه السلام:

« .... وَيْلٌ لِذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِى بِهِ يُسَلَّمُ ٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ . كَانَ خَيْراً لِذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُولَدْ » .

[مرقس ١٤ : ٢١]

فأما(١) اليهود فإنها قتلت رجلا لم تعينه ـ بإقرار كتابكم ـ ولم(٢) نعرفه إلا بشهادة يهوذا الإسخريوطى ، أنه ذلك المطلوب وأما أنتم فلا كتاب عندكم صادق بتحقيق ذلك ، ولا خبر قاطع للحجة .

كيف لا ، ونصوص الإنجيل ، والكتب النصرانية ، متضافرة دالة على عدم صلب عيسى عليه السلام ووقوع الشبه على غيره ، وذلك من وجهين :

أحدهما : جاء فى الإنجيل أن المصلوب قد استسقى اليهود ، فأعطوه خلا ممزوجاً ، بمرارة ، فذاقه ولم يشربه ، فنادى : إلهى ! إلهى ! لِمَ خذلتنى ؟ والأناجيل كلها مصرحة بأنه عليه السلام كان يطوى أربعين يوماً وليلة ، ويقول للتلاميذ : إن لى طعاماً لستم تعرفونه .ومن يصبر على العطش والجوع أربعين يوماً وأربعين ليلة ، كيف يُظهِر الحاجة والمذلة والمهانة لأعدائه بسبب عطش يوم واحد ! هذا لا يفعله أدنى الناس ، فكيف بخواص الأنبياء ؟ أو كيف بالرب تعالى ، على ما تدعونه ؟ فيكون حينئذ المدعى للعطش غيره ، وهو الذى شبه لكم .

ثانيهما : إلهى ! إلهى ! لم خذلتنى ؟ هو كلام يقتضى عدم الرضا بالقضاء وعدم التسليم لأمر الله تعالى. وعيسى عليه السلام منزه عن ذلك. فيكون المصلوب غيره ، لاسيما وأنتم تقولون إن المسيح عليه السلام نزل ليؤثر العالم على نفسه ، ويخلصه من الشيطان ورجسه . فيكيف تروون عنه ما يؤدى إلى خلاف ذلك ؟ مع روايتكم فى توراتكم أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون

(١) فى ج : « وأما » .
(٢) فى ج : « لا تعينه ..... ولا » .

عليهم السلام لما حضرهم الموت ، كانوا مستبشرين بلقاء ربهم ، فلم يجزعوا من الموت ، ولم يهابوا مذاقه ولم يعيبوه ، مع أنهم عبيد الله ، والمسيح - بزعمكم - ولد ، ورب ، فكان ينبغى أن يكون أثبت منهم ، ولما لم يكن ذلك دل على أن المصلوب غيره .

ولعلك تقول : إن القول بإلقاء الشبه على عيسى عليه السلام يفضى إلى السفسطة والشك فى الحقائق ، والدخول حينئذ فى الجهالات ، ومالا يليق بالعقلاء ، لأننا إذا جوزنا إلقاء شبه الإنسان على غيره ، فإذا رأى الإنسان ولده لم يثق بأنه ولده ، ولعله غيره ألقى عليه شبه ولده ، وكذلك القول فى امرأته وسائر معارفه . لا يثق الإنسان بأحد منهم ولا يسكن إليه .

ونحن نعلم بالضرورة أن الإنسان يقطع بأن ابنه هو ابنه ، وأن كل واحد من معارفه هو هو من غير شك ولاريبة ، بل القول بالشبه يمنع الوثوق بمدينة الإنسان ووطنه إذا دخله ، ولعله مكان آخر ، ألقى عليه الشبه ، فلا وثوق بوطنه ، ولا بسكنه ، ولا بإلفه ، ولا بشيء مما يعرفه .

بل إذا غمض الإنسان عينه عن صديقه بين يديه ، ثم فتحها فى الحال ، ينبغى له أن لا يقطع أنه صديقه ، لجواز أن يلقى شبهه على غيره .

لكن جميع ذلك خلاف الضرورة ، فيكون القول بالشبه محال ، كالقول إن الواحد نصف العشرة ، والمثلث هو عين المربع .

ويكون قصدك من ذلك كله أن يكون المصلوب هو عين عيسى عليه السلام . فإن قلت ذلك ، أجيبك بما يلى :

إن قولك هذا تهويل ليس عليه تعويل ، لأن البراهين القاطعة والأدلة

الساطعة قائمة على أن الله خالق الإنسان وجملة أجزاء العالم ، وأن حكم الشيء حكم مثله ، فما من شيء خلقه الله تعالى فى العالم إلا وهو قادر على خلق مثله ، إذ لو تعذر خلق مثله ، لتعذر خلقه فى نفسه ، فيلزم أن يكون خلق الإنسان مستحيلا ، بل جملة العالم ، وهو محال بالضرورة .

وإذا ثبت أن الله تعالى قادر على خلق مثل لكل شيء فى العالم ، فجميع صفات جسد عيسى عليه السلام لها أمثال فى حيز الإمكان فى العدم ، يمكن خلقها فى محل آخر ، غير جسد عيسى عليه السلام فيحصل الشبه قطعاً .

لقول بالشبه قول بأمر ممكن ، لا بما هو خلاف الضرورة ، ويؤيد ذلك أن التوراة مصرحة بأن الله تعالى خلق جميع ما للحيَّة فى عصاة موسى عليه السلام ، وهو أعظم من الشبه ، فإن جعل حيوان يشبه حيواناً أقرب من جعل نبات يشبه حيواناً ، وقلب العصا حية تسعى مما أجمع عليه اليهود والنصارى ، كما أجمعوا على جعل النار لإبراهيم عليه السلام برداً وسلاماً ، وعلى قلب الماء خمراً ، فإذا جوزتم مثل هذا ، جوزتم أيضاً إلقاء الشبه من غير استحالة(١) .

ثم إن الإنجيل عندكم ناطق بأن عيسى عليه السلام نشأ بين ظهور اليهود فى مواسمهم وأعيادهم وهياكلهم ، يعظهم ويعلمهم ، ويناظرهم ، ويعجبون من براعته وكثرة تحصيله ، حتى كانوا هم يقولون : أليس هذا ابن يوسف ؟ أليست أمه مريم ؟ أليس أخواه عندنا ؟ فمن أين له هذه الحكمة ؟

وإذا كان كذلك فى غاية الشهرة والمعرفة عندهم ، فلم نص الإنجيل على

---

(١) راجع تفسير آخر لكيفية إلقاء الشبه فى ص ١٩٦ .مهموشة رقم ٤

أنهم وقت ما أرادوا القبض عليه لم يحققوه ، حتى دفعوا لأحد تلاميذه - وهو يهوذا - ثلاثين درهماً ليدلهم عليه . فجاء ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر نيسان ،ومعه جماعة من اليهود ،ومعهم السيوف والعصى من عند رؤساء الكهنة ، وقال لهم التلميذ المذكور : الذى أُقَبِّله هو مطلوبكم فامسكوه .

فلما جاء قال : السلام عليك ، ثم قَبَّله ، فقال له يسوع : لماذا جئت يا صاحب ؟ فوضعوا أيديهم عليه وربطوه . وتركه التلاميذ كلهم وهربوا ، وتبعه « بطرس » من بعيد . فقال له رئيس الكهنة : أستحلفكُ بالله الحى أن تقول لنا ، هل أنت المسيح ؟ فقال له المسيح : أنت قلت ذلك ، وأنى أقول لكم : إنكم من الآن لا ترون ابن الإنسان حتى تروه جالساً عن يمين القوة آتياً فى سحاب السماء (١)

فلا شك أن هذا الالتباس العظيم مع تلك الشهرة العظيمة نحو ثلاث سنين فى المحاورات العظيمة ،والمجادلات البليغة، كلها تدل على وقوع الشبه قطعاً ، خصوصاً أن فى الإنجيل ، أنه أُخِذ فى حندس من ليل مظلم من بستان فَشُوِّهت صورته ، وغُيِّرت محاسنه بالضرب والسحب وأنواع النكال . ومثل هذه الحالة توجب الالتباس بين الشىء وخلافه ، فكيف بين الشىء وشبهه،فمن أين لكم ، أو لليهود القطع بأن المصلوب هو عين عيسى عليه السلام دون شبهه ؟ بل إنما حصل الظن والتخمين ، كما قال الله تعالى :

«وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً . بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ »(٢) .

ثم فى الإنجيل أيضاً : أن يسوع عليه السلام كان مع تلاميذه بالبستان ، فجاء اليهود فى طلبه ، فخرج إليهم عليه السلام ، وقال لهم : من تريدون ؟

---

(١) قارن : متى ٢٦ : ٦٣ - ٦٤

(٢) النساء ١٥٧ - ١٥٨ .

قالوا : يسوع . وقد خفى شخصه عنهم ، ففعل ذلك مرتين [يوحنا١٨ : ٤-٨] وهم ينكرون صورته ، وما ذلك إلا دليل الشبه ، ورفع عيسى عليه السلام . لاسيا وقد حكى بعض منكم أن المسيح أعطى قوة التحول من صورة إلى صورة .

قال متى فى إنجيله [متى ٢٦ : ٣١ - ٣٤] : بينما التلاميذ يأكلون طعاماً مع يسوع عليه السلام قال : كلكم تشكون فىّ فى هذه الليلة ، فإنه مكتوب أنى أضرب الراعى فتفترق الغنم .

فقال « بطرس » : فلو شك جميعهم ما أشك أنا .

فقال يسوع : الحق أقول لك : إنك فى هذه الليلة تنكرنى قبل أن يصيح الديك .

فقد شهد عليهم بالشك ، بل على خيارهم ، « بطرس » ، فإنه خايفته عليهم ، فقد انخرم حينئذ الوثوق بأقوالكم ، وجزم بإلقاء الشبه على غير عيسى عليه السلام .

وصح قوله تعالى :

« وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ »[1] .

ومثل هذا كثير :

ومن هنا نعلم أن هذه الأناجيل ليست قاطعة فى صلبه ، بل فيها

---

(١) النساء : ١٥٧ .

اختلافات وشكوك كثيرة ، كما قدمت لك . وإن أردت أن أزيدك توضيحاً، نذكر مافعله « يهوذا » ، ويحتمل أن يكون قد كذب فى قوله لليهود ، ويدل على وقوع ذلك منه ، ظهور الندم منه بعد ذلك .

وقول المسيح عليه السلام : يا صديق ويا صاحب ! لم أقبلت ؟

ولو كان مصراً على الفساد ما سماه صديقاً .

ثم لا تنسى أن الإنجيل شهد أن المسيح عليه السلام ، شهد للتلاميذ الاثنى عشر بالسعادة [متى ١٩ : ٢٨] ، وشهادته حق . ولا شك أن السعيد لا يتم منه الفساد العظيم ، إذا شرع فيه ، ويهوذا أحد الاثنى عشر فيلزم :

إما أن يكون يهوذا لم يدل عليه .

أو يكون المسيح عليه السلام ما نطق بالصدق .

أو يكون كتابكم قد تحرف وتبدل .

فاختاروا لكم واحدة من هذه الثلاث .

ثم لنا قول آخر هو :

يحتمل أن المسيح عليه السلام ذهب فى الجماعة الذين أطلقهم الأعوان ، وكان المتكلم معهم غيره ممن يريد أن يبيع نفسه من الله تعالى وقاية للمسيح عليه السلام .

وهكذا ليس ببعيد فى أتباع الأنبياء عليهم السلام ، فكيف أتباع الإله على زعمكم ؟

ويمكن أن الأعوان قد اتخذوا عليه رشوة وأطلقوه ، كما أخذوا رداء الشاب الذى كان يجرى وراءه عند القبض وأطلقوه أيضاً .

ثم إذا نقلتم أن يهوذا الحوارى مع جلالته قبل الرشوة ، على أن يعين على أخذه ، فتجوز الأعوان الرشوة لإطلاقه أقرب .

ثم هل يستحيل أن يكون الله تعالى قد صوَّر لهم شيطاناً أو غيره بصورته فصابوه ، ورفع المسيح عليه السلام ؟ يدل على ذلك أنهم سألوه ، فسكت .

وفى تلك السكتة تتعين النكتة . وهذا ممكن والله تعالى على كل شىء قدير .

وإذا كان ليس عندكم نصوص قاطعة بصلبه ، كما بينا لكم وجوه احتمالات مانقلتموه ، واليهود ليسوا قاطعين بذلك ، لأنهم اعتمدوا على قول « يهوذا » ، فأى ضرورة تدعوكم إلى إثبات أنواع الإهانة والعذاب فى حق رب الأرباب على زعمكم ؟ إن هذا لمن عجب العجاب ![1]

[إبطال دعوى الصلب بدليل تاريخى]

وإنما قيل لكم بعد نحو[2] مائتين وثلاثين من السنين :

أنه قد كان فى سالف الدهر رجل من أمره كذا ـ وبأضغاث أحلام من امرأة اسمها [مريم المجدلية][3] ، ادعت أنها رأت فى منامها هذيانات ، فقبلتم

---

(١) زيد فى ع من : « كيف لا ونصوص الإنجيل . . . . (إلى) عجب العجاب » .

(٢) فى ج ، ت : « زمان » .

(٣) فى ج ، ت : « اسمها إلا أنه . . . . » .

بأقوالها، وشرعتم بها من غير يقين[١]، ولا تواتر متصل - وسمع ذلك القيصر بن « هيلانة »[٢] حين كثر عدوه وكاد ملكه يذهب، لاختلاف[٣] رعاياه، وأنصاره من الروم عليه، فأراد أن يحملهم على شريعة، ينظم بها سلوكهم، ويؤلف متفرقهم، فاستشار من لديه، من أهل النظر، فوقع اختيارهم على أن يتعبد القوم بطلب دم، ليكون ذلك أقوى، لارتباطهم معه، وآكد بجدهم فى نصرته. فوجد اليهود يزعمون أن فى بعض تواريخهم خبراً عن رجل، كان منهم، هَمّ بنسخ حكم التوراة والانفراد[٤] بالتأويل فيها، فطلبوه[٥] وهو فى نفر (يسير)[٦] وظفروا بواحد اعتقدوا أنه المطلوب[٧] فصلبوه، وماعندهم تحقيق بكونه ذلك المطلوب بعينه، إلا فقدهم إياه من حينئذ[٨]، فعمد « قسطنطين » إلى من وُجِد من أمة عيسى [فوجدهم] قد اختلفت آراؤهم[٩] بعد المسيح بأربعين سنة، والتفت إليهم غير محسوسين فى الأرض، لايظفر بواحد منهم إلا قُتِل، ومُثِّل به، فاستخرج

---

(١) فى ج : « من غير نفس » .

(٢) فى ج، ت : « غير أن « قسطنطين » قيصر الملك بن هلانى » .

(٣) فى ج : « باختلال » .

(٤) فى ج، ت : « وينفرد » .

(٥) فى ج : « تعهدوا » ، وفى ت : « فعمدوا إليه » .

(٦) من ع .

(٧) فى ج، ت « أنه ذلك المطلوب » .

(٨) فى ع : « ولم يحققوا أنه هو إلا بكونه لم يوجد بعد ذلك » .

(٩) فى ج، ت . « دعاويها » .

« قسطنطين » مابقى من رسم الشريعة بأيديهم ، وجمع عليه وزراءه ، فأثبت ماشاء ، وما رآه موافقاً لاختياره .

كالقول بالصلوبية ، ليتعبد قومه بطلب دم .

والقول بترك الختان لأنه شأن قومه .

ثم (أكد ذلك بـ) خلق منامه ، وذلك أول شيء أظهره من هذا الأمر . فجمع أنصاره ورعاياه من الروم وذلك على رأس سبع سنين من ملكه (١) .

فلما اجتمع إليه أنصاره ورعاياه ذكر لهم أنه كان يرى فى منامه آتيا أتاه ، فيقول له : بهذا الرسم تغلب ، ويعرض عليه هيئة الصليب . فأعظمت ذلك العامة ثم بعث إلى [امرأة كانت] كاهنة فى ذلك الزمان ، وكانت ذات جأش وقوة ، فشهدت له أنها رأت مثل مارأى ، فقوى تصديق العامة لذلك .

وفى هذا كله لايعلمون لذلك الرسم تأويلا ، و [لم يكن] « قسطنطين » [قد كشف لهم شيئاً من أمره . وخرج بهم إلى عدوه ، ووعظهم ، وهوّل عليهم أمر الرسم ، فحصل له كل ما أراد من جد القوم ، واجتهادهم معه .

فلما عادوا إلى أوطانهم سألوه عن تأويل ذلك الرسم ، وألحوا عليه فيه . فقال :

---

(١) قسطنطين (٢٧٤ — ٣٣٧ م) امبراطور رومانى تولى الحكم فى عام ٣٠٦ ، ولم يعمد إلا على سرير الموت .

« أوحى إلىّ فى نومى أنه كان الله تعالى هبط من السماء إلى الأرض فصلبته اليهود » .

فهالهم ذلك كثيراً مع ما [تقدم] عندهم من تصديقه ، وعظم عليهم الخطب فيه ، فانقادوا إلى « قسطنطين» انقياداً حسناً، وصح له منهم ما أراد ، وشرع لهم هذه الشرائع [التى بأيديهم إلى اليوم أو أكثرها](١) .

وقد ظهر لجماعة من أهل العلم غير أولى الشرائع فى ذلك الزمان أن هذا الشخص الذى تعظمه النصارى ، وتصفه بالألوهية ، لم يكن ، و [لاوجد](٢) فى العالم ، ولكن « قسطنطين » ابتدع ذلك كله ، واتفق مع نفر من أحبار اليهود ، وعلمائها على [أن يعطى لهم مايطلبونه](٣) من متاع الدنيا ، ويشهدون له عند قومه بأن ذلك الشخص كان عند اليهود فصلبته . وأن تضع الأحبار ذلك مسطوراً عند اليهود ، ففعلت وألقت من أخباره شيئاً ، وشهدت أن ذلك القول ، جُمِع بعد صلب ذلك الشخص بسنين قلائل. فبقيت النصارى على ذلك ، والأحداث فى شريعتهم مع افتراءات بمنامات تدعيها النساء ، ومن لا يوثق به(٤) فَيُدَوّن ذلك وُيَتَشَرّع به زائداً على(٥) ما كان بأيديهم .

فلما(٦) بعث الله رسولا كريماً ، وأنزل عليه كتاباً حكيما ، وأيده

---

(١) فى ج ، ت : « على بعض ماهى عليه » .
(٢) فى ج ، ت : « لم يكن وجوده فى العالم » .
(٣) فى ج ، ت : « على أن يبذل لهم ما شاءوا » .
(٤) فى ج : « ومن لا يؤثر » .
(٥) فى ح ، ت : « إلى » .
(٦) فى ج : « فلما أن » .

بالآيات ، وأيده بالمعجزات ، فصدع بالحق المبين ، وقطع الشك باليقين » نكصتم على أعقابكم ، ومن نكص على عقبيه فلن يضر الله شيئاً .

وأما قولك :

« فأخذوه ، وصلبوه ، وغار دمه فى إصبعه ، لأنه لووقع منه شيء فى الأرض ، ليبست ، إلا شيء وقع فيها ، فنبت فى موضعه النوار » .

فهذا من أعجب ماقيل ، ولا احتياج إلى مجاوبتك ، ولعمرى لوأن شيطاناً يتقول على لسانك ، وهو يريد الإضحاك بك ، مابلغ منك مابلغت من نفسك بهذا القول .

[إبطال دعوى صلب المسيح بالأدلة العقلية]

ثم قلت :

« إنه لما لم يمكن أن ينتقم الله من عبده العاصى آدم الذى كلمه ، واستهان بقدره لاعتلاء جلالة السيد ، وسقوط منزلة العبد ، أراد أن ينتصف من الإنسان الذى هو إله مثله ، فانتصف من خطيئة آدم بصلب عيسى المسيح [عليه السلام] » .

أخبرنى أيها المخدوع أولا عن هذه المماثلة ! كيف وجبت لعيسى بالله تعالى ؟ [ثم] إذا كان الله لم يرد الانتقام من آدم لاعتلاء قدر السيد ، وسقوط منزلة العبد ، فالأولى أن يعفو عن الذنب ويتوب على المذنب .

وإن الأبعد عنه عز وجل أن يعاقب أحداً بذنب غيره ، [إن هذا] لغاية الظلم [ونهاية الجور] .

أبيت التوبة(١) احتيالا للصلوبية وإثباتها ، ونسبت إلى الله [تعالى]

---

(١) فى ج : « فأتيت من الظلم الثواب » بدون نقط على الكلمة الأخيرة .

ما ينسب إلى شرار الآدميين من الحقد ، والغائلة ، ونفيت عنه ما يليق به عز وجل من العفو والصفح ، وقلت : إنه انتصف من الإنسان الذى هو إله مثله .

وفى [اعتقادكم وفى] الإنجيل الذين بأيديكم أن الصلب لحق جسم عيسى المتخذ من آدم ، وأن النصف اللاهوتى لم يلحقه الصلب ومخالفة ذلك عندكم كفر .

فإذا كان هذا ، فإلى الآن لم ينتقم الله ، ولا انتصف من إله مثله كما قلت ، إنما انتصف ، وانتقم من إنسان من نسل آدم . فكيف ينبغى لله أن يظلم إنساناً فيعاقبه بذنب جده ؟ وكيف أجزت[1] [لنفسك] أن تقول : انتصف من إله مثله ؟

ما أبين خلل هذه المقالات ، و [أوضح][2] ضلالها !

أخبرنى أيها المغرور عن رجل أخطأ عبده [فى حقه][3] ، فبقى بعده مدة غاضباً عليه ، (ساكتاً) على معاقبته ، حتى ولد لنفسه ولداً ، فعمد إلى قتله[4] بذنب العبد الذى كان أذنب له !

ألست ترى ذلك من قتله ولده [أنه أراد أن] يشفى نفسه على ذلك

---

(١) فى ج ، ت : « استجزت » .
(٢) فى ج ، ت : « أبدى » .
(٣) فى ج ، ت : « عليه » .
(٤) فى ج : « فقتله » .

العبد ، [فأصبح][(١)] ذلك زائداً فى كربه ، وداعياً إلى دوام حزنه ؟

وهل يُحدِث هذا على نفسه.....[(٢)] عاقل أو من لا عقل له ؟

إن الذى دعاكم إلى القول بصلب عيسى ، ما أقررتم به من الفداء حين قلتم :

إن آدم وجميع ولده إلى زمان عيسى كانوا كلهم ثاوين فى الجحيم بخطيئة أبيهم آدم ، حتى فداهم عيسى بإهراق دمه عنهم فى خشبة الصليب ، ثم نزل [فى ذلك الوقت][(٣)] إلى الجحيم ، وأخرج منها جميعهم إلا « يهوذا الأسخريوطى » .

أخبرنى أيها المغرور عن موسى بن عمران ! كيف تفهم أن الله تعالى أدخله الجحيم وخلده فيها[(٤)] بعد أن كلمه ، واصطفاه وفضله ، وبعثه إلى عباده نبياً ، وهادياً ، ولم يكفر بعد (ذلك) ؟

وكذلك إبراهيم الذى كان قد اتخذه خليلا واصطفاه ، وفضله بهدايته ونبوته وأظهر على يديه توحيده ؟

ولا جرم أنه لو كان ذنب آدم بقى فى أعناق أولاده ، حتى أنقذوا منه بدم إله لنطقت به التوراة ، ولصرحت به الأنبياء ! لأنه أمر شنيع ، ومصاب للعالم بشيع ! فنى أى موضع من التوراة ذكر ؟ أو فى أى صحيفة من صحف الأنبياء سطر ؟

---

(١) فى ج ، ت : « فيكون » .
(٢) فى ج زيادة هى : « بعد على ذلك العبد أن يكون زايداً فى كربه يكرب » بدون نقط على الكلمة الأخيرة .
(٣) فى ج ، ت : « لحينه » .
(٤) فى ج ، ت : « كيف استحار الله أن يخلده فى الجحيم بعد أن كلمه » .

أمَّا أنكم أتيتم على ذلك بشواهد من التوراة، وكتب الأنبياء [فـ] تأويلكم فيها لا يخفى على العواجز[١] ضعفه، ولا يستتر على [عقول] صغار الولدان سخفه[٢] .

فمن أوضح دليل [لكم] على ذلك، قوله فى التوراة عن يعقوب بن إسحاق عليهما السلام، أن ابنه يوسف جاء [ه] بابنيه « مَنَسَّى » و« أَفْرَايِمْ »، ليبارك له عليهما فجعل يوسف ابنه « مَنَسَّى » ـ وهو الكبير من ولديه ـ عن يساره، كى يكون عن يمين يعقوب، إذا وقف به أمامه، وجعل « أَفْرَايِمْ » عن يمينه، كى يكون عن يسار يعقوب ثم قربهما إليه، فخالف يعقوب بذراعيه، وجعل يده اليمنى على رأس الأصغر واليسرى على رأس الأكبر، ثم بارك على يوسف، وعلى ولديه. فشق ذلك على يوسف فأخذ بيد أبيه، ورام رفعها عن رأس الصغير إلى رأس الكبير، وقال: لا يحسن هذا يا أبتاه لأن هذا أكبر ولدى، فاجعل يمينك على رأسه، فكره ذلك الشيخ، وقال: قد علمت ذلك يابنى، وستكثر ذرية هذا، ولكن أخوه الأصغر يكون أكثر ذرية ونسلا[٣] .

فتأولتم ذلك [بأن] مخالفته بيديه إعلام بالصلب !

[فما أغرب هذا الأمر، وكيف رضيتم بتأويل ذلك بهذا الهذيان][٤] .

وفى نص التوراة سبب مخالفته بيديه من فضل « أَفْرَايِم » على « مَنَسَّى ».

---

(١) فى ج، ت: « العجائز » .
(٢) فى ج، ت: « الولدان نوله وسخفه » .
(٣) قارن سفر التكوين ٤٨ : ١٣ ـ ٢٠
(٤) من ع، أما فى ج، ت « وما يحتاج إلى تأويل ذلك بهذا الهذيان » .

فإن كان لابد من تأويل مستدرك(١) على نص التوراة ، فهلم إلى تأويل أحسن موقعاً فى النفوس من تأويلك !

وذلك أن مخالفة يعقوب بيديه عند البركة إعلام [بـ] أن الله سيخالف بهذه البركة عن ولد إسحاق ، إذا أسخطوه بالعصيان ، ويصيرها فى ولد إسماعيل ، وذلك مافعل الله بولد إسماعيل عليهم السلام ، إذ بعث منهم سيد النبيين والمرسلين محمداً صلى الله عليه وسلم .

وكذلك تأولتم فى قول داود : أعطونى فى مطعمى المرار(٢) ، وسقونى الخل(٣) ، إن الله تكلم بذلك على لسانه مخبراً عن الصلب . وقلتم : إن الله تبارك وتعالى حين ربط على الخشبة استسقى ماء من(٤) اليهود فسقوه خلاً . تأولتم فى كلام داود مالم يرد ، لتثبتوا من صلب المسيح مالم يكن .

وتأويل كلام داود معلوم ، ومن كثير مما يجرى بين الناس مفهوم . [فإذا] أسخطك المسخط بفعله ، تقول [له] أطعمتنى المر ، أو جرعتنى(٥) السم والحنظل ، وما أشبه ذلك على طريق المثل . و [قد] قال داود ذلك

---

(١) فى ج « مشترك » .
(٢) فى ج : « أطعمونى فى مطعم المران » .
(٣) أصل النص :
« وَيَجْعَلُونَ فِى طَعَامِى عَلْقَماً ، وَفِى عَطَشِى يَسْقُونَنِى خَلاًّ » .
[مزامير ٦٩ : ٢١]
(٤) فى ج : « استسقى ما عند » .
(٥) فى ج : « أجرعتنى » . وفى ت : « سقيتنى »

حين أسخطته [اليهود] بعصيان الله ، والحيد عن المدى[1] ، وخالفته فيما أمر به من المعروف ، ونهى عن المنكر .

أخبرني أيها المغرور !

من كان الممسك للسموات والأرض ، إذ كان الله [كما تزعمون] مربوطاً في خشبة الصليب ؟

هل بقيا [ساكنتين] ؟ أم كان استخلف عليهما غيره ، وهبط هو لربط نفسه في خشبة الصليب ؟ . . وليوجب اللعنة على نفسه ، بما قال في التوراة ملعون ملعون من تعلق بالصليب ! ![2]

عجباً له ! ! إنه المُنتَقِم والمُنتَقَمُ منه ، والحقود والمحقود عليه ، وإنه الظالم ، يأخذ نفساً بذنب غيرها ، وهو المظلوم ، لأنه صلب بذنب غيره .

وعجباً لتفاوت غائلته ، وحقده ! ! كيف يمتنع عن المعايب[3] — وليس هو عندكم غير [من اتصف بهذه المعايب] — ، حتى سمرت يداه ، ورجـــلاه ؟ .

---

(١) في ج : « الهوى » .

(٢) أصل النص في التوراة :

« وَإِذَا كَانَ عَلَى إِنْسَانٍ خَطِيَّةٌ حَقُّهَا ٱلْمَوْتُ ، فَقُتِلَ وَعَلَّقْتَهُ عَلَى خَشَبَةٍ ، فَلاَ تَبِتْ جُثَّتُهُ عَلَى ٱلْخَشَبَةِ ، بَلْ تَدْفِنُهُ فِي ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ لأَنَّ ٱلْمُعَلَّقَ مَلْعُونٌ مِنَ ٱللهِ » .

[تثنية ٢١ : ٢٢ — ٢٣] .

(٣) في ج : « كيف لم يقنع من المعايب » ، وفي ت : « حيث لم يقنع من المعايب » .

ولا قنع من آدم صاحب الذنب [بالتوبة] حتى غُرِسَتْ الخشبة فى ظهره [تكفيراً] لما [ارتكبه آدم] فى الجنة[١].

أخبرنى ! .

ما الذى أوجب لآدم عليه السلام أن يكون موصوفاً لديكم بهذه الشتائم ، وهو أبو البشر ، والله قد تاب عليه واجتباه ؟

أستغفر الله من شر ماجئتم به ، وهو الغفور الرحيم .

ثم وصفتم فيما جئتم به من كذب [حادثة] الصلب ، وأحاديثها الفاسدة[٢] إذ قلتم : قام بعد ثلاثة أيام من القبر .

وتحدثتم عن مريم المجدلية ، ومريم أم يعقوب أنهما اشتريتا حنوطا وأقبلتا إلى القبر ، وقالتا : من ينزع لنا الصخرة من على فم القبر . فزالت الصخرة من ذاتها ، فنظرتا إلى فتى قاعد فى الجانب الأيمن [من القبر] مغطى بثوب ، وذلك فى يوم الأحد قبل طلوع الشمس[٣].

— عجباً لتوقحكم على الله ، وتحديدكم الجانب الأيمن من القبر ، وقبل طلوع الشمس من اليوم ، لتحققوا كذبكم على رعاع الأعاجم ، فقال لهما ذلك المغطى بالثوب : [ولم يكن غير تراب][٤] المصلوب قام ، ومضى إلى

(١) فى ج : « لما كان قد سلخ فى الجنة » ، وفى ت : « لما كان قد سلم فى الجنة » .

(٢) فى ج ، ت : « الفاجرة » .

(٣) انظر مرقس ١٦ : ١ — ٨ .

(٤) فى ج : « المغطى بالثواب ترابا المصلوب ..... » :

الجليل ، قولا لتلاميذه ينهضون إليه [وهكذا جملة من الهذيانات قصصتم عليها فى ذلك][1].

[إبطال دعوى ألوهية عيسى بدليل عقلى]

ثم كتبتم فى الإنجيل الذى بأيديكم : أن الرب صعد ، فصار على يمين الرب فى أثر الصلب[2] .

أخبرنى أيها [المخدوع][3] عن هذين الربين :

من خلق منهما صاحبه ؟ فالمخلوق منهما ضعيف عاجز ، ليس بإله ، وإذا أراد أمراً ، لِمَن الحكم منهما ؟ فإن كان أحدهما مضطراً إلى مشاورة الآخر ، ومساعدته ، كان المضطر عاجزاً مقهوراً ، ولم يكن إلـهاً قادراً ، وإن كان قادراً على مخالفته ، ومدافعته ، فهو إذاً إله مداهن ، ويكون الآخر ضعيفاً ، عاجزاً مقدوراً عليه .

أما [تعلم] أيها المغرور أنه « لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءالِهَةٌ إِلاَّ ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا »[4] .

---

(١) من ع ، وفى ج : «ثم إن نحنا سمع صوتا من السماء هذا ما يقول الأول والآخر الإله الذى كان ميتا فحيي مع جملة من الهذيان ركضتم فى ذلك » ، وفى ت : « باشر القازورى » .

(٢) انظر مرقس ١٦ : ١٩ .

(٣) من ع ، وفى ج ، ت : « المغرور » .

(٤) الأنبياء : ٢٢ .

« مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ، سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ »[1]

ومن عجيب تناقضكم إتفاقكم[2] على أن التثليث آب ، وابن وروح قدس ، وأن كل واحد من هذه الثلاثة لا يُبصَر ، ولا يلحقه ما يلحق الخليقة[3] وأن عيسى كان يُبصَر ، ويجوع ، ويشبع ، ويأكل ، وغير ذلك من صفات الخليقة[4] ثم جعلتموه الابن من تلك الثلاثة ، ويلحقه ما ليس يلحقها !

فإن قلتم : إن نصفه هو إله تام ، والنصف الآخر ليس بإله ، فيلزمكم - إذا دعوتموه - [أن تقولوا] : يا نصف المسيح ارحمنا !

وإذا قيل لكم : مَنْ إلهكم ؟ فقولوا : هو نصف المسيح !

وكيف يكون نصفه خالقاً ، ونصفه معبود لنصفه ، وليس بإله تام ؟

على أنكم لم تفعلوا شيئاً من ذلك! وكفى دليلا على ذلك قولك في رسالتك : «لما لم يمكن أن ينتقم الله من عبده آدم لسقوط منزلة العبد ، انتصف من الإنسان الذى هو إله مثله ، وأن الانتصاف إنما كان من الجسم ، فهو المماثل » .

فإذا جعلتموه كله [إلها] فأنتم تعبدون غير الله ، [ولا فرق عندكم بين الله وبين] مخلوقاته .

---

(١) المؤمنون : ٩١ .

(٢) في ج ، ت : « واتفاقكم » .

(٣) في ج : « وإن كان واحد من هذه الثلاثة لنصر ، ولا يلحق الخليقة » .

(٤) في ج : « ويتجوز غير ذلك من ..... » .

وقلتم :

« إن الابن إله تام ، وأن الآب يستحق من الألوهية والقدم ، ما لا يستحقه الابن » .

فإذا كان ذلك ، فالابن إذاً إله غير تام [حيث][1] لا يستحق من الألوهية مثل ما يستحقه الأب . وهذا من مكابرتكم العقول .

وقالت اليعقوبية[2] - [وهى] من فرق ملتكم - : إن الله نزل فدخل فى بطن مريم ، واتخذ من لحمها جسداً فصار الله مع الجسد نفساً واحدة .

وقالت النسطورية[3] : ليست النفس هى الله ، وإنما هى بعضه .

---

(١) فى ج : « حين لا يستحق » .

(٢) هم أتباع يعقوب البراذعى ، توفى عام ٥٧٨م

(٣) أتباع نسطور الحكيم المتوفى عام ٤٥١م.

وقد أخطأ الشهرستانى فى تحديد زمن حياة نسطور [حـ ١ ص ٢٢٤] حيث قال :

النسطورية : أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمان المأمون .

«قالوا : إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود ، والعلم ، والحياة ، وهذه الأقانيم ليست زائدة ولا هى هو ، . فتأثرهم بالفلسفة الاغريقية فى شرحهم النصوص الدينية دفعهم الى أن يؤولوا التثليث تأويلا عقليا ، فرأوا أن التصديق بالثلاث عبارات ليس قولا بالتثليث فى الواقع ونفس الأمر ، لأن مدلولاتها ترجع فى الحقيقه إلى شىء واحد «هو» الوجود » . فالوجود هو الجوهر ، وهو الذات الواحدة فى الواقع و« العلم » ، و« الحياة » صفتان ، أو اعتباران له ، وبهذا لا يوجد كثرة حقيقية فيه . وعلى هذا : فالله وكلمة الله ، والروح القدس ، تلك العبارات التى وردت فى النص المسيحى لا تدل على ذوات ثلاث فى واقع الأمر ، بل الله هو الذات الواحدة ، وهو وحده أصل العالم ، وكلمته على معنى علمه والروح القدس على معنى القوة المدبرة ، حالان أو اعتباران لذاته . =

ومن كلام اليعقوبية : أن الله أخذ ذلك اللحم ، والدم فوردهما فى نفسه فصار ذلك اللحم الله .

[ثم] اتفقتم أن أقانيم الآب ، والابن ، والروح القدس غير مختلفة ، بل هى [أقنوم] واحد .

فإذا كان هذا ، الأب هو الابن ، وهما روح القدس ، الكل شىء واحد ، وهذا توحيد . فلم خصصتم المسيح بالابن ، ولم تقولوا إنه الأب . وقد قلتم : إن الأب ، والابن ، والروح القدس شىء واحد ؟

ثم جعلتم جوهر البدن شيئاً معبوداً وليس من الثلاثة ، فهؤلاء إذن أربعة ، وقد بطل التثليث ، وصار[1] تربيعاً . فإن أبيتم إلا ثلاثاً فقد جعلتم نفى العقد وإثباته سواء ، وكابرتم العقول .

[الرد على الشبهة الأولى]

وأما قولك ، إنك ترى الأحكام الشرعية حكمين : حكما توراوياً [وهو] من لطمك فالطمه .

وآخر إنجيليا وهو :

= «والنساطرة بهذا التأويل عدوا من أصحاب مذهب « الوحدة » أو يمكن أن يعدوا من أصحابها . ولذلك اعتبرتهم الكنيسة البيزنطية وهى كنيسة الشرق الأدنى خارجين عن الجماعة المسيحية المؤمنة ، كما اعتبرتهم زنادقة هذه الجماعة ، وهم من أجل ذلك يستحقون فى نظرها لعنة الرب والمسيح » . (البهى : الجانب الإلهى ج ١ ص ١٢٠ — ١٢١) وذلك فى مؤتمر خلقيدون الذى انعقد فى عام ٤٥٠ م .

(١) فى ج : « وجاز » .

من لطم خدك الأيمن فانصب له الأيسر[١].

ولا ثالث لهما !

فأخبرنى أولا عن تفضيلك الحكم الإنجيلى على الحكم التوراوى فى قولك لى : أنت ترى فضل هذا على الآخر ! !

كيف [أجزت][٢] ذلك ، وأنت قد نسبت إلى الله عز وجل أنه أبى أن يغفر ذنب آدم حين عصاه [بالأكل][٣] من الشجرة التى نهاه عنها ؟

وقلت : إن الله لم يزل غاضباً عليه زماناً حتى انتصف منه بصلب المسيح ! فلو كان العفو بحكم شريعتك أفضل ، ماسُبِق الخالق إليه .

فاتعلم ماجئت به من التناقض فى تفضيلك حكما نسبت ضده إلى الخالق سبحانه [وتعالى] .

ولا جرم ! أن العفو أفضل ، إنما جادلتك بتناقض عقيدتك .

ثم أقول :

إن ذينك الحكمين الذين أعدمت ثالثهما ناقصان . لم يتم فيهما رحمة الله على عباده ، ليكون فضل التمام للشريعة الفرقانية ، والأمة الإسماعيلية المعظمة كما شهدت لها العجوز القبطية .

وبيان نقص ذينك الحكمين ، أن الناس قد ينزل بهم الخطب الذى لايصلح فيه الاقتصاص والانتقام ، فإن يكن الداعى لهم [ومرشدهم][٤]

---

(١) فى ج ، ت : « من . . . اليمنى . . . . اليسرى » .
(٢) فى ج ، ت : « استجزت » .
(٣) فى ج ، ت : « بأكل » .
(٤) من ع .

حينئذ يأخذهم بحكم التوراة لم يكن ذلك صالحا .

وربما نزل بهم الخطب الذى يصلح فيه الاقتصاص والانتقام ، فإن يكن — [قائدهم][1] حينئذ يأخذهم بالحكم الإنجيلى جرأهم ذلك على اقتراف[2] ذنب آخر ، وهذا كله واضح .

فإن يكن الراعى مع أحد الخطبين يأخذ بما يخالفه التماسا للتدين ، فقد أفسد نظام السياسة ، ومافضل شريعة لاتُصلح نظام أهلها ؟

وإن هو أخذ بما يوافق السياسة ، وخالف الشريعة ، كان فى ذلك مالايخفى ومافائدة شريعة لايُستطاع امتثالها ؟

فهذان حكمان ناقصان عما فيه صلاح العالم ، إلى أن جاءت الآية الكبرى ، المعلمة بنور البشرى ، الواردة بخير الدارين : الأولى والأخرى [وهى] القرآن [الكريم] الذى تكملت على الناس فيه النعمة ، وتمت لهم بأحكامه الرحمة ، فنطق وهو أصدق القائلين ، وحكم وهو أعدل الحاكمين فقال :

« وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّـٰبِرِينَ . وَآصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِٱللَّهِ » .[3]

« وَأَنْ تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ »[4] .

فكل حكم أخذ به الراعى مما يراه صالحا لمقامه ، كان فيه موافقة للشريعة .

---

(١) من ع .

(٢) فى ج ، ت : « اجترام »

(٣) النحل ١٢٦ — ١٢٧ .

(٤) البقرة : ٢٣٧

[الرد على مطاعن الأساقفة]

ثم قلت :

« وأما دينكم ، فقد ألف كثير من أساقفتنا كتباً فى الطعن عليه ، وذكروا صاحب شريعتكم ، ووصفوا أشياء : فرأينا أنكم لستم على الحق وإنما الحق معنا » .

فاحتججت فى تعييبك دينى بما اقترفه أساقفتكم وقلت « وصفوا أشياء »، ولم تذكر شيئاً من تلك الأشياء ، فأنا سأذكرها إن شاء الله ، وأقيم البرهان على كذب أساقفتكم الطاعنين المفترين .

فأما قولك :

« فرأينا أنكم لستم على الحق ، وإنما الحق معناه « فلا أحتاج إلى مجاوبتك على هذا الكلام ، وحسبى مافيه من الرعونة والسخافة .

وأما طعنكم فى ملة الإسلام ، وتجرؤكم إلى خلق الأكاذيب [عليها] ، والنيل منها فغير بعيد على من كانت عقيدته وديانته ماتقدم من [إذلال الخالق](1) والتحقير لعظمته ، ووصفه تعالى بغير صفاته الحسنى .

وخليق بمن دان بمثل هذا كله ، أن يجرى على سنن مثله من الطعن أيضاً فى دين الله ، وكتابه الحكيم ، ورسوله الكريم .

ومع هذا فإن من الأسباب الذى دعتكم إلى ذلك ، أن الله تبارك وتعالى لما بعث سيد النبيين والمرسلين محمداً صلى الله عليه وسلم ، رحمة للعالمين ، [ومنقذاً](2) مما كانوا فيه من الضلال المبين . كانوا مابين عابد وثن ،

---

(١) فى ج : « أذامه الحق » .

(٢) فى ج ، ت : « ومستنفرا » .

[وضال][1] مثلكم ، قد [غفل][2] لما سبق فى الحكمة الأزلية أن يكون فضل التمام للشريعة الفرقانية ، والأمة الإسماعيلية المعظمة ، كما شهدت لها العجوز القبطية .

قال الله تعالى فى المصحف الأول[3] لهاجر أم اسماعيل عليه السلام : إنى أجعله فى أمة عظيمة .

ولإبراهيم حين دعا فيه :

سمعت فى إسماعيل ها أنا[4] قد باركته ، وكثرته جداً جداً[5] .

والمراد بهذا كله محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنه كنى عنه بجده إسماعيل [عليه السلام] .

ومما يبين هذا قوله أيضاً فى إسماعيل :

ويقابل جميع الناس ، ويقابلونه ، ويضع فسطاطه فى بلاد أخوته[6] .

---

(١) فى ج ، ت : « وغاو »

(٢) فى ج : « نبى » بدون نقط ، وفى ت : « فتن » .

(٣) لعله يقصد الصحف التى نزلت على إبراهيم عليه السلام .

(٤) فى ج ، ت : « هذا وذا » .

(٥) ونص ما جاء فى التوراة :

« وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ . هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ جِدًّا جِدًّا . اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً » .

[تكوين ١٧ : ٢٠]

(٦) نص ما جاء فى التوراة — وهو جزء من الحوار الذى دار بين هاجر وبين « ملاك الرب » حين ظهر لها على العين التى فى طريق شور — : =

ولا محالة أن هذه صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، لا صفة جده إسماعيل . ومثل هذه الكناية بالجد عن الحفيد فى الكتب كثيرة ، من ذلك فى الزبور الذى بأيديكم قوله :

سبحوا للرب تسبيحاً جديداً ، سبحوا الذى يسبحه[١] الصالحون ليفرح إسرائيل بخالقه[٢] .

وكيف يفرح إسرائيل وكان قبل الزبور بزهاء خمس مائة سنة ؟

وإنما أراد ليفرح بنو إسرائيل .

ومثل هذه الكناية قوله :

أقسم الله بفخر[٣] يعقوب أن لا نضع عنهم أعمالهم إلى الانقراض[٤] .

« هَا أَنْتِ حُبْلَى فَتَلِدِينَ ٱبْنًا وَتَدْعِينَ ٱسْمَهُ إِسْمَاعِيلَ لِأَنَّ ٱلرَّبَّ قَدْ سَمِعَ لِمَذَلَّتِكِ . وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَانًا وَحْشِيًّا يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ . وَأَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ » .

[تكوين ١٦ : ١١ — ١٢]

(١) فى ج ، ت : « هيكله » .

(٢) نص ماجاء فى الزبور :

« هَلِّلُويَا . غَنُّوا لِلرَّبِّ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً تَسْبِيحَتَهُ فِي جَمَاعَةِ ٱلْأَتْقِيَاءِ . لِيَفْرَحْ إِسْرَائِيلُ بِخَالِقِهِ » .

(مزامير ١٤٩ : ١ — ٢)

(٣) فى ج ، ت : « لسفاهه » .

(٤) لعله يشير بذلك إلى ماجاء فى العهد القديم :

وإنما أراد بفخر بنى يعقوب .

ولما بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم إلى كافة خلقه شاهداً ، ومبشراً ، ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، صدع[1] بما جاء به من عند الله ، ودعا العالم إلى الله وحده ، ولم يشرك بعبادته أحداً . وهداهم [إلى الديانة] الحنفية[2] دين إبراهيم ، التى هى دين الله ، ودين أوليائه . وبين لهم ما اختلفوا فيه بما أوحى الله إليه من كتابه المبين ، الذى هو الآية الكبرى ، المعلمة بنور البشرى ، الواردة بخير الدارين الأولى ، والأخرى .

وكملت بنبوته على جميع المخلوقات الرحمة ، واتسعت عليهم برسالته وظهور دينه النعمة ، وأنجز لهم به ما قد وعد به على ألسنة أنبيائه ورسله الأكرمين .

وكان من اتقى الله من زعماء أهل الكتابين ، لما سمعوا بأمره : ساروا إليه باحثين عليه وعلى دينه ، فظهر عليهم بساطع برهانه ، وأذهب كفرهم بإيمانه ، فلم يلبثوا حين عرفوا الحق من ربهم ، أن آمنوا به ، واتبعوه على دينه .

وفيهم أنزل الله تعالى من القرآن :

= « قَدْ أَقْسَمَ ٱلرَّبُّ بِفَخْرِ يَعْقُوبَ أَنِّى لَنْ أَنْسَى إِلَى ٱلْأَبَدِ جَمِيعَ أَعْمَالِهِمْ » .

[عاموس ٨ : ٧]

(١) فى ج ، ت : « فصدع » ،

(٢) فى ج : « وهداهم الحنيفية » .

« إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا . وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا . وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا »(١) .

ولا محالة أن البكاء دال على صحة العقيدة ، وثبات اليقين وإخلاص النية . ومعرفة الحق .

وقوله تعالى :

« ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ »(٢) .

وقوله تعالى :

« قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ »(٣).

وقوله تعالى :

« ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ . وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ »(٤).

---

(١) الإسراء ١٠٧ — ١١٠

(٢) القصص ٥٢

(٣) الرعد ٤٣

(٤) المائدة ٨٢ — ٨٣

وكثير مثل هذا .

فعنـــد ذلك تزلزلت النصرانية ، وسقط مابأيديهم من المحالات ، وانتقضت عرى ديانتها ، وهدت قواعدها ، ودخلوا فى دين الله أفواجا .

[وقد أثار هذا][1] حسد نفر من مضلى زعمائهم ، وأهل الذكر فيهم ، فلفقوا[2] ما بأيديهم وقفوه بأشياء كثيرة استدركوها على استدراك « قسطنطين » .

ثم لم تزل لهم محافل يستدركون فيها على ماقدموا ، وينشئون الكتب ، ويصنفون الدواوين فى خلق الأكاذيب على سيد النبيين والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، وشتم عرضه على نحو مافعلوا بالخالق سبحانه وتعالى عن قولهم علواً كبيراً .

فمن تلك الأكاذيب قولهم :

إن محمداً كان يقول لقومه ، لست أموت ، ولكن أرفع إلى السماء ، فلما مات تركوه يومين حتى نتن ، ثم دفنوه .

وكنفيهم معجزاته ، ولم يذكروا منها[3] شيئاً إلا خبر أم معبد[4]

(١) فى ج : « لرست حسد » بدون نقط ، وفى ع : « فرتب حينئذ » ، وفى ت : « فوثب حينئذ نفر ... » .
(٢) فى ج ، ت : « والفقوا »
(٣) فى ج : « مثلها » .
(٤) ورد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو فى طريق الهجرة من مكة إلى المدينة ـ ومعه أبو بكر ، ومولاه عامر بن فهيرة ودليلهم عبد الله ابن أريقط الديلى فسألوها : هل عندها لبن يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئاً ، =

وخبر الذئب[1].

وقولهم : إننا رأينا لمسيلمة صاحب اليمامة كتاباً تحدى به ، لو رأته العرب ، وسائر المسلمين لارتدوا عن الإسلام إعجاباً بنظمه .

وكدفعهم فى حسن نظم القرآن ، وإعجازه الذى لايشك فيه إنسان .

وكجحدهم مافيه من الإخبار عن المعجزات . وعن الغيوب وكجحدهم بشارة [2] الكتب والأنبياء من قبل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إلى غير ذلك من الأكاذيب التى لم يخلوا[3] منها توقحاً منهم على الله تبارك وتعالى ، وجرأة عليه ، كما وصفهم « عوبدياً »[4] الذى تنبأ فيكم

وقالت : لوكان عندنا شيء ما أعوزكم القرى . وكانوا مملحين . فنظروا إلى شاة فى كسر خيمتها فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ فقالت : خلفها الجهد . فقال : أتأذنين أن أحلبها ؟ فقالت : إن كان بها حلب فاحلبها . فدعا بالشاة ، فمسحها ، وذكر اسم الله فذكر الحديث فى حلبه منها ما كفاهم أجمعين ، ثم حلبها وترك عندها إناءها ملأى ، وكان يروى الرهط [ابن كثير : شمائل الرسول ص ٤٥]

(١) حدثنا يزيد ، حدثنا القاسم بن الفضل الحدانى ، عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال : عدا الذئب على شاة فأخذها ، فطلبه الراعى ، فانتزعها منه . فأقعى الذئب على ذنبه فقال : ألا تتقى الله ؟ تنزع منى رزقا ساقه الله إلى ؟ فقال : ياعجبى ! ذئب يقعى على ذنبه يكلمنى كلام الإنس ! فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ محمد صلى الله عليه وسلم بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق ..

[ابن كثير : شمائل الرسول ص ٢٧٣]

(٢) فى ج : « ببشارة » .

(٣) فى ج ، ت : « يستحيوا » .

(٤) فى ج : « عنويدنا » بنقط النون فقط ، وفى ت : « عوزرياء » .

عند بنى إسرائيل ، فذكر وقاحة قلوبكم وتمادى على وصف طالب طباعكم[١] .

وأنا أذكر لك الآن ما يوضح لك كذبهم على سيد الأولين والآخرين، وأكتفى بذكر القليل عن التطويل .

وإنما أريد أن تتحقق [ويبدو أمامك] خلاف ماقالوه ، ويتبين كذبهم عليه توضحاً منهم :

قالوا عنه ، إنه قال : لا أموت .

وفى القرآن مكتوب :

« إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ »[٢] .

وفيه أيضاً :

« وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا »[٣] .

وفيـــه :

«وَمَاجَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُـمُ الْخَـٰلِدُونَ »[٤] .

وقال :

---

(١) أقرأ رؤيا عوبديا فى العهد القديم .

(٢) الزمر ٣٠ .

(٣) آل عمران ١٤٤ .

(٤) الأنبياء ٣٤ .

بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة(١) .

وقال :

اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد(٢) .

ينهى بذلك قومه أن يتخذوا قبره مسجداً حتى لا يؤدى(٣) بهم ذلك إلى الفتنة به فيعبد من دون الله ، كما فعلت النصارى فى عبـــادة عيسى ابن مريم .

وكان عليه السلام يستعيذ بالله من عذاب القبر(٤) .

وبإجماع من أمته أنه فاح لهم رائحة المسك حين مات ، وكان على بن أبى طالب ، وأبو بكر الصديق رضى الله عنهما يقولان :

« بأبى أنت وأمى طِبْتَ حيًا وميتاً »(٥) .

فهذا بعض ماهو منصوص فى الكتب ، ونقلته عنه ثقات أمته الذين عنوا بأخباره ، وتقلدوها ديناً . ورأوا ، وعاينوا إعلاناً وسراً ، وكثير مثل هذا يستغنى عن ذكره .

فمن نقل إليكم ـ معشر الغاوين ـ أنه قال :

لايموت ويرفع ؟

---

(١) البخارى حـ ٣ ص ٢٩ .

(٢) قارن البخارى حـ ٦ ص ١٣ .

(٣) فى ج : « حتى يحرق بهم .. » بإهمال الياء ، وفى ت : « خشية أن يحرقه بهم بذلك إلى الفتنة » .

(٤) قارن البخارى حـ ٢ ص ٢٣ .

(٥) ابن كثير : السيرة حـ ٤ ص ٥١٨ .

وإن كان الذى رفع من الأنبياء إلى السماء أفضل من الذى فى الأرض ، فلم تفضلون موسى بن عمران على إدريس ، وأحدهما مرفوع [كما جاء فى توراتهم][1] والأفضل مقبور ؟

وأما قولكم ، إنكم رأيتم لمسيلمة صاحب اليمامة كتاباً تحدى به ، لو رأته العرب لارتدت عن دينها إعجاباً بنظمه ، فهذه مجاهرة عظيمة بالباطل ، وإسراف بالتوقح على الله [تعالى] .

أخبرنى :

كيف عرفتم أحوال مسيلمة ، وجهلها العرب ؟

وكيف قرأتم كتابه على بعدكم[2] وعميت عنه العرب ؟

وإنا لنراكم جاهلين بأحوال المسيح وأمه ، الذين ادعيتم الانفراد بولائهما .

[لقد][3] ذهبتم فى ذلك إلى التمويه على أعدائكم بحسب ماجرت به عوائدكم ! .

وإن كان اتصل بكم شىء من كلام مسيلمة [فليس إلا] من أيدى المسلمين ومما كتبوه فى تواريخهم[4] إذ لم يغادروا من حوادثهم صغيرة ولا كبيرة إلا أحصوها لِعُلُوِّ هممهم ، وشرف نفوسهم .

---

(١) كما بينا ذلك سابقاً فى ص ١٩٤ - ١٩٦ .

(٢) فى ج : « بعادكم » .

(٣) فى ج : « أما أنكم » ، وفى ت : « إلا أنكم ذهبتم » .

(٤) فى ج : « كتبوا بعينه » .

فليت شعرى !

ما الذى استحسنتم من كلام مسيلمة المتقول على الله عز وجل ؟

أقَوْلُه :

« ياضفدع نقى ، ماتنقين أعلاك فى السماء ، وأسفلك فى الطين ، لاالشارب تمنعين[1] ، ولا الماء تـكدرين »[2] .

أم قَوْلُه :

« والمبذرات زرعاً . والحاصدات حصداً . والذاريات قمحاً والطاحنات طحناً . والخابزات خبزاً . فالثاردات ثرداً . فاللاقمات لقماً وسمناً . لقد فُضلتم على أهل الوبر . وما سبقكم أهل المدر، رفيقـكم فأَمْنِعوه[3] . والمعتر فآووه . والباغى فناوئوه »[4] .

أم قَوْلُه :

« تفـكروا فى نعمة الله عليـكم ، إذ جعل لـكم الشمس سراجاً . وجعل لـكم فى الأرض أنهاراً ودجاجاً ، وكباشاً ، ونعاجاً ، وفضة ، وزجاجاً ، وذهباً ، وديباجاً . وأخرج لـكم من الأرض رماناً ، وعنباً ، ورطباً ، وتمراً ، وأباً »

أم قَوْلُه :

« لقد منَّ الله على الحُبلى ، إذ أخرج منها نسمة تسعى ما بين فرث

---

(١) فى ج : « المتمعين » .

(٢) الطبرى : تاريخ حـ ٣ ص ٢٨٤ .

(٣) من ع ، وفى ج : « زيفـكم فامنعوه » . وفى الطبرى : تاريخ : ريفـكم فامنعوه .

(٤) من الطبرى : تاريخ .... وفى ج : « فباوه » وفى ع : « فاووه » انظر الطبرى تاريخ حـ ٣ ص ٢٨٤ ، وابن كثير : السيرة النبوية حـ ٤ ص ٩٩ .

وحشا[1] . فمنهم من يموت ويدس فى الثرى ، ومنهم من يعيش ويبقى إلى أصل ومنتهى . والله يعلم السر وأخفى . ولا تخفى عليه الآخرة والأولى ؟ » .

أم قَوْلُه :

« والشمس وضحاها فى ضوئها ومتجلاّها . والليل إذا عداها . يطلبها ليغشاها . فأدركها حتى أتاها . فأطفأ نورها ومحاها ؟ » .

فهذه [نبذ] من كلام مسيلمة كذاب اليمامة ، وأجدر بكم ـ معشر النصارى ـ أن لا يقع استحسانكم إلا على مثل هذا الكلام !

فمن كان قد ارتضى إلهه صليبياً ، [فهو خليق] بأن يرضى بمسيلمة رسولاً ، وبكلامه هذا فرقاناً ؟

[الكلام على إعجاز القرآن الكريم]

ومن أعجب الأشياء دفع مضليكم فصاحة القرآن الذى هو حاضر إلى الآن ، يظهر فيه كذبهم ، ويوجب عند كل متكلم خزيهم . وقد كان فصحاء العرب ، وشعراؤها ، وأئمة البيان فيها ، ورءوسها تمشى إلى استماعه سراً وجهراً ، ولا تدفع فيه ، وهم أعداؤه يومئذ ، وخصماؤه ، والمستهلكون أنفسهم فى رده . وهو ومن اتبعه مستضعفون فى الأرض يومئذ ، مبالغ فى أذاهم . وكان يقرأ عليهم :

« قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا »[2] .

---

(١) قارن ابن كثير : السيرة النبوية ﺣ ٤ ص ٩٦ ـ ١٠٠ ، ابن هشام ﺣ ٢ ص ٥٧٧ .

(٢) الاسراء ٨٨ .

ثم قال :

« قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ »[١].

ثم رجع إلى سورة واحدة فقال :

« قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ »[٢].

ثم قال :

« وَلَن تَفْعَلُوا۟ »[٣]

فما أجابوه بحرف إذعانا إلى إعجازه ، وإلقاء بأيديهم لديه ، وإلا فما منعهم حين سمعوه قد قرأ عليهم ذلك [أن يعارضوه بـ] أن يقولوا : هذا رجل قد تخطى رقابنا ـ معشر العرب ـ على مافينا من خطيب بليغ ، وشاعر همِيم ، وذوى عقل ، وحكم ، وعلم ، وتجربة ، ونظر فى العواقب ؟

وقالوا :

إنكم متى عارضتموه بسورة واحدة مثل كتابه فهو كاذب ؟

كيف يجوز هذا على مثلنا ، وهو وحده ، ونحن كثير ، والكلام كلامنا ؟

وقد علمت جميع الأمم أنه فاض بياننا ، وجاشت بالبلاغة صدورنا ، فهلموا إلى شىء يغنينا عن استهلاك أنفسنا فى محاربة هذا الرجل ، ومكابدته إلى ماهو أيسر علينا ، وذلك أن نؤلف كلاماً فى سورة واحدة مثل كتابه فيكون كاذباً ، كما حكم على نفسه إذا فعلتم ؟

---

(١) هود ١٣ .

(٢) يونس ٣٨ ، وفى البقرة ٢٣ :

« فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ » .

(٣) البقرة ٢٤ .

اعتبر أيها المغرور فى نفارهم[1] عن ذلك، ولم يفعلوا شيئاً منه، وفى قوله لهم: « وَلَنْ تَفْعَلُوا » فيحتمل هذا وجهين لا محيص عنهما:

إما أن يكون القوم قد ميزوا عجزهم فستروا أنفسهم عن معارضته.

وإما أن يكونوا قدروا على ذلك فمنعهم الله كما لوقال لهم:

إن أحدكم لا يقدر أن ينطق باسم أبيه فيعترى ألسنتهم ما يمنعهم عن ذلك. وهذا لا يقدر عليه إلا الخالق سبحانه وتعالى.

وقد كانت العرب بالغت فى إيذائه بأقوالها، وأفعالها، فما دفع أحدهم قط فى إعجاز كتابه، بل كان منهم من نسبه إلى السحر، وأين السحر من القرآن؟ وإنما السحر بخيالات. وحيل، ثم يضمحل ويزول باطله، والقرآن هو اليوم كما كان يومئذ.

وقد كتبت أمته جميع ما أوذى [به] من سب، وهجر، ونفى، وضرب، وجرح، وحصر فى الشعاب وغير ذلك من أنواع الإيذاء، فما روى أن أحدهم عارضه بسورة قط، ولا يجوز أن يكون ذلك فيخفى، لما فى سجية الخلق من اللهج بنقل الأخبار[2].

وإن كان عليهم فيه شىء.

وأيضاً فقد كتبوا هجوه، وردده، وهو أبلغ فى الإثم.

وأيضاً قد قرأ عليهم فى ذلك.

---

(١) إحدى مصادر الفعل الثلاثى: نفر، وله مصدران آخران: نفورا، ونفيرا، ومعنى الفعل فى هذا المقام: تباعد.

(٢) فى ج: « من اللهوج مثل الأخبار » وفى ت: « من اللهوج بنقل ... ».

« وَلَن تَفْعَلُوا » .

فلو فعلوا لـكان سبباً فى تفوق قومه وتـكذيبه حيث قال :

« ولن تفعلوا » ففعلوا !

وقد كانوا قالوا للوليد بن المغيرة المخزومى :

إختر لنا ما نقول لجماعة العرب إذا قدموا الـكعبة [فى] الموسم !

ففـكر وقال :

ماذا تقولون أنتم ؟

قالوا :

نقول : هو شاعر .

قال :

إذاً يكذبوكم ، لقد رأينا الشعر كله ، هزجه ، ورجزه ، وقريضه ، ومبسوطه ، فما قوله بالشعر .

قالوا :

هو ساحر

قال :

إذاً يكذبوكم ، لقد رأينا السحرة ، وسحرهم ، فما هو بعقد السحر ، ولا نفثه .

قالوا :

فهو مجنون .

قال :

إذاً يكذبوكم ؟ لقد رأينا الجنون ، فما هو بخنقه ، ولا بخالجه ، ولا وسوسته .

قالوا :

فما تقول أنت ؟

فأطال فكرته ، ثم دخل منزله ، وأغلق [الباب] دونهم ، فصاحوا به ، وهموا برجمه ، فتطلع عليهم فقال بعد فكرة طويلة :

هو ساحر ، جاء بسحر[1] يأتي إليه من نحو بابل ، يفرق بين المرء وقلبه ، وما أنتم بعالمين من هذا شيئاً إلا علم أنه باطل[2] .

وفي الوليد يقول الله عز وجل :

« إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنْ هَـٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ »[3] .

وكفى بحالهم [هذا] شهيداً على عجزهم !

كانوا إذا جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بمعجزة ، قالوا : هذا سحر ، ونحن لا نعلم السحر ، فلما جاءهم بالقرآن قيل لهم :

---

(١) في ج : « بسحره » .

(٢) راجع الطبري ، جامع البيان ج ٢٩ ص ٩٩ ط بولاق (١٣٢٩ هـ) ابن كثير : السيرة النبوية ح ١ ص ٤٩٩ — ٥٠٥ .

(٣) المدثر ١٨ — ٢٤ .

كيف عجزكم بهذا ؟ لعلكم تقولون : إنا نعلم البلاغة ، والخطابة ، ولا يمكنكم التوقع بذلك[١] فأراد الله خزيهم كيفما انقلبوا .

وقد كانوا يعلمون أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يتعلم قط إلا ماتعلموا ولا صاحب إلا من صحبوا ، ولا فارقهم بمكة قط إلا بسفرة واحدة إلى الشام مشى معهم قدماً بقدم ، ولم يقم فيها إلا ما يقيم البائع لبضاعته ، مثل مايفعل المسافرون بالتجارة من بلد إلى بلد .

فقد استبان أن العرب لم تدفع قط فى إعجاز كتابه . فكيف[٢] يلتفت إلى مقال العجم الجهلاء[٣] الجاعلين مع الله إلهاً آخر ؟

ومن أعجب توقح أساقفتكم على الله نفيهم معجزات رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يثبتوا شيئاً منها إلا خبر أم معبد ، وخبر الذئب[٤] .

ثم قالوا :

لو نقل قومه غير هاتين لنقلناه أيضاً .

وهذا نوع من الوقاحة ، وباب [من] السفسطة كمثل ما روى عن [رجل من] المشعوذين [أنه] نام ليلة فى نور القمر[٥] فتصدع رأسه ، فقام ورفع عينيه نحو القمر ، وقال له :

---

(١) فى ج : « ولا يمكنهم التوسخ بذلك » .
(٢) فى ج : « وكيف » .
(٣) فى ج : « مثال العجم الدعى » .
(٤) فى ج ، ت « ولم يثبتوا شيئا منها وثم أثبتوا خبرأم معبد » .
(٥) فى ج : « قام ليلة الضوء القمر » ، وفى ت : « ليلة لنور القمر »

يا مصدع الرءوس ، ويا مكوب النفوس ، ويا مقرب الآجال ، ويا قاطع الآمال ، أية منفعة فيك ؟ أو لأى شيء تصلح ؟ تالله لا تصلح إلا لإصلاح القثا [ء] والقيقطين ، فلا كان القثا [ء] ولا اليقطين[1] .

فأراد هذا المشعوذ ـ حين أوجع رأسه القمر ـ [أن] يجحد منافعه المعلومة فى هذا العالم ، ثم أوجب له منها أضعف ما وجد ، ليوهم الجاهل أنه لو علم له فضيلة سوى ذلك لذكرها .

وإلى هذا النوع من التوقح والشعوذة ذهب مضلوكم ، حين أوجع محمد صلى الله عليه وسلم رءوسهم بمقامع الحق ، وقد علموا أنه[2] لم يعط الله نبياً آية إلا أعطى محمداً صلى الله عليه وسلم أعجب منها أو مثلها .

ولا محالة ، إن آية واحدة خارقة للعادة تدل على صدق نبوة من جاءت على يديه ، إذا دعا إلى الله [تعالى] ، إذ وقع الاتفاق على أن الله لا يريد بها كاذبا عليه .

ثم استرسل مضلوكم فى التوقح بأن قالوا : لم تذكر فى القرآن آية له ولا أخبار عن الغيب .

---

(١) القثاء ، الواحدة قثاءة : نوع من النبات ثمره يشبه ثمر الخيار . اليقطين الواحد يقطينة : مالا ساق له من النبات كالقثاء ، وغلب على القرع المستدير .
(٢) فى ج : « وقد سلموا أنهم » .

[بعض ما فى القرآن من المعجزات]

وأنا أذكر لك الآن بعض ما نص فيه ليتحقق كذبهم ، وتوقحهم على الله تعالى ، ولو لم أذكر من ذلك غير واحدة لكانت [مؤيدة](١) لكذبهم .

فمن ذلك [ما تناقله](٢) جميع أسلافنا [الذين عاصروا](٣) محمداً صلى الله عليه وسلم ، وقد سألته قريش آية ، فشق لهم القمر على نصفين(٤) ، حتى كان جبل أبى قبيس بين فلقتيه ، وقرأ عليهم [فى ذلك] قرآنا باقياً إلى إلى [الأبد(٥)] قوله :

« ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ . وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ . وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ »(٦) .

فوصف (الله) تعالى انشقاق القمر و [أثبت](٧) عليهم رؤيتهم ذلك بقوله :

« وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً » .

---

(١) فى ج ، ت : « مودنه » .

(٢) فى ج : « ما تنافلوا » باهمال التاء والنون .

(٣) فى ج ، ت : « أنهم عامنوا » .

(٤) راجع ابن كثير : شمائل الرسول ص ١٣٨ – ١٤٤ .

(٥) فى ج : « القدم » .

(٦) القمر ١ – ٣ .

(٧) فى ج ، ت : « ادعى » .

ووصف ، كيف نسبوا ذلك إلى [السحر][1] ، ووصف تكذيبهم إياه ، واتباعهم أهواءهم ، ثم قال :

« فَتَوَلَّ عَنْهُمْ » .

وانشقاق القمر[2] أعجب من انشقاق البحر ، وقدتعلم أن انشقاق البحر لموسى لم يكن شقاً يقطع فى معظم البحر من إحدى ضفتيه المحيطتين به إلى الأخرى ، وإنما كان قطع طريق من بحر القلزم إلى مفاز شور .

[بعض ماورد من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم]

وكذلك سقى محمد صلى الله عليه وسلم أصحابه فى غزوة تبوك ، وهم عشرة آلاف من الرجال[3] ومن معهم من غيرهم من قدح صغير ، قدر ما يشربه

---

(١) فى ج : « الحضر »

(٢) انظر ص ٢٥٦ – ٢٥٧

(٣) اختلف الرواة فى تحديد عدد من اشترك فى غزوة تبوك ، ويبدو أن نوعية الأحداث التى لابستها [الاستنفار فى الحر ، نشاط المنافقين فى تعويق الخروج ، تخلف عبد الله بن أبى سلول فيمن تخلف من المنافقين ، وأهل الريب ، سلوك المسلمين مع الثلاثة الذين خلفوا .. إلخ] شدت اهتمام المؤرخين ، مما جعل التنصيص على العدد أمراً ثانوياً ، بل لم تذكره بعض كتب السيرة المعتمدة – من أمثال الطبرى – إلا أن ابن كثير روى أن العدد كان أكثر من ثلاثين ألفا [انظر : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٤ ص ١١ ، الطبرى : التاريخ .. ج ٣ ص ١٠٠ – ١١١] .

إنسان ،فوضع يده عليه ونبع الماء من أصابعه كالعيون حتى شربوا(١) ، وفعل بهم مثل ذلك فى غزوة الحديبية وهم ألف وستمائة رجل(٢) .

---

(١) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر فى طريقه إلى تبوك بالحجر ، فمنع المسلمين من الشرب ، أو الوضوء من ماء بئرها ، فلما أصبح الناس — ولا ماء معهم — شكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا الله ،فأرسل الله سبحانه فأمطرت حتى ارتوى الناس ، واحتملوا حاجاتهم من الماء . وليس فى ذلك ما يدل على نبع الماء من أصابعه صلى الله عليه وسلم .

غير أن الطبرى يروى عن يزيد بن رومان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بتبوك بضع ليلة ، ولم يجاوزها ، ثم انصرف إلى المدينة ، فكان فى الطريق ماء يخرج من وشل ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة ، بواد يقال له وادى المشتق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه . قال فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه ، فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم ير فيه شيئاً ، فقال: من سبقنا إلى هذا الماء ؟ فقيل له : يا رسول الله ، فلان وفلان ، فقال أو لم ننههم أن يستقوا منه شيئاً حتى نأتيه ! ثم لعنهم رسول الله ، ودعا عليهم .

ثم نزل صلى الله عليه وسلم ، فوضع يده تحت الوشل [الوشل : حجر أو جبل يقطر منه الماء قليلا قليلا] فجعل يصب فى يده ما شاء الله أن يصب ثم نضحه به ومسحه بيده ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شاءالله أن يدعو فانخرق من الماء ، كما يقول من سمعه : أن له حساً كحس الصواعق ، فشرب الناس واستقوا حاجاتهم منه ... فلم ينبع الماء من أصابعه بالصورة التى يرويها أبو عبيدة فى النص فى هذه الحادثة [الطبرى تاريخ ١٠٠ — ١١١ ابن هشام ، القسم الثانى ص ٥٢٢ ، ابن كثير : السيرة النبوية ج ٤ ص ١٦] .

(٢) لم تذكر كتب السيرة أن عدد الرجال فى غزوة الحديبية ألفاً وستمائة ، بل تراوحت رواياتهم بين سبعمائة رجل وخمس عشرة مائة [قارن : ابن هشام ، القسم الثانى ص ٣٠٨ — ٣٠٩ ، ابن كثير : السيرة النبوية ج٣ ص ٣٢٥ — ٣٢٦، الطبرى : تاريخ ٠٠ ج ٢ ص ٦٢١] .

وانفجار الماء من اللحم أعجب من انفجاره من الحجر ، وأيضاً موسى حين فجر من الحجر قالت بنو إسرائيل :

لِمَ تخص ذلك الحجر بعينه ؟ وإنما نريد أن يكون هذا الآخر ، فأبى عليهم ذلك[1] .

ولم يخصص محمد صلى الله عليه وسلم قدحاً بعينه ، وإنما قال لهم : « ائتونى بقدح » ؛ فانطلقوا حتى وجدوا قدحا جاءوه به ، فوضع يده عليه وانفجر الماء منه .

ولسنا ننكر إعجاز ما جاء به موسى عليه السلام ، وغيره من الأنبياء ، بل نحن أولى بهم منكم ، وإنما أقول : إن من نسب شيئاً من آياتهم إلى السحر

---

(١) روى فى التوراة أن بنى إسرائيل ـ حين أصابهم العطش ولم يجدوا ماء ـ تذمروا على موسى وقالوا له :

« لِمَـاذَا أَصْعَدْتَنَا مِنْ مِصْرَ لِتُمِيتَنَا وَأَوْلاَدَنَا وَمَوَاشِيَنَـا بِالْعَطَشِ » .

[خروج ١٧ : ٣]

فأمره الله أن يضرب صخرة فى حوريب بالعصا التى ضرب بها البحر ، فانفجر منها الماء :

« وَعَصَاكَ الَّتِى ضَرَبْتَ بِهَا النَّهْرَ خُذْهَا فِى يَدِكَ وَاذْهَبْ . هَا أَنَا أَقِفُ أَمَامَكَ هُنَاكَ عَلَى الصَّخْرَةِ فِى حُورِيبَ فَتَضْرِبُ الصَّخْرَةَ فَيَخْرُجُ مِنْهَا مَاءٌ لِيَشْرَبَ الشَّعْبُ » .

[خروج ١٧ : ٥ ـ ٦]

ولم يذكر ما يشير الى اعتراض بنى إسرائيل عليه فى اختيار حجر معين كما ذهب إلى ذلك أبو عبيدة .

لزمته الحجة ، [وهى][1] أن اقتصار موسى على حجر بعينه أقرب إلى التهمة من استدعاء محمد قدحا من الأقداح غير مخصوص .

وأيضاً فإن فى التوراة أن السحرة فعلوا كل ما فعله[2] موسى بمصر[3] إلا البعوض فإنهم لم يقدروا عليها[4] .

واسترجع محمد صلى الله عليه وسلم [الشمس] ليدرك على ابن أبى طالب [الصلاة] فرجعت بمحضر أصحابه[5] ، «ويشوع بن نون» إنما استوقفها فوقفت وفى بعضكم كتبكم أن ، « يشوع » إنما استوقف ضياءها بعد ما غابت[6] .

وقبض محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر على تراب ورمى به وجوه الكفار من قريش[7] وقال :

---

(١) فى ج ، وت : « على أن . . . » .

(٢) فى ج : « كما » ، وفى ت : « كما فعل » .

(٣) راجع خروج : الإصحاح السابع والثامن .

(٤) خروج ٨ : ١٨ .

(٥) ذكر ابن كثير حديث رد الشمس ، ثم عقب على ذلك بقوله : وقد رواه الشيخ أبو الفرج بن الجوزى فى الموضوعات من طريق أبى عبدالله بن منده ، . . ومن طريق أبى جعفر العقيلى . حدثنا أحمد بن داود ، حدثنا عمار بن مطر ، حدثنا فضيل بن مرزوق فذكره .

ثم قال : وهذا حديث موضوع ، وقد اضطرب الرواة فيه . . . . وهذا تخليط فى الرواية .

قال : وأحمد بن داود ليس بشىء ، قال الدارقطنى : متروك كذاب .

[ابن كثير : شمائل الرسول ص ١٤٥]

(٦) انظر : يشوع ١٠ : ١٢ - ١٤ .

(٧) فى ج : « ورمى به أوجه قريش » وفى ت : « جيوش الكفار » .

« شاهت الوجوه »[١] .

فما منهم إلا من أصاب عينيه منه شيء ، فانهزموا وقرأ عليهم بذلك قرآناً باقياً :

« وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ »[٢] .

ثم ما عاينه جميع من حضر بدار ، مؤمنهم وكافرهم من قتال الملائكة معه حتى أن أبا داود المازنى رضى الله عنه قال :

«اتبعت مشركا يوم بدر ، لأقتله ، فسقط رأسه بين يدى قبل أن أضربه، فعلمت أن غيرى قتله » .

[ومن ذلك آية المطر والنعاس][٣] يقول الله تبارك وتعالى :

« إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَـٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ . إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟

---

(١) الطبرى : تاريخ . . . جـ ٢ ص ٤٤٩ .

(٢) الأنفال ١٧ .

(٣) فى ج ، ت : « وأمطرهم فيه مطراً أبدلهم الكثيب لأنهم كانوا معه اليوم ثلاثمائة رجل أكثرهم على أقدامهم ، وكان لإعدام ذلك المطر مالم يستطيعوا تسبيه أن يحصروا إلى العدوة القصوى وأجازه النبى وأصحابه ، ثم نزل عليهم النعاس فى ذلك فأزال عنهم الجزع لكثرة عدوهم حتى لقد وقع السيف من يد أحدهم من كثر ما غشيهم النعاس . والنعاس فى مثل هذا اليوم آية لأنه يوم يزول عن من كان به ، وفيما فعل من المعجزات يوم بدر من قتال الملائكة معه والمطر والنعاس » .

فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ . ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ »[1] .

وقوله تعالى :

« وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ . بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ »[2] .

ومن ذلك ما حدث فى السنة التى بعثه الله [فيها] من رمى السماء بالشهب، بما فيه عبرة[3] لمن عقل وقرأ عليهم قرآناً باقياً ، قوله تعالى :

« وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا . . . . . إلى آخر قوله تعالى : أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا[4] » .

وقد كان بعض العرب قصدوه يوماً ليؤذوه ، وهو يصلى إلى جانب الحرم ، وكانوا يسمعون قراءته ، ولا يرون شخصه[5] ، وقرأ بذلك قرآناً

(١) الأنفال ١١ – ١٣ .
(٢) آل عمران ١٢٣ – ١٢٥ .
(٣) فى ج : « غيره » .
(٤) الجن ٨ – ١٠ .
(٥) لم تكن هذه الحادثة من أسباب نزول الآية . بل ذكر العلماء أن المعنى بقوله تعالى : «وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سدا» أنه زين لهم سوء أعمالهم ، =

باقياً ، قوله تعالى :

« وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ »[١] .

ومن ذلك ما فعل بأبي جهل بن هشام [حين جلس][٢] بحجر ما يطيق حمله [يريد أن يهشم][٣] به رأسه ، إذا صلى والناس ينظرون إليه ، فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهمّ بإلقاء الحجر عليه ، رجع منهزماً ، ويداه يابستان على حجره ، لايقدر على إلقائه عنهما حتى أنقذته قريش من يده ، وسألوه عن خبره فقال :

« قمت لأفعل ماقلت لكم ، فلما قربت منه عرض لي دونه فحل من الإبل ، لا والله مارأيت مثل هامته ، ولاقفرته ، ولا أنيابه بفحل قط ، فهمّ أن يأكلني » . فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

« ذلك جبريل لو دنا منه لأخذه »[٤] وقرأ بذلك قرآناً باقياً قوله تعالى:

= فهم يعمهون ولا يبصرون رشدا ولايتنبهون حقا ، وروى عن مجاهد في قوله : « ومن بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا » قال : عن الحق فهم يترد دون ، وقال ابن زيد : جعل الله سداً بينهم وبين الاسلام والإيمان فهم لا يخلصون إليه . [الطبرى : جامع البيان ج ٢٢ ص ٩٩] .

(١) يس ٩ .

(٢) في ج : « ليجلس » ، وفي ت : « ليجيئن بحجر ما يطيقون حمله ليفضخ به رأسه إذا صلى » .

(٣) في ج : « نصح به » . بدون نقط .

(٤) ابن كثير : السيرة النبوية ج ١ ص ٤٦٥ .

« أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ . عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ . أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰ . أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ . أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ . أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ »[١] .

وكلمته عليه السلام ذراع مسمومة[٢] .

ولما [هاجر لشدة قومه][٣] دخل الغار مع صاحبه فنسجت على بابه العنكبوت ، وفرخت القطاة[٤] ، [وأتى][٥] قومه ، وهموا [بدخول] الغار ، فقال أحدهم :

« لو دخله لخرق هذا النسيج ، ونفرت هذه القطاة » .

وقال له صاحبه :

« لوأن أحدهم ينظر ماتحت قدميه لأبصرنا » .

قال له :

« يا أبا بكر (ماظنك باثنين الله ثالثهما)[٦] .

وأصاب أصحابه جوع فى غزوهم فسأل أبا هريرة ، فذكر تمرات فى مزوده

---

(١) العلق ٩ - ١٤ .
(٢) ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ١٩٥ - ٤٠١ .
(٣) فى ج :« ولما فر من قومه من شدتهم عليه » ، وفى ت . « خرج من قومه » .
(٤) القطاة تجمع على : قطا وقطوات ، طائر فى حجم الحمام ضرب بها المثل فى الاهتداء فيقال « أهدى من القطا » .
(٥) فى ج ، وت : « ولحق قومه ، وتهموا الغار » .
(٦) راجع ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

ثم استخرجها إحدى وعشرين تمرة ، فصفها صلى الله عليه وسلم فى ردائه يقول فى كل واحدة منها[١] « بسم الله وبركته » ثم دعا فى العسكر إلى الغذاء ، وهم زهاء ثلاثة آلاف ، فأكلوا حتى شبعوا ، ورفع الرداء والتمر يتساقط منه ، وقال لأبى هريرة :

« أعده إلى مزودك » .

يقول أبو هريرة :

« فوالذى نفسى بيده ! لقد جهزت منه ستين وسقاً فى سبيل الله وأصبت باقية حتى يوم الحرة »[٢] .

وأطعم أيضاً يوم الخندق [جنده] ـ وهم ثلاثة آلاف ـ من تمرات ماملأت كفه ، جاءت بها أم عمرو بنت رواحة ، فدعا بها وصفها فى ردائه ، فأكل الناس ، وضم رداءه على أكثر مما أخذ منها[٣] .

وأطعم أيضاً يوم الخندق [جمعاً كبيراً] فى بيت جابر بن عبد الله من قصعة فيهـــا ثريد شعير وعنز حتى شبعوا ، ثم بقى لجابر بن عبد الله ما كفى أهله[٤] .

ورد عين قتادة بن النعمان الأنصارى يوم أحد بعد ما فقئت ، فكانت أحسن عينيه ، وكانت الأخرى تمرض، ولا تمرض هى، فلقب قتادة العينى[٥] .

---

(١) فى ج ، وت : « فى كل واحد منهن »
(٢) ابن كثير : شمائل الرسول ٢٢١ ـ ٢٢٣ .
(٣) راجع ابن هشام جـ ٢ ص ١٥٨ .
(٤) المصدر السابق جـ٢ ص ١٥٨ .
(٥) ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٣ ص ٦٦ ، البداية والنهاية جـ ٣ ص ٢٩١ .

[ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء فشكى إليه][(١)] فأخذ سهما من كنانته، وأعطاه البراء بن عازب، وأمره بالهبوط فيهـــا وأن يغرز السهم فى ثغرها، [فثار ماؤها] حتى لم يدركوا لها قعراً[(٢)].

إلى غير ذلك من المعجزات التى لا تحصى كإنطاق العجماء[(٣)] وما سبح فى كفه من الحصباء[(٤)]، وإمطاره الماء من السماء[(٥)]، والريح المرسلة إلى أعدائه ليلا بالخندق، وقرأ بذلك قرآنا باقيا، قوله تعالى:

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا » الآية[(٦)].

وكثير من معجزاته المنقولات على لسان صلحاء أمته على قرب العهد وكثرة الناقلين، ولو أنى قصدت أن أسمى آياته كلها، لضخم [هذا الكتاب وطال عليك قراءة هذا الباب][(٧)] وإنما [ذكرت][(٨)] بعضها لتقف على

(١) فى ج: « وهو من دواء البحر وشكى إليه فى غزوة الحديبية بعد رمانه هاو . . » ، وفى ت: « وشكى اليه فى غزوة الحديبية غور ماء بها ».

(٢) انظر ابن كثير: السيرة النبوية حـ ٣ ص ١٤ — ١٥، الطبرى: تاريخ . . جـ ٢ ص ٦٢٤

(٣) راجع ابن كثير . شمائل الرسول ص ٢٨٢ وما بعدها .

(٤) المصدر السابق ٢٥٢ — ١٥٨ .

(٥) حدث بعد صلاة الاستسقاء .

(٦) الأحزاب ٩ .

(٧) فى ج: « يضخم ديوان ذلك » ، وفى ت: « لعظم ديوان ذلك » .

(٨) فى ج، وت: « أذكر » .

كذب أساقفتكم وتوقحهم[١] على الله تعـــالى فيما هو للعيون أوضح من الشمس .

[بعض ما في القرآن من الأخبار بالغيب]

وأما مافى القرآن من أخباره عما يكون ، فقوله تعالى :

« الٓمٓ . غُلِبَتِ ٱلرُّومُ . فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ . بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ . وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ »[٢] .

فهلا علم الله تعالى أنه إن أنجز له هذا الوعد يكون سبباً لاتباع الناس له !

وإذ سمعه يتقول عليه مثل هذا ـ كما تزعم ـ [ألا] يكبه فى إخلاف وعـــده .

فما كانت أيها المغرور إلا بضع سنين ، وغلبت الروم ملك الفرس بالبحرين وتملكوا أكثرهم[٣] . والبضع من العدد مادون العشرة .

وقوله تعالى :

« لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ . . » الآية إلى

---

(١) فى خ ، وت « وتوقحكم » .
(٢) الروم ١ ـ ٦ .
(٣) ويلز : موجز تاريخ العالم ص ١٩٥ ، الطبرى : جامع البيان ج ٢١ ص ١٢

قوله « فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا[1] » وقوله : « وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا »[2] .

[فصدق وعده ، فدخلوا] مكة والبيت .

كما وعده الصالحات والفتح القريب [وهو] دخول خيبر قبل ذلك بقليل في قوله تعالى :

« وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا[3] » .

وقوله تعالى :

« وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ »[4] الآية .

ولا يجوز أن يقول رئيس قوم لقوم : وعدتكم بهذا وهو لم يعد .

وقوله تعالى :

« سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ »[5] .

---

(١) الفتح ٢٧ .
(٢) الفتح ١٩ .
(٣) النور ٥٥ .
(٤) الأنفال : ٧ .
(٥) فصلت : ٥٣ .

فقوله : « فى الآفاق » يعنى [فتح] الأمصار .

وفى أنفسهم : فتح مكة .

وقوله تعالى :

« لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ »(١)

وقوله تعالى :

« وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا »(٢) .

يعنى مايستقبلون من فتح الأمصار .

وقوله تعالى :

« وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا »(٣) يعنى أرض الفرس .

وقوله تعالى عن اليهود :

« لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ »(٤) .

[فلما قاتلوه حقيقة ولوا الأدبار](٥) .

---

(١) التوبة : ٣٣ ، الصف : ٩ .
(٢) الفتح ٢١ .
(٣) الأحزاب ٢٧
(٤) آل عمران ١١١
(٥) من ع .

وقوله تعالى :

« وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً »[١] .

فلما هاجروا أنزلهم المدينة ، وفتح عليهم ما لا يخفى .

وقوله تعالى :

« فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ[٢] » .

وقوله تعالى :

« قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ[٣] » .

وقوله تعالى :

« سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا[٤] » .

وقوله تعالى :

« سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ »[٥] .

---

(١) النحل ٤١
(٢) الأنفال ٣٦
(٣) آل عمران ١٢
(٤) الفتح ١١
(٥) الفتح ١٥

وقوله تعالى :

« سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ »[١] .

وقوله تعالى :

« إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ »[٢]

[إلى آخر] السورة .

وقوله تعالى فى القرآن مثل هذا كثير . وفيما نقله السلف الصالح من أهل ملتنا فى كتبهم ما لا يحصى ، ولا يدفعه[٣] إلا مجادل أو كافر ولو [لا] أنى [أخشى أن] أخرج عن غرض هذه الرسالة لتماديت على ذكر ذلك ، وليس فى ذكر ما قدمت من المعجزات والمغيبات خروج عن الغرض لأنه يبين خلاف ما ذهب إليه مضلوكم ، وما افتروه[٤] على الله وعلى رسوله .

وإذ قد بينت[٥] ذلك فلتعلم أن من الأنبياء الذين أنتم بهم مؤمنون [من لم تكن له] آية كداود [عليه السلام] ، [إذ] لم يذكر له فى الزبور آية ، وكحزقيال [الذى] نص عندكم [عنه] أنه اجتمع [إليه نفر] يسألونه معجزة فقال :

---

(١) القمر ٤٥

(٢) النصر ١ – ٣

(٣) فى ج : « ولا يدفع » ، وفى ت : « ولا يدفع فيه » .

(٤) فى ج : « نظركم الذين أنتم به مؤمنون وما اقترفتموه » .

(٥) فى ج : « يثبت » .

« إن الرب يقول : أقسم قسما باسمى أنى أنا الحى . وأنى لا أجد جواباً عما تريدون »[(١)] .

وكذلك اجتمعت قريش إلى محمد صلى الله عليه وسلم وسألوه انشقاق القمر[(٢)] فكان ذلك ، فلما عاينوه تولوا عنه وعتوا [عليه] .

---

(١) ذكر حزقيال :

« أَنَّ أُنَاسًا مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ جَاءُوا لِيَسْأَلُوا ٱلرَّبَّ فَجَلَسُوا أَمَامِي . فَكَانَ إِلَيَّ كَلَامُ ٱلرَّبِّ قَائِلاً يَا ٱبْنَ آدَمَ كَلِّمْ شُيُوخَ إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ : هٰكَذَا قَالَ ٱلسَّيِّدُ ٱلرَّبُّ هَلْ أَنْتُمْ آتُونَ لِتَسْأَلُونِي . حَيٌّ أَنَا لَا أُسْأَلُ مِنْكُمْ يَقُولُ ٱلسَّيِّدُ ٱلرَّبُّ . هَلْ تَدِينَ يَا ٱبْنَ آدَمَ . عَرِّفْهُمْ رَجَاسَاتِ آبَائِهِمْ وَقُلْ لَهُمْ ... » [حزقيال ٢٠ : ١-٥]

(٢) أجمعت كتب التراث الاسلامى على أن آية انشقاق القمر وقعت فعلا تصديقا لمحمد صلى الله عليه وسلم [راجع أخبارها عند ابن كثير : شمائل الرسول ص ١٣٨ — ١٤٤ ، والبداية والنهاية جـ ٣ ص ١١٨ – ١٢٢ ، وغيرهما من كتب التفسير ، والحديث والسيرة النبوية] غير أن بعض المفكرين المحدثين يشكون فى هذه وهم فريقان : أحدهما يتحذ هذا الشك طريقا للطعن فى القرآن الكريم وهم المستشرقون .
أما الآخر فيرى أن انشقاق القمر سيأتى فى آخر الزمان ، والتعبير عنه بالماضى لبيان تأكيد وقوعه ، كما فى قوله تعالى : « أتى أمر الله » فان المراد» يأتى أمر الله.

وتؤيد نتائج أبحاث علم الفلك هذا الرأى ، فلقد توصل العلماء ، خلال أبحاثهم ، إلى أنه لابد فى المستقبل القريب — وطبقا لقانون دوران الأجرام السماوية — أن يقترب القمر من الأرض ، حتى ينشق من شدة الجاذبية وتتناثر أجزاؤه فى الفضاء [«Man does not Stand Alone P. 24 »] وسوف تحدث عملية انشقاق القمر هذه بناء على نفس القانون الذى يحكم المد والجزر فى البحار ، فالقمر هو أقرب جيراننا فى الفضاء ، ولا يبعد عن الأرض غير ٢٤٠٠٠٠ ميلا ، وهذا القرب يؤثر على البحار مرتين يوميا ، حيث ترتفع

ثم اجتمعوا إليه بعد مدة ، فسألوه أن يأتى إليهم بالله والملائكة قبيلا[١].
وسألوه أن يرد لهم أجدادهم الماضين[٢] ، ويكون فيهم قصى بن كلاب ليسألوه أحق [ما] أتى به أم لا ؟

وطلبوا منه أن يزحزح عنهم جبال مكة ، ويفجر لهم فى بطائحها أنهارا ، وسألوه أن يسقط عليهم من السماء كسفا . وأن يكون له بيت من زخرف . ويرق فى السماء ، ويأتيهم بكتاب مع ملائكة يشهدون ، وهذا كله منصوص فى السورة السابعة عشر من القرآن ، فقال تعالى :

= فيها أحيانا أمواج يبلغ طولها ستين مترا ، وأما تأثير هذه الجاذبية على سطح الأرض فيبلغ عدة بوصات ! !

إن المسافة الفاصلة بين الأرض والقمر مناسبة تماما لصالح أهل الأرض . ولو نقص هذا الفاصل إلى خمسين ألفا من الأميال — على سبيل المثال — فسوف يحدث طوفان شديد فى البحار ، وسوف تغطى أمواجها أكثر مناطق الأرض المأهولة ، وسوف يغرق كل شىء ، حتى لتتحطم الجبال من شدة تموج البحار وسوف تحدث شقوق مروعة على سطح الأرض من وطأة الجاذبية!!

ويرى علماء الفلك أيضا أن الأرض قد مرت بكل هذه الأدوار أثناء عملية التكوين ، حتى وصلت إلى بعدها الحالى من القمر ، بناء على قانون الفلك ، وهذا القانون هو نفسه سوف يأتى بالقمر قريبا من الأرض مرة أخرى . . . .
ويرون أن من المتوقع حدوث هذا قبل بليون سنة [هذا مجرد تعبير عن الإمكان العلمى ، وحدوده ، الزمنية . وليس ببعيد أن تقع هذه الظاهرة فى وقت أقل مما حدده الفلكيون وكلامهم لا ينفى هذا] وعندئذ سوف ينشق القمر ، وسوف يتناثر حول فضاء الأرض فى صورة حلقة .

أليست هذه النظرية من أعظم موافقات العلم لتلك النبوءة الواردة فى القرآن الكريم حول انشقاق القمر ، حين تقترب القيامة ؟ [خان ص ١٤٦ — ١٤٧]

(١) ابن كثير : السيرة النبوية ج ١ ص ٤٨٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٨٠

« قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً »(١) .

وقال تعالى :

« وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَـٰتِ » يعنى هذه الآيات التى طلبو [ها] منه ، ثم قال « إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ » يشير إلى تكذيبهم بانشقاق القمر قبل ذلك ، وتكذيب الأنبياء من قوله .

ثم ذكر ناقة صالح وقال فى آخر الآية :

« وَمَا نُرْسِلُ بِالْأَيَـٰتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا »(٢) .

[فجعل إرسال الآية تخويفاً](٣) ثم قال فى آخر الآية [التالية] :

« وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا »(٤)

فقال : « ونخوفهم » [أن] نرسل إليهم بالآيات فيكفرون .

وقال تعالى :

« وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ . وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ » .(٥)

---

(١) الإسراء ٩٣ .
(٢) الاسراء ٥٩ .
(٣) من ع .
(٤) الاسراء ٦٠ .
(٥) الأنعام ١٠٩ — ١١٠ .

فأخبر تعالى أنه لو أرسل هذه الآية التى طلبوها لعتوا وتمادوا على كفرهم [كما فعلو](1) فى انشقاق القمر وغيره .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم عن المسيح أن اليهود أتوه [يسألونه معجزة] فقد فهم وقال : إن القبيلة الخبيثة القاصرة تطاب آية ولا تعطى ذلك(2) .

وفيه أيضاً : أنه مر بسمعان الصياد، وأخيه وهما يصيدان السمك فقال : « اتبعانى أجعلكما تصيدان الناس » فتبعاه بلا آية (3) .

ومن أعجب الأشياء أنكم تؤمنون بنبوة مريم وحنة(4) وهما امرأتان بلا كتاب ولا معجزة ، ولا ذكر [تا] فى صحف الأنبياء ، وتكفرون بسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، وله كتاب يعجز الإنس والجن ، ومعجزات ليست لنبى قبله ، وبشارات (5) فى كتب الأنبياء عليهم السلام .

---

(١) من ع .

(٢) قارن : مق١٣ : ٣٨ — ٣٩ ، لوقا ١١ : ٢٩ .

(٣) انظر : مق ٤ : ١٨ — ٢٠ .

(٤) قرر مجمع أفسوس (٤٣١) أن مريم أم للاله ، ولذا فهى بريئة من الخطيئة الموروثة ، وكذا من كل الخطايا الشخصية . رفعها الله — بالجسد — إلى السماء ، وأعطاها حق الشفاعة ، وفضلها على جميع أوليائه وأصفيائه .

ويرى علماء الكنيسة البروتستانتية أن أدلة الكنيسة الكاثوليكية على ذلك ليست إلا أساطير ، ولذا فهم ينظرون إليها نظرة إجلال واحترام فقط على اعتبار أنها أم عيسى عليه السلام ولدته ولادة خارقة للمادة .

[انظر Nölle, Artkel Maria]

أما حنة فقد وصفها الإنجيل بأنها نبية . [قارن لوقا ٢ : ٣٦ — ٣٨] .

(٥) فى ج : « وذكر بشارات » .

[بعض ما ورد فى التوراة والإنجيل من التبشير به]

(صلى الله عليه وسلم)

فأما إنكار مضلوكم ذكره فى الكتب قبله، وبشارات الأنبياء به، فجريا بذلك على سبيلهم فى الغواية والتوقح على الله تعالى.

وأنا أذكر لك ما يبين كذبهم مما هو بين أيديكم فى الإنجيل والتوراة والزبور، والنبوات، وأورد ذلك على نحو ما قصدت إليه من الإيجاز، والاكتفاء بالقليل، إذ به يستبين كذب أساقفة التضليل، والحمد لله على ما منحنا من هدايته.

فمن ذلك فى المصحف الخامس من التوراة الذى بأيديكم إلى اليوم قال الله لموسى بن عمران:

« إنى أقيم لبنى إسرائيل من إخوتهم نبيا مثلك، أجعل كلامى على فيه، فمن عصاه انتقمت منه[1] ».

فإن قلت: إن ذلك هو يشوع بن نون. [فماذا تقول فيما ذكر] بعدُ [فى التوراة]؟ قال الله فى آخر التوراة، أنه لا يخلف من بنى إسرائيل نبياً مثل موسى[2].

---

(١) والنص فى التوراة هو:

« أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ وَأَجْعَلُ كَلَامِي فِي فَمِهِ فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ. وَيَكُونُ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي لَا يَسْمَعُ لِكَلَامِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أُطَالِبُهُ ».

[تثنية ١٨ : ١٨ — ١٩]

(٢) قارن التثنية ٣٤ : ١٠

فلا محالة أن الذى بشرت به التوراة لا يكون من بنى إسرائيل ، لكن من إخوة بنى إسرائيل ، ولا محالة أنهم العرب والروم ، فأما الروم فلم يكن منهم نبى سوى أيوب ، وكان قبل موسى بزمان[1] ، فلا يجوز أن يكون هو الذى بشرت به التوراة ، فلم يبق إلا العرب ، فهو إذاً محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد قال الله فى التوراة ، حين ذكر إسماعيل جد العرب ، أنه يضع فسطاطه فى وسط بلاد إخوته[2] . فكنى عن بنى إسرائيل بإخوة إسماعيل ، كما كنى عن العرب بإخوة بنى إسرائيل فى قوله :

« سَأُقِيمُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ » .

وقد ناظرنى يوما أحد رهبان اليهود ، وأهل الذكاء منهم فى هذا فقال :

« هذا كله صحيح لا أجد اعتراضا عليه ، غير أنه قال : سأقيم لبنى إسرائيل ، ولم يكن محمد [رسولا] إلا إلى العرب .

---

(١) لم يكن أيوب من الروم ، وإنما كان عربيا ، ظهر قبل موسى ، وكان يسكن أرض (عوص) فى شرقى فلسطين أوحوران .

وهو عند مؤرخى العرب من بنى إبراهيم الخليل ، بينهما خمسة آباء .

وعند بعض شراح التوراة قبل إبراهيم وترجح دائرة معارف البستانى الرأى القائل بأنه قبل ابراهيم بأكثر من مائة سنة .

غير أن الطبرى ذكر فى رواية عن وهب بن منبه أنه كان من الروم وذكر نسبه على أنه من ولد ابراهيم وهذا تضارب فابراهيم لم يكن من الروم .

(٢) نص ماجاء فى التوراة الموجودة بين أيدينا :

« وَأَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ » . [تكوين ١٦ : ١٢]

فقلت له :

ما على الأرض أحد يجهل[1] أن محمدا صلى الله عليه وسلم قال :

« بعثت إلى الأبيض والأسود ، والعبد والحر ، والذكر والأنثى »[2] .

وهذا كتابه ينطق [بالحق] أنه مبعوث إلى الخلق كافة ، فلو أمكنك أن تقول :

« [أنه] ادعى أنه مبعوث إلى العرب خاصة ، لكانت لك حجة » فقال :

« لا يمكنني - ولا غيري - دفع ذلك ، وبذلك أخبرنا أسلافنا من اليهود عنه أنه قال :

« بعثت إلى الخلق كافة »[3] .

إلا فرقة من فرق اليهود يقال [لها] العيسوية[4] تقول بنبوته ومعجزاته ،

---

(١) فى ج : « يجهل هذا أن محمدا . . . » وفى ت : « ما على الارض من يجهل . . . »

(٢) نص الحديث : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ، كان كل نبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود . . . » [الهيثمى : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد جـ ٨ ص ٢٥٨ — ٢٥٩] ، ولم أعثر فى كتب الحديث على ما ورد فى النص : « والعبد والحر ، والذكر والأنثى . »

(٣) لم ترد كلمة « الخلق » فى الحديث ، بل « الناس » : بعثت الى الناس كافة . [ابن حجر : فتح البارى جـ ٢ ص ٧٩]

(٤) انظر الشهرستانى جـ ١ ص ٢١٥ — ٢١٦ .

وتنكر أنه بعث إلى غير العرب، ولسنا على شيء مما هم عليه . ثم عطف على يهودى [كان][1] بجنبه وقال له :

نحن قد جرى نشؤنا على اليهودية ، وبالله ما أدرى ! كيف نتخلص من هذا العربى ؟ [وغاية ما أقول] أن أقل ما يجب علينا أن نأخذ به أنفسنا [هو] النهى عن ذكره بسوء .

وفى التوراة :

« جَاءَ ٱلرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ ، وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ ، وَتَلَألأَ مِنْ جَبَلِ[2] فَارَانَ ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ »[3] .

فمجيئه من جبل سيناء أن الله أنزل فيه التوراة ، وكلَّم عليه موسى .

وإشراقه من جبال سعير ، [أن دين عيسى ابن مريم إنما أشرق من جبال سعير)[4] وهى جبال الروم من أدوم[5] .

---

(١) فى ج ، ت : « يهودى إلى جانبه » .

(٢) فى ج ، وت : « واستعلى من جبال »

(٣) قارن : تثنية ٣٣ : ٢

(٤) من ع

(٥) أدوم : لفظة عبرانية ، معناها أحمر ، وهى اسم لعيسو الابن البكر لإسحاق . دعيت البلاد التى أعطاها الله له بأرض أدوم نسبة إليه ، وكانت تسمى قبلا بجبل سعير ، وذلك نسبة الى سعير جد الحوريين .

واستعلاؤه من جبال فاران ، أن الله بعث محمداً منها ، وأوحى إليه فيها ، ولا اختلاف أن فاران هى مكة[(١)] .

وقال فى التوراة :

« إن الله أسكن هاجر وابنها إسماعيل فاران »[(٢)] .

وفى التوراة التى بأيديكم أن الله قال لإبراهيم حين دعاه فى ابنه إسماعيل :

قد أجبتك فى إسماعيل ، وباركت عليه وكثرته ، وعظمته جداً جداً[(٣)] . وقال : « أجعله أمة عظيمة »[(٤)] يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال فى التوراة أيضاً لهاجر أم إسماعيل حين دعته :

« قد سمعت خشوعك فى إسماعيل ، وستكون يديه فوق يد الجميع ، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع »[(٥)] .

---

(١) فاران : كلمة عبرانية معربة ، وهى من أسماء مكة ، وقيل : هو اسم لجبال مكة .

(٢) تكوين ٢١ : ٢١

(٣) قارن تـكوين ١٧ : ٢٠

(٤) قال الله لابراهيم : « وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً » [تـكوين ١٧ : ٢٠] ولهاجر : « ..... لِأَنِّى سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً » . [تـكوين ٢١ : ١٨]

(٥) قارن تكوين ١٦ : ١٢ .

ولا محالة أن إسماعيل وولده لم تكن أيديهم إلا تحت يد إسحاق ، لأن النبوة كانت فى ولد إسحاق ، فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ، جعل يد بنى إسماعيل فوق يد الجميع ، وردّ النبوة فيهم ، وأنماهم ، وعظّمهم ، وبارك عليهم جداً جداً كما قال فى التوراة .

وقال أيضاً فيها :

أقبل السيد من سيناء ، وترا [ءى] لنا ، وأقبل من جبال فاران ، ومعه آلاف من الصالحين ، ومعه كتاب نارى ، وهو ختم الأجناس ، وهو [و] جميع الصالحين فى قبضته ومن تدانى من قدميه ، يصيب من علمه[1].

فاعتبر قوله ، واطرح الهوى ، تصب إن شاء الله .

وفى الزبور الذى بأيديكم :

« سبحوا الرب تسبيحا حديثا . سبحوا الذى هيكله الصالحون ، ليفرح إسرائيل بخالقه . وبنات صهيون من أجل أن [الله] اصطفى لهم أمة ، وأعطاهم النصر [وأيد] الصالحين منهم بالكرامة ، يسبحون الله على مضاجعهم ، ويكبرونه بأصوات مرتفعة ، بأيديهم سيوف ذوات شفرتين لينتقم الله [بهم] من الأمم الذين لا يعبدونه ، يوثقون ملوكهم بالقيود ، وأشرافهم [بالأغلال][2].

أخبرنى !

من [هذه] الأمة التى سيوفها ذوات شفرتين ينتقم الله بهم من الأمم الذين لا يعبدونه ؟ .

---

(١) قارن تثنية ٣٣ : ٢ — ٣ .

(٢) قارن مزمور ١٤٩ .

ومن المبعوث بالسيف من الأنبياء ؟

ومن الذين يكبرون الله بأصوات مرتفعة فى الآذان ؟

وفى الزبور الذى بأيديكم أيضاً فى صفة محمد صلى الله عليه وسلم :

« ويجوز من البحر إلى البحر ، ومن منقطع الأنهار إلى منقطع الأنهار ، وأنه يخر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم ، ويجلس أعداؤه بالتراب ، ويأتيه ملوك بالقرابين ، وتسجد له ، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد ، لأنه يخلص [المظلوم من الظالم] وينقذ الضعيف الذى لا ناصر له ، ويرأف بالضعفاء والمساكين ، ويدوم أمره إلى آخر الزمان »(١).

وفى الزبور :

« أن الله أظهر من صهيون إكليلا محموداً »(٢).

فالإكليل : ضرب مثل للرياسة . ومحمود : هو محمد عليه السلام .

وفى الزبور :

« تقلد أيها الجبار السيف ، فإن ناموسك ، وشرائعك مقرونة بيمينك ، وسهامك مسنونة ، والأمم يخرون تحتك »(٣).

وفى الزبور :

« يقول الله تعالى لداود عليه السلام : سيولد لك ولداً أدعى له أباً ،

---

(١) قارن مزمور ٧٢ : ٨ — ١٥

(٢) قارن : المزمور ١٣٢ : ١٨ ، والمزمور ١٣٣ : ١ — ٣ .

(٣) قارن مزمور ٤٥ : ٣ — ٥

ويدعى لى ابنا ، فقال داود : اللهم ابعث جاعل السنة ، كى يعلم [الناس] أنه بشر »[1] .

اعتبر قول داود ، حين أفزعه ذلك وراعه ، [فـ] دعا إلى الله أن يبعث جاعل السنة ، كى يعلم الناس أن ذلك الولد إنما هو بشر !

وكذلك لما ضللتم فى عيسى ابن مريم [عليه السلام] فدعوتم الله أبا له ، ودعوتموه ابنا لله ، بعث الله جاعل السنة ، وكاشف الغمة ، الذى أعلم الناس أنه بشر ، ليس بإلـه .

وكذلك قال المسيح فى الإنجيل الذى بأيديكم :

« اللهم ابعث الفارقليط ليعلم الناس أن [ابن] الإنسان بشر »[2] .

وقال أيضاً فى الإنجيل الذى بأيديكم عن يوحنا :

« الفار قليط لا يجيئكم مالم أذهب ، فإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ، ولا يقول من تلقاء نفسه شيئا ، ولـكنه مما يسمع يكلمكم ، ويسوسكم بالحق ، ويخبركم بالحوادث والغيوب . . إلى أن قال عنه : وسيعظنى »[3] .

---

(١) لم يرد هذا النص فى الزبور ، ولـكنى عثرت على نص فى المزمور ٨٩ يقول إن الله سيعين داود ويقويه بسحق أعدائه وضرب مبغضيه ، وأن داود يدعوه أبا :

« هُوَ [أى داود] يَدْعُونِى أَبِى أَنْتَ إِلَهِى وَصَخْرَةُ خلاَصِى . . . . » ، [٢٧] وهو مخالف لمفهوم النص الذى استشهد به أبو عبيدة .

(٢) قارن يوحنا ١٥ : ٢٦ – ٢٧

(٣) قارن يوحنا ١٦ : ٧ – ١٥ .

وذكر كيف يقهر أصحاب الدنيا ، وتمادى على وصفه بكلام [جيد] وقال :

« هو يشهد لى كما شهدت له ، وأنا أجيئكم بالأمثال ، وهو يأتيكم بالتأويل » .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم أيضا عن يوحنا أن المسيح قال للحواريين :

« الذى يبغضنى يبغض أبى أيضاً ، لولم أكن قد عملت بينهم أعمالا لم يعملها غيرى لم تكن لهم خطية ، وأما الآن فقد رأوا وأبغضونى أنا وأبى ، لكن لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم أنهم أبغضونى بلاسبب .

« ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معى من الابتداء »[1] .

فقال المَنْحَمَّنا بلسان السريانية ، وتفسيره بالرومية . الفارقليط ، وهو بالعربية محمد صلى الله عليه وسلم[2] .

---

(١) قارن يوحنا ١٥ : ٢٣ – ٢٧ .

(٢) ذكر رحمة الله الهندى أنه وقعت فى يده رسالة باللغة الأردية طبعت فى كلكته فى سنه ألف ومائتين وثمان وستين من الهجرة ، وكانت فى تحقيق لفظ فارقليط ، ادعى مؤلفها أن مقصوده أن ينبه المسلمين على سبب وقوعهم فى الغلط من لفظ فارقليط وكان ماخص كلامه أن هذا اللفظ معرب من اللفظ اليونانى ، فإن قلنا (أن هذا اللفظ اليونانى الأصل : « باركلى طوس » فيكون بمعنى المعزى والمعين والوكيل ، وإن قلنا إن اللفظ الاصل « بيركلوطوس » ، يكون قريبا من معنى محمد وأحمد ، فمن استدل من علماء الاسلام بهذه البشارة =

وفى الإنجيل الذى بأيديكم أنه قال لليهود :

« وَتَقُولُونَ لَوْ كُنَّا فِي أَيَّامِ آبَائِنَا لَمَا شَارَكْنَاهُمْ فِي دَمِ الْأَنْبِيَاءِ . فَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاءُ قَتَلَةِ الْأَنْبِيَاءِ فَامْلَأُوا أَنْتُمْ مِكْيَالَ آبَائِكُمْ . أَيُّهَا الْحَيَّاتُ . أَوْلَادَ الْأَفَاعِي . كَيْفَ تَهْرُبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ . لِذَلِكَ هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَكَتَبَةً فَمِنْهُمْ تَقْتُلُونَ ، وَتَصْلِبُونَ ، وَمِنْهُمْ تَجْلِدُونَ فِي مَجَامِعِكُمْ ، وَتَطْرُدُونَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ ، لِكَيْ يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمٍ زَكِيٍّ سُفِكَ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ دَمِ هَابِيلَ الصِّدِّيقِ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ بَيْنَ الْهَيْكَلِ وَالْمَذْبَحِ ، الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ هَذَا كُلَّهُ يَأْتِي عَلَى هَذَا الْجِيلِ .

« يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ يَاقَاتِلَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ ، إِلَيْهَا كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلَادَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا وَلَمْ تُرِيدُوا ، هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَاباً ، لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَا تَرَوْنَنِي مِنَ الْآنَ حَتَّى تَقُولُوا مُبَارَكٌ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ »[1] .

= فهم أن اللفظ الأصل بيركلوطوس ومعناه قريب من معنى محمد وأحمد ، فادعى أن عيسى عليه السلام أخبر بمحمد أوأحمد لكن الصحيح أنه « بار كلى طوس ») انتهى ملخصا من كلامه .

فأقول ـ أى رحمة الله ـ أن التفاوت بين اللفظين يسير جداً وأن الحروف اليونانية كانت متشابهة ، فتبدل « بيركلوطوس » « بياركلى طوس » فى بعض النسخ قريب القياس ، ثم رجح أهل التثليث المنكرين هذه النسخة على الأخرى
[رحمه الله : إظهار الحق جـ ٢ ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠]

(١) مق ٢٣ : ٣٣ ـ ٣٩

فاعتبر قوله هذا ، وبشارته بمحمد صلى الله عليه وسلم المنتقم بعده لدماء المسلمين . وقوله : « أرسل إليكم نبياً » . وهذا تحريف منكم [لأنه] قال « سيبعث الله أنبياء » ، وقد قدمنا أنه لم ينزل نفسه إلا بمنزلة بشر ، لا إله .

ويقولون : « إنه لانبي بعد يحيى » [بينما] فى الإنجيل الذى بأيديكم :

« إنما النبوة والكتاب إلى يحيى ، ومن بعده ، يبشر بملك الله[1] ويؤخذ عنوة ، فذهاب السماء والأرض أهون من إسقاط حرف من الكتاب »[2] .

فانظر قوله :« ومن بعده يبشر بملك الله ، ويؤخذ عنوة » ، فهو إفصاح عن محمد صلى الله عليه وسلم ، وملك الله : هو ملك رسوله محمد[3] صلى الله عليه وسلم فى الأرض ، [فهو] الذى قهر الأجناس بالسيف ، وقتل من قتل من اليهود وسائر الكفار انتقاما ، [أرسل إليهم] من الله ، [حيث اشتكتهم] دماء جميع أولئك المؤمنين .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم عن متى :

« لَمَّا سَمِعَ [يوحنا] فِي ٱلسِّجْنِ بِأَعْمَالِ ٱلْمَسِيحِ أَرْسَلَ ٱثْنَيْنِ مِنْ تَلَامِيذِهِ ... . وَقَالَ [المسيح] ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ لَمْ يَقُمْ بَيْنَ ٱلْمَوْلُودِينَ مِنَ ٱلنِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا ٱلْمَعْمَدَانِ . . . . لِأَنَّ جَمِيعَ

---

(١) قارن متى ٣ : ٢

(٢) قارن متى ٥ : ١٨ ، ٢١ : ٣٣ – ٤٦

(٣) فى ج : « هو ملك رسوله محمد رسوله صلى الله عليه وسلم » .

ٱلْأَنْبِيَاءِ وَٱلنَّامُوسَ إِلَى يُوحَنَّا تَنَبَّأُوا . وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْبَلُوا فَهٰذَا هُوَ إِيلِيَّا ٱلْمُزْمِعُ أَنْ يَأْتِي . مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ »[١] .

فاعتبر هذه البشارة ! فإن زعمت [أن المراد « بإيليا » هو] إلياس النبي ، فهذا من توقحكم على الله ، ومكابرتكم العقول ، لأن إلياس [كان سابقاً فى الزمان على عيسى][٢] ، أرسله الله إلى قومه ، وكان من أمره ما كان ، وصار إلى الله تعالى .

وإنما قال المسيح : إن إيليا مزمع أن يأتى ، [لأن] « إيليا » هو الله تعالى [مجازاً] ، فمجىء الله هو مجىء رسوله بكتابه ، وأمره كما قال فى التوراة :

« جاء الله من سيناء » .

وكما قال :

« وأقبل من فاران » وما أشبه ذلك . [ف] هو [تعبير مجازى ، أى جاء رسول] من الله ، و [معه] كتابه .

وكذلك زعم علماؤكم يرويه أن موسى بن عمران ، واليسع ، وإلياس سيأتون . وحكى - زيادة - « أرميا » فى الآيتين ، واحتج على ذلك بما نص فى كتاب الله عن الله تعالى أنه قال :

« قَبْلَمَا صَوَّرْتُكَ فِي ٱلْبَطْنِ عَرَفْتُكَ وَقَبْلَمَا خَرَجْتَ مِنَ ٱلرَّحِمِ قَدَّسْتُكَ . جَعَلْتُكَ نَبِيًّا لِلشُّعُوبِ »[٣] .

---

(١) مق ١١ : ٢ - ١٥ .

(٢) فى ج : « قد كان فى الدنيا وقد .... »

(٣) أرميا ١ : ٥

فقال يروبم :

[أوحى إلى] أرميا أنه يأتى آخر الزمان ، ليكون نبياً للأجناس كلها ، كما قيل له ، لأنه لم يكن الأنبياء [مرسلين إلا] لبنى إسرائيل خاصة .

فهذا قول « يروبم » . وما من نبى إلا قال : إنه إلى بنى إسرائيل بعث ولم يبعث إلى غيرهم .... إلى أن بعث الله سيدهم محمداً صلى الله عليه وسلم وقال له :

«قُلْ يَـٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام :

« بعثت إلى الأبيض والأحمر »[2]

وقد تيقنت نبوته ، وصح فضله على جميع الأنبياء عليهم السلام ، فذلك القول[3] الذى قيل « لأرميا » فيما أوحى الله إليه، إنما هو قول لما بعده [وأن] المقصود به محمد صلى الله عليه وسلم .

وقول « يروبم » : إن فلانا وفلانا ـ لمن سماهم من الأنبياء ـ سيأتون[4] فى آخر الزمان ، [فليس إلا] هتف[5] ، وجرأة[6] على الله ، وافتراء عليه، ولن يأتى منهم ـ ممن قد مات[7] ـ أحد إلى يوم الميقات المعلوم .

---

(١) الأعراف ١٥٨

(٢) انظر ص ٢٦٢

(٣) فى ج : « بذلك الذى قال لأرميا » .

(٤) فى ج : « يتسالون » .

(٥) فى ج ، وت : « إنما هو هتف » .

(٦) فى ج : « وجزاوة » .

(٧) فى ج : « مما قد مات » .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم عن المسيح :

أنه ضرب مثلا للدنيا ، [فهى] كمثل رجل غرس[١] كرما ، وأحاطه بسياج[٢] وحفر[٣] فيه معصرة ، وبنى برجا[٤] وسلمه إلى كرامين ، وسافر[٥] ولما قرب وقت الإثمار أرسل عبيده إلى الكرامين[٦] .

[ثم] ضرب المسيح مثلا للأنبياء ، ثم لنفسه فى كلام كثير ، ثم لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وجعله الموكل آخراً بأمر الكرم[٧] ، وأفصح عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال : إنه سيزاح عنكم ملك الله ، ويعطى الأمة المطيعة العاملة .

ثم ضرب مثلا [بـ] صخرة ، وقال : من سقط على هذه الصخرة سينكسر ، ومن سقطت عليه يتهشم[٨] . يريد بذلك محمداً صلى الله عليه وسلم ، ومن ناوأه وحاربه أظهره الله عليه .

وفى صحف أشعياء التى بأيديكم قال :

---

(١) فى ج ، وت : « اغترس » .
(٢) فى ج ، وت : « ومسيج حوله » .
(٣) فى ج ، وت : « وجعل » .
(٤) فى ج ، و ت : « وشيد فيه قصرا » .
(٥) فى ج ، و ت : « ووكل أعوانا وتغرب » .
(٦) فى ج ، و ت : « فلما دنى أوان قطافه بعث عبيده الى أعوانه المكلفين » رجعنا فى تصحيح أخطاء هذا النص الى الإنجيل [انظر مق ٢١ : ٣٣ - ٣٤] .
(٧) فى ج « أمرا بالكرم » ، وفى ت : « آخراً بالكرم » .
(٨) قارن مق ٢١ : ٤٤ .

ستمتلىء البادية والمدائن من قصور آل قيدار يسبحون الله ، ومن رؤوس الجبال ينادون هم الذين يجعلون لله الكرامة ويبثون تسبيحه الله فى البر والبحر[١].

وفى صحف حزقيال النبى يقول عن الله :

« إنى مؤيد قيدار بالملائكة »[٢] .

وقيدار ولد إسماعيل ، فأى بادية هذه البادية التى امتلأت من قصور آل قيدار ؟[أليس هم] الذين ينادون بالأذان والتلبية من رءوس الجبال ويجعلون لله الكرامة بالصلاة والحج إلى بيت الله !

وقال أشعياء النبى عن الله !

« عبدى الذى سرت [به] نفسى أنزل عليه وحيى ، فيظهر فى الأمم عدلى . ويوصى الأمم بالوصايا ، لا يضحك ، ولا يسمع صوته فى الأسواق ، يفتح العيون العور ، ويسمع الأذن الصم ، ويحيى القلوب الغلف ، وما أعطيه لا أعطيه أحداً غيره ، أحمد يحمد الله حمداً حديثاً ، يأتى من أقصى الأرض ، تفرح البرية وسكانها ، يهللون لله على كل شرف ، ويكبرونه على كل رابية ، لا يضعف ، ولا يغلب ، ولا يميل إلى الهوى ، ولا يُسمع فى الأسواق صوته . ولا يذل الصالحين الذين هم كالعصفة[٣] الضعيفة ، بل يُقوى الصديقين وهو ركن المتواضعين . وهو نور الله الذى لا يطفأ ، ولا يخضع حتى تثبت فى

---

(١) قارن أشعياء ٤٢ : ١١ – ١٣ .
(٢) لم أعثر على هذا النص فى الكتاب المقدس .
(٣) العصفة : ما كان على ساق الزرع من الورق.

الأرض حجتى ، وينقطع به العذر ، [و] إلى توراته ينقاد الخلق »[١] .

اعتبر هذا التصريح لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وصفاته [ففيه الكفاية فكم وكم من وجوه يمتنع عليكم أن تدعوا فيها][٢] لغير محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن ذلك أنه [قال] : يوصى الأمم .

وقد كتب فى إنجيلكم الذى بين أيديكم أن المسيح قال :

« إنى لم أبعث إلى الأجناس ، وإنما بعثت إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل »[٣] . فلا يجوز أن يكون إلى الأمم جميعاً غير محمد صلى الله عليه وسلم .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم أن المسيح قال للحواريين :

« لا تسلكوا إلى سبيل الأجناس ، ولكن اختصروا إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل »[٤] .

وقال أشعياء فى كلامه المتقدم آنفاً :

« لا يَضعف ولا يُغلب » .

وأنت تقول :

« إن المسيح غُلب عل نفسه ، وحَمل خشبته ، وسُمِّرت يداه فيها ، وقُتل عليها » .

---

(١) قارن أشعياء ٤٢ : ١ ــ ٧ .

(٢) من ع ، وفى ج ، و ت : « ومن كل وجه يمتنع عليكم أن يدعو فى هذا الكلام كله » .

(٣) قارن مق ١٥ : ٢١ ــ ٢٦ .

(٤) قارن مق ١٠ : ٥ ــ ٦ .

فهل فى الضعف أكثر من هذا ؟

ولا جرم أن الله تعالى فتح لمحمد صلى الله عليه وسلم فتحاً مبيناً ، ونصره نصراً عزيزاً ، وأظهره على كل عدو ، ومعاند لله تعالى ، حتى أعلى دينه وأفشى توحيده .

وفى صحف حبقوق النبى التى بأيديكم :

« جاء الله من [تيمان][1] وتقدس من جبال فاران ، وامتلأت الأرض من تحميده وتقديسه ، وملك الأرض بهيبته »[2] .

وقال أيضاً :

« عُرِّيَتْ قَوْسُكَ تَعْرِيَةً . سُبَاعِيَّاتُ سِهَامِ كَلِمَتِكَ[3] » .

اعتبر ! [فكل ذلك] إفصاح لحبقوق باسم محمد وصفته .

وفى صحف أشعياء النبى يقول :

« قيل لى : قم ناظراً فانظر ! فما ترى ؟ قلت : أرى راكبين مقبلين أحدهما على حمار والآخر على جمل يقول أحدهما لصاحبه : سقطت بابل ، وأصنامها النخرة »[4] .

---

(١) فى ج : « النبيين » .

(٢) قارن : حبقوق ٣ : ٣ - ٤ .

(٣) فى ج ، ل ت : « وقالوا أيضا: تضىء لنوره الأرض ، ويستنزع فى قسيك أعرافا ، وترتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواء . » فانظر حبقوق ٣ : ٩

(٤) وأصل هذا النص فى سفر أشعياء :

« لِأَنَّهُ هٰكَذَا قَالَ لِي ٱلسَّيِّدُ : ٱذْهَبْ أَقِمِ ٱلْحَارِسَ لِيُخْبِرْ بِمَا يَرَى . فَرَأَى رُكَّاباً أَزْوَاجَ فُرْسَانٍ . رُكَّابَ حَمِيرٍ . رُكَّابَ جِمَالٍ ...=

فصاحب الجمل هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وصاحب الحمار ـ باتفاق منا ومنكم ـ هو عيسى بن مريم عليه السلام .

أوَ ليس محمد بركوب الجمل أشهر من عيسى بركوب الحمار ؟ ، وإنما سقطت عبادة الأصنام ببابل من دون الله ، وهدمت أوثانها بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ، لا بعيسى ، ولا بغيره ، فما زالت ملوك بابل يعبدون الأوثان من لدن إبراهيم عليه السلام إلى زمان محمد وأمته .

وفى صحف أشعياء أيضاً :

«لتفرح أرض البادية العطشى ، ولتبتهج البرارى والفلوات »[١] . لأنها ستعطى بأحمد محاسن البستان ، [وستكون مثل الرياض حسناً وبهاء][٢] .

اعتبر ! هذا الافصاح باسمه وصفة بلده بما لا ينكره إلا وقاح مكابر بالباطـل .

وفى صحف حزقيال النبى التى بأيديكم أيضاً يقول عن الله عز وجل بعد ما ذكر معاصى بنى إسرائيل ، وشبههم بكرمة غرسها[٣] وارتفع ساقها بين

=وَقَالَ سَقَطَتْ سَقَطَتْ بَابِلُ وَجَمِيعُ تَمَاثِيلِ آلِهَتِهَا الْمنحُوتَةِ كَسَّرَهَا إِلَى الْأَرْضِ » .

[أشعياء ٢١ : ٦ - ٩]

(١) وهو فى سفر أشعياء :

« تَفْرَحُ الْبَرِّيَّةُ وَالْأَرْضُ الْيَابِسَةُ وَيَبْتَهِجُ الْقَفْرُ وَيُزْهِرُ كَالنَّرْجِسِ » .

[أشعياء ٣٥ : ١]

(٢) من ع ، وفى ج ، و ت : « وكمثل حسن الدساكر والرياض » .

(٣) فى ج ، و ت : « غذاها » .

الأغصان الغبياء ، وقال : لم تنبت تلك الكرمة ، [فاقتلعت وطرحت][(١)] على الأرض ، وأحرقت السماء ثمارها ، فعند ذلك غرست فى البدو ، وفى الأرض المهملة العطشى[(٢)] ، وخرجت من أغصانها الفاصلة ناراً أكلت تلك ، حتى لم يوجد فيها غصن قوى ولا قضيب »[(٣)] .

اعتبر ! هذا التصريح به ، وبصفة بلده كلها ، فى قوله : الأرض المهملة البدو ، والعطشى ، وتلك صفات مكة ، لأنها صحراء ، لأنها كانت مهملة من النبوة من إسماعيل ، وهى [مركز] البدو .

وفى صحف « دانيال » النبى :

وقد نعت الكذابين [بقوله] : ولا تمتد دعوتهم ، ولا يتم فرقانهم .

---

(١) فى ج ، و ت : « أن قات بالسحطه ورما بها »

(٢) فى ج : « العظمى » وساقطة من ت .

(٣) أصل النص كما جاء فى سفر حزقيال :

« أُمُّكَ كَكَرْمَةٍ مِثْلِكَ غُرِسَتْ عَلَى ٱلْمِيَاهِ . كَانَتْ مُثْمِرَةً مُفْرِخَةً مِنْ كَثْرَةِ ٱلْمِيَاهِ . وَكَانَ لَهَا فُرُوعٌ قَوِيَّةٌ لِقُضْبَانِ ٱلْمُتَسَلِّطِينَ وَٱرْتَفَعَ سَاقُهَا بَيْنَ ٱلْأَغْصَانِ ٱلْغَبْيَاءِ وَظَهَرَتْ فِي ٱرْتِفَاعِهَا بِكَثْرَةِ زَرَاجِينِهَا . لٰكِنَّهَا ٱقْتُلِعَتْ بِغَيْظٍ وَطُرِحَتْ عَلَى ٱلْأَرْضِ وَقَدْ يَبَّسَتْ رِيحٌ شَرْقِيَّةٌ ثَمَرَهَا . قُصِفَتْ وَيَبِسَتْ فُرُوعُهَا ٱلْقَوِيَّةُ . أَكَلَتْهَا ٱلنَّارُ . وَٱلْآنَ غُرِسَتْ فِي ٱلْقَفْرِ فِي أَرْضٍ يَابِسَةٍ عَطْشَانَةٍ . وَخَرَجَتْ نَارٌ مِنْ فَرْعِ عُصِيِّهَا أَكَلَتْ ثَمَرَهَا ، وَلَيْسَ لَهَا ٱلْآنَ فَرْعٌ قَوِيٌّ لِقَضِيبِ تَسَلُّطٍ » .

[حزقيال ١٩ : ١٠ – ١٤]

وأقسم الرب بساعده ألا يظهر الباطل ، ولا يقيم لداع كاذب دعوة أكثر من ثلاثين سنة »[١] .

اعتبر هذا الفضل الذى تنكرون ، [فـ] هذه دعوة محمد صلى الله عليه وسلم قائمة منذ [ستمائة] من السنين ، وباقية إلى يوم القيامة ، فحسبك بهذا دليلا على الباطل وأهله .

وقال « دانيال » النبى وقد سأله الملك [بختنصر] عن رؤية رآها ، وطلب منه أن يخبره بتفسيرها فقال :

« أيها الملك ! رأيت صنماً بارع الجمال ، أعلاه من ذهب ، ووسطه من فضة ، وأسفله من نحاس ، وساقاه من حديد ، ورجلاه من فخار ، فبينما أنت تنظر إليه ، وقد أعجبك ، إذ دقه الله بحجر من السماء ، فضرب رأس الصنم فطحنه حتى اختلط ذهبه ، وفضته ونحاسه ، وحديده ، وفخاره . ثم إن الحجر فار وعظم حتى ملأ الأرض كلها .

قال له « بختنصر » :

صدقت ، فأخبرنى بتأويلها !

قال دانيال :

أما الصنم فأمم مختلفة فى أول الزمان وفى وسطه وفى آخره . فالرأس [التى] من الذهب : [هى] أنت أيها الملك . والفضة : ابنك من بعدك . والنحاس : الروم . والحديد : الفرس . والفخار : أمتان ضعيفتان تملكهما امرأتان باليمن

---

(١) لم أعثر على هذا النص فى صحف دانيال ، بل ورد ما يفيد معناه فى المزمور ١٠٩ فارجع إليه .

والشام . والحجر : هو دين نبي وملك أبدى ، يكون فى آخر الزمان يغلب الأمم كلها [ثم يعظم حتى يملأ الأرض كلها] كما ملأها ذلك الحجر »[١].

فأخبرنى !

هل كان نبي غير محمد صلى الله عليه وسلم جمع الأجناس والأمم كلها على اختلافها ، واختلاف لغاتها ، ودياناتها ، وممالكها وبلادها ؟

فجعلها جنساً واحداً ، ولغة واحدة ، ومملكة واحدة ، وديناً واحداً .

ولا محالة أن العرب والفرس ، والنبط والقبط ، والأكراد والترك ، والديلم والحبش والبربر[٢] ، ومن أسلم من [أهل] الهندوالسودان والروم، وغيرهم على كثرتهم كلهم ينطقون بلغة واحدة ، وبها يقرءون القرآن .

وقد صار كل من ذكرنا أمة واحدة ، والحمد لله على ذلك كثيراً ، فصحت نبوة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى جميع النبيين .

وقد تبين كذب أساقفتكم المضللين .

[صفات محمد صلى الله عليه وسلم]

فهذه جملة من [آيات] سيد المرسلين والنبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، ومعجزاته ، ومن بشارات الأنبياء به إلى ما جبله الله عليه من الخلق العظيم ، والزهد فى الدنيا ، والعلم ، والحكمة ، والهيبة ، والصفح ، والوقار ، ولين الخلق ، والرأفة ، والرحمة ، والتواضع لله ، والصبر ، والجود .

---

(١) قارن دانيال ٢ : ٣٧ – ٤٥ .

(٢) فى ج : « والحمل والتبريز » بإهمال الكلمة الأولى .

وملك الحجاز ، واليمن كلها ، واليمامة كلها ، وأقصى نجد إلى العراق . ومات ودرعه مرهونة عند يهودى فيما أكل أهله[١] .

وكان بعد ما ملكه الله رقاب عباده ، وأوطأ له فى الأرض من فى الأرض ، وأخضع له الملوك ، يؤاكل العبد واليتيم ، ويحملهما كالأب الرحيم.

ويركب الحمار ، ويمشى فى الأسواق راكباً وراجلا ، ويجلس على الأرض ، ويأكل عليها ، ويلبس العبا [ء] ة ، ويرقع ثوبه ، ويخصف نعله ، ولم يشيد قصراً ، ولا غرس نخلا .

وكان يجوع حتى يجعل الحجر على بطنه[٢] ، ويصلى الليل بطوله[٣]

---

(١) ابن حجر : فتح البارى ج ٦ ص ٧٠ ، مسلم ج ١ ص ٣٧٠ — ٣٧١ .

(٢) عن جابر رضى الله عنه قال : إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاءوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذه كدية عرضت فى الخندق ، فقال : أنا نازل . ثم قام وبطنه معصوب بحجر ... الخ

زاد يونس « من الجوع » ، وفى رواية أحمد . أصابهم جهد شديد حتى ربط النبى صلى الله عليه وسلم على بطنه حجرا من الجوع .

وفائدة ربط الحجر على البطن أنها تضمر من الجوع فيخشى على انحناء الصلب بواسطة ذلك ، فإذا وضع فوقها الحجر وشد عليها العصابة استقام الظهر . وقال الكرمانى : لعله لتسكين حرارة الجوع ببرد الحجر ، ولأنها حجارة رقاق قدر البطن تشد الأمعاء فلا يتحلل شىء مما فى البطن فلا يحصل ضعف زائد بسبب التحلل .

هل يسكن الحجر حرارة الجوع ؟ وهل يمسك بربط مافى الأمعاء فيمنعها عن التحلل ؟ ذلك أمر يحتاج الى دراسة من المتخصصين فى هذا الجانب من حياة الانسان . أما اللغوى فينظر الى هذه الكلمة: « حجر » من ناحية أخرى ، إذ أنه عندما يرى أن القاموس ذكر : « حجزة الإزار » يتساءل ألا يحتمل أن يكون المراد : الحجز ، وليس الحجر ؟

(٣) فى ج : « وطوله » .

حتى تورَّمت قدماه وإذا قام الليل فى الصلاة يسمع لصوته أزيز كأزيز المرجل من البكاء ، وكان أشد حياء من البكر ، ولم يغضب قط ، ولا أكل وحده، ولا ضرب عبيده ، ولا منع سائله رفده ، وكشف بشرته ليقتص منه عكاشة ابن محض ـ رجل من المسلمين ـ من شيء لم يتعمده ، فلما وصل إليه تبرك[1] خديه فى بطنه ، ويبكى صلى الله عليه وسلم ، [وهو] إذ ذاك تهابه الملوك وتردع منه الجبابرة ، ولو كان سبق فى حكم الله تعالى أن يكون إنسان تام إلٰها تاما كما تزعمون ، لم يكن غير محمد صلى الله عليه وسلم لكماله وجلاله وبيان فضله على جميع أولاد آدم ، فتلك صفاته وآياته التى علمها جميع العالم[2].

[أخبار اليهود عن عيسى بن مريم عليه السلام]

فأخبرنى أنت أيها المغرور إذا كفرت بكتابه ! من أين تحققت [عندك] لعيسى بن مريم فضيلة أو معجزة ؟

ومن نقل إليكم آية أو معجزة ؟

هل جئتم [بما جئتم به] إلا بعده [بما] ينيف على مائتين وكسور من السنين ؟

أخبرتم عن منامة رئيت [فـ] أسرعتم إلى تصديقها و [أنتم] لا تدرون أكان[3] موجوداً فى العالم أو لم يكن ـ لا بتواتر ولا بغيره ـ إلا [بمقتضى] السبب الذى قدمت ذكره ! !

---

(١) فى ج ، و ت : « تراما » .
(٢) فى ج ، و ت : « العوالم » .
(٣) فى ج ، و ت : « هل كان » .

أما [كان] الأولى لمن كفر بالقرآن أن ينكر وجود عيسى فى العالم ، وإن ظهر له صواب القول بوجوده !

[أيكفر][1] بالقرآن [ويُقْبَل][2] قول اليهود به ، لزعمكم أنهم كانوا رهطه ، ولكونه منهم وفيهم ، واليهود فيما بينهم متخالفون فى أمره ؟

ثم أنتم متخالفون مع اليهود فى أمره .

فقد زعمت اليهود أنهم حين أخذوه حبسوه فى السجن أربعين يوما ، وقالوا : ما كان لنا أن نحبسه أكثر من ثلاثة أيام ، إلا أنه كان يعضده أحد قواد الروم لأنه كان يداخله بصناعة الطب .

« وفى الإنجيل الذى بأيديكم ، أنه أُخِذ صباح الجمعة ، وصُلب فى الساعة التاسعة من اليوم بعينه »[3] .

فأخبرنى ! متى تتوافقون مع اليهود فى خبره ؟

واليهود مجمعة [على] أنه لم يظهر لهم معجزة ، ولا بدت لهم منه آية ، غير أنه طار يوماً — وقد هموا بأخذه — فطار على إثره آخر منهم ، فعلاه فى طيرانه ، وجدله فسقط إلى الأرض بزعمهم .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم [فى أكثر من موضع][4] ما يشهد أن لا معجزة له ، ولا آية ، فمن ذلك [مما هو] فيه منصوص أن اليهود قالوا له يوماً :

---

(١) فى ج ، و ت : « وهو يكفر » .

(٢) فى ج ، و ت : « فتقبل » .

(٣) انظر ١ مرقس ١٥ : ٤٢ — ٤٤ ، ويوحنا ١٩ : ٣١ — ٣٣ .

(٤) فى ج ، ت : فى غيرما موضع [بدون نقط على الكلمة الأخيرة] وهذه الفقرة ساقطة من ع .

ماذا نفعل حتى ننتهى إلى أمر الله ؟ .

فقال لهم :

أمر الله أن تؤمنوا بمن بعثه .

فقالوا له :

وما آيتك التى ترينا [حتى] نؤمن بك ، وأنت تعلم أن آباءنا أكلوا المن والسلوى بالمفاوز .

فقال :

إن كان موسى أطعمكم خبزاً بالمفاز ، فأنا أطعمكم خبزاً سماوياً[1] . يريد نعيم الجنة .

---

(١) نص ماجاء فى الانجيل :

« فقالوا له ماذا نفعل . حتى نعمل أعمال الله . أجاب يسوع وقال لهم هذا هو عمل الله . أن تؤمنوا بالذى هو أرسله . فقالوا له فأى آية تصنع لنرى ونؤمن بك ؟ ماذا تعمل . آباؤنا أكلوا المن فى البرية كما هو مكتوب . أنه أعطاهم خبزا من السماء ليأكلوا . فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم ، ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء . بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم . فقالوا له ياسيد أعطنا فى كل حين هذا الخبز . فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحياة ، من يقبل إلى فلا يجوع ، ومن يؤمن بى فلا يعطش أبدا » .

[يوحنا ٦ : ٢٨ – ٣٥] .

فلو عرفوا له معجزة ، ماقالوا له ذلك ، ثم [هو] لم يجبهم على قولهم بمعجزة ولا آية .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم أن اليهود قالت له :

ما آيتك التى نصدقك بها ؟

قال :

اهدموا البيت ، وأنا أبنيه لكم فى ثلاثة أيام .

وقد قدمت ذكر هذا الخبر مستوفياً ، فلو كانت اليهود تعرف له آية ، لم تقل له هذا ! ولو كان [قد] أظهر لهم معجزة لذكرهم بها حينئذ .

وعندكم فى الإنجيل أيضاً :

أنهم جاءوا يسألونه آية ، وقد فهم [مايريدون] ، فقال :

إن القبيلة الفاجرة الخبيثة ، تطلب آية ، ولا تعطى ذلك[1] .

وفيه أيضاً :

أنهم [أى اليهود] كانوا يقولون له وهو على الخشبة ـ بظنكم ـ :

---

(١) نص ما جاء فى الإنجيل :

« حِينَئِذٍ أَجَابَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ قَائِلِينَ يَا مُعَلِّمُ نُرِيدُ أَنْ نَرَى مِنْكَ آيَةً . فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ ، يَطْلُبُ آيَةً وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ » .

[مق ١٢ : ٣٨ - ٣٩]

« إن كنت المسيح ، فأنزل نفسك ، فنؤمن بك »[1] .

يطلبون منه ذلك آية ، فلم يفعل .

فلتعلم ـ أيها المغرور ـ أنك إن كفرت بالقرآن ، لا تحقق لعيسى ابن مريم آية ، ولا فضيلة ، لأن أخباركم عنه وأخبار اليهود لا يلتفت إليها ، لما ذكرت من اختلاف بعضكم مع بعض ، وعدم يقينكم بجميع أموره .

وكذلك أجمعت اليهود على أنه ما ادعى شيئاً من الألوهية ، التى نسبتم إليه ادعاءها . ولا محالة أن مرادهم أن يدعى ذلك ، ليكون أبلغ فى التشنيع عليه ، [فقد] ذكروا السبب فى استفاضة[2] ذلك [أى التشنيع] عليه ، فقالوا : إن أحبارهم أثروا[3] ما مضى ، وبقى ذكره [ولذا] خافوا أن تصير عامتهم إليه ، إذ كان على سنن تقوب من سنتهم ، فشنعوا عليه أموراً كثيرة ، [منها] : نسبوا إليه دعوى الألوهية ، تزهيداً للناس فى أمره[4] .

ثم إن اليهود عندهم من الاختلاف فى أمره ما يدل على عدم يقينهم بشىء من أخباره ، فمنهم من يقول :

إنه كان رجلا منهم ، ويعرفون أباه وأمه ، [ويتهمونها] بالزنا . وحاشا

---

(١) قارن مق ٢٨ : ٤٠ .

(٢) استفاض الخبر . انتشر . والمصدر : استفاضة

(٣) أثر الحديث : نقله ، فالحديث مأثور ، أى منقول قرن عن قرن .

(٤) ليس بين قوله : « أجمعت اليهود على أنه ما ادعى شيئا من الألوهية ..... » وقوله : « .... نسبوا إليه دعوى الألوهية ... » تناقض ، لأنه يبدو أن المؤلف أراد بالفقرة الأولى الإخبار عن اليهود المعاصرين للمسيح ، وبالثانية ذريتهم الذين جاءوا بعد فترة من الزمن .

لله ، قاتلهم أنى يؤفكون . ويسمون أباه البندير الرومى ، وأمه مريم الماشطة[١]
ويزعمون أن زوجها يوسف بن يهوذا ، وجد الهندير عندها على فراشها ـ
أو شعر بذلك ـ فهجرها وأنكر ابنها .

ومن اليهود :

من تبرأ من هذا القول ، وقال :

إنما أبوه يوسف بن يهوذا ، الذى كان زوجاً لمريم ، ويذكرون أن
السبب فى استفاضة اسم الزنيم[٢] عليه ، أنه كان مع معلمه « يوشع بن
يوحنا » ، وسائر التلاميذ فى سفر ، فنزلوا موضعاً ، وجاءت امرأة من
أهله وجعلت تبالغ فى كرامتهم ، فقال « يوشع » :

« ما أحسن هذه المرأة » يريد أفعالها .

فقال عيسى ـ بزعمهم ـ :

« لولا عمش فى عينيها » .

فصاح « يوشع » وقال له :

« يا ممزا » وترجمته يازنيم « أتزنى بالنظر »، وغضب عليه غضباً شديداً
وعاد إلى بيت المقدس وصرح . باسمه ، ولعنه فى أربعمائة قرن .

فحينئذ لحق عيسى ـ بزعمهم ـ ببعض قواد الروم ، وداخله بصناعة الطب
فقوى بذلك على اليهود ـ بزعمهم ـ وهم يومئذ فى ذمة « بيلاطس » عامل
القيصر «تيادوس» على فلسطين ، وجعل يخالف حكم التوراة ويستدرك عليها ،
ويعرض عن بعضها ، إلى أن كان من أمره ما كان .

---

(١) الماشطة : هى التى تحسن المشط وتتخذ ذلك حرفة لها .

(٢) الزنيم : اللئيم أو الدعى .

وطوائف من اليهود يتحدثون بغير هذا ، فى السبب الذى من أجله لقب بتلك الشتيمة ، [إذ] يقولون :

إنه كان يوماً يلاعب الصبيان فى صغره بالكرة ، فوقعت منهم بين جماعة من مشايخ اليهود ، فضعف الصبيان عن استخراجها من بينهم حياء من المشايخ ، فقوى عيسى ، وتخطى رقابهم وأخذها ، فقالوا له :

« ما نظنك إلا زنيا » فمضت عليه هذه الشتيمة .

ومن اختلاف اليهود فى أمره .

أنهم يسمون أباه - بزعمهم [وهو] الذى كان خطيب مريم - يوسف ابن يهوذا النجار . وبعضهم : يوسف بن الحداد .

وأنتم تقولون :

إنه يوسف بن يعقوب . وبعضكم يقول : يوسف بن هالى[1] وقد تقدم ذكر اختلافكم أيضاً فى آبائه ، واختلافكم فى عددهم إلى إبراهيم ، فمن مقلل ، ومن مكثر[2] .

---

(١) نسبت الأناجيل عيسى بن مريم عليه السلام إلى يوسف الذى كان خطيب مريم - كما يزعمون - ثم أوردت سلسلة نسب يوسف فذكرت فيها يهوذا ، ويعقوب وهالى .

فهالى : والد يوسف . ويعقوب : جده الواحد والخمسون . ويهوذا جده الخامس عشر والثانى والثلاثون ، والخمسون . [انظر لوقا ٣ : ٢٣ - ٣٨]

فمن قال : يوسف بن هالى ، فقد نسبه الى أبيه .

ومن قال : يوسف بن يعقوب فقد نسبه الى جده الخمسين .

ومن قال : يوسف بن يهوذا ، فقد نسبه الى جده الخامس عشر ، والثانى والثلاثين ، أو الخمسين

(٢) انظر : ص ١٨٠

فهذه أخبار اليهود عن عيسى بن مريم ، وهم مع كثرة تنازعهم فيه ، ليس منهم فرقة توافقكم فى شىء مما ذكرتم .

وأنتم أيضاً - على كثرة تنازعكم فى خبره - لا توافقهم فرقة منكم فى شىء من ذكره ، وقد قدمت قولهم أنهم حين أخذوه - بزعمهم - سجنوه أربعين يوماً ، وفى أناجيلكم أنه صلب فى اليوم الذى أخذ فيه .

فقد صح أنكم جميعاً فى شك منه ، مالكم به من علم إلا اتباع الظن ، إلى أن بعث الله سيد النبيين محمداً صلى الله عليه وسلم ، وأوحى إليه ما أبطل هذه الأقوال الوخيمة ، وشهد له بآيات ، وقال له بمعجزات ، وقوله الحق وشهادته الصدق .

وقد كان يجب على أساقفكم الغاوين حين راموا الشتيمة فى سيد النبيين ، وخلق الأكاذيب عليه أن يتفكروا فى قول اليهود فى المسيح عيسى بن مريم فيعلمون أن الشتائم والأكاذيب لا يرضى بها أحد من الناس إلا الأشرار ، وأنها ليست من شيم الصالحين والأخيار .

ونحن المسلمين ، فقد قارنا بين أقوال اليهود فى عيسى وأقوال أساقفتكم الغاوين فى سيد الأنبياء ، وأوجبنا بذلك كله على جميعكم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

[تحريف التوراة وبعض ما فيها من المفتريات على الله تعالى وأنبيائه الكرام ، وهو الجزء الثانى من الرد على الشبهة السابعة]

ولذلك لا يجب علينا تصديقكم فى شىء مما تناقلتموه من التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، وأخبار الأنبياء ، إذ ظهر عتوكم جميعاً على الله تعالى ،

وكذبكم على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، واستبان لكل ذى بصيرة .

ولا يؤمَن إدخالكم الخلل فى الكتب ، ولا سيما مع إقراركم أن التوراة إنما كانت طول مدة ملك بنى إسرائيل عند الكاهن الأكبر الهارونى[1] وحده .

ولا ينكر ذلك منكم - ولا من اليهود - إلا وقح عظيم المجاهرة بالباطل .

واليهود تقر أن السبعين كاهناً[2] اجتمعوا على اتفاق من جميعهم فى تبديل ثلاثة عشرة حرفاً من التوراة ، وذلك بعد المسيح فى زمن القياصرة ، ومن وضى تحريف موضع فى كتاب الله فلا يؤمن منه تحريف الكثير .

وكذلك يقرون أن السامرية - وهى فرقة منهم - حرفت التوراة تحريفاً بيناً ، والسامرية يدعون عليهم مثل ذلك من التحريف . ولعل الفريقين صادقان ، فأين حينئذ فى التوراة شىء يوثق به ، مع تقابل هذه الدعاوى من فرق اليهود فكفونا بأنفسهم من غيرهم .

---

(١) هو هارون بن أشير ، يذكر الباحثون فى مخطوطات التوراة القديمة أنه أخفى نسخة مخطوطة فى معبد سفراديم فى حلب ، خوفا عليها من الضياع ، وأنها من المخطوطات الهامة التى اعتمدوا عليها فى تخريج العهد القديم الموجود بين أيدينا [Kunl' S. 28 und Stellen S. 11]

(٢) كاهن يجمع على كهنة ، وكهان ، وفعله : كهن كهانة ، وتكهن تكهنا وتكهينا كهن لفلان : قضى له بالغيب ، وحدثه .
وكهن : صار كاهنا أو صارت الكهانة له طبيعة وغريزة .
والكاهن : من يدعى معرفة الأسرار أو أحوال الغيب ويطلق عند اليهود وعباد الأوثان على من يقدم الذبائح والقرابين ، وعند المسيحيين على من ارتقى إلى درجة الكهنوت .

وأنتم أيضاً تدعون أنهم حرّفوا فى التوراة التاريخ ، فتزعمون أنهم نقصوا من تاريخ آدم صلى الله عليه وسلم ألف سنة ، ونحو المائتين من السنين .

وهذه أمور لا يدعى معها الجزم بعدم تحريف التوراة إلا معاند متعسف ، فإن قلتم : كان النبيون صلوات الله عليهم يحكمون بها إلى زمن المسيح عليه السلام والأنبياء معصومون عن الباطل . وهذا يبطل جميع ما يذكره المسلمون [من دعوى التحريف ، ويحتم عليهم أن] يوافقونا على حكم النبيين بها ، لقول القرآن « يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ »[1] .

قلت : الجواب من وجهين :

أحدهما : لعل النبيين عليهم السلام كان يوحى إليهم بالصحيح منها .

وثانيها : أن كل شيء حكموا به فهو صحيح .

ولكن لم قلتم : أنهم حكموا بجملتها ، مع أن الذى حكموا به غير معين ، فسقط الاستدلال بالجميع ، ولا يفيدكم حكمهم شيئاً . ومع ذلك فالتغيير لم يتعين له زمن ، فلعله كله كان قد وقع بعد النبيين ، بعد المسيح عليه السلام .

وكذلك الإنجيل الذى بأيديكم ، إنما هو كتب أربعة مختلفة من تأليف أربعة رجال ، وهم :

« يوحنا بن زبدى » ، « ومتى العشار » ، « ومرقس » ـ وهو تلميذ « بولس » و « برنابا » ـ « ولوقا » . فأمكن فى كل ذلك التبديل .

---

(١) المائدة : ٤٤

وعلى مافيها من اختلال وتحريف ، فقد استخرجنا مافيها من البشارات بسيد النبيين ، مشرقة لعيون العالم ، لايدفع فيها إلا كل أعمى البصيرة أو مجاهر بالباطل .

[نعود فنقول] ثم فى التوراة من الأكاذيب ، والتحريف الشنيع ، والكفر البشيع ، والخرافات التى هى حديث العجائز ، كقوله عن لوط عليه السلام :

أنه خرج من صوغر، وسكن فى كهف الجبل ومعه ابنتاه . فقالت الصغرى للكبرى : قد شاخ أبونا ، فأرقدينا معه ، لنأخذ منه نسلا .

فرقدت معه الصغرى ، ثم الكبرى ، ثم فعلتا فى الليلة الثانية ، وحملتا منه بولدين [هما] موآب ، وعمون(١).

---

(١) نص ماجاء فى التوراة :

« وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ ، وَسَكَنَ فِي ٱلْجَبَلِ وَٱبْنَتَاهُ مَعَهُ . لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ . فَسَكَنَ فِي ٱلْمُغَارَةِ هُوَ وَٱبْنَتَاهُ . وَقَالَتْ ٱلْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ أَبُونَا قَدْ شَاخَ ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ ٱلْأَرْضِ . هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا ، وَنَضْطَجِعُ مَعَهُ فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً . فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْراً فِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ . وَدَخَلَتِ ٱلْبِكْرُ وَٱضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا . وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا وَحَدَثَ فِي ٱلْغَدِ أَنَّ ٱلْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ إِنِّي قَدِ ٱضْطَجَعْتُ ٱلْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي . نَسْقِيهِ خَمْراً ٱللَّيْلَةَ أَيْضاً فَٱدْخُلِي ٱضْطَجِعِي مَعَهُ فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً . فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْراً فِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ أَيْضاً . وَقَامَتِ ٱلصَّغِيرَةُ =

فهل يحسن أن يكون لوط نبياً من الأنبياء ، ورسولا من الله ، ويوقعه الله فى مثل هذه الفاحشة ؟

وفى التوراة أيضاً :

ولما سكن يعقوب بذلك الموضع ، مشى ابنه رأوبين – وهو أكبر أولاده – فضاجع سرية أبيه يعقوب[1].

هذا لفظ التوراة . ثم قال فيها :

ولما علم بذلك يعقوب قال لابنه : رأوبين سلكت على وجهك كالماء ، فلذلك لم أفضلك بالسهم الزائد حيث امتهنت فراشى[2] .

= وَٱضْطَجَعَتْ مَعَهُ . وَلَمْ يَعْلَمْ بِٱضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا . فَحَبِلَتْ ٱبْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا . فَوَلَدَتِ ٱلْبِكْرُ ٱبْناً وَدَعَتِ ٱسْمَهُ مُوآبَ . وَهُوَ أَبُو ٱلْمُوآبِيِّينَ إِلَى ٱلْيَوْمِ . وَٱلصَّغِيرَةُ أَيْضاً وَلَدَتْ ٱبْناً وَدَعَتْ ٱسْمَهُ ٱبْنَ عَمِّى . وَهُوَ أَبُو بَنِى عَمُّونَ إِلَى ٱلْيَوْمِ » .

[تكوين ١٩ : ٣٠ – ٣٨]

(١) نص التوراة :

« . . . وَحَدَثَ إِذْ كَانَ إِسْرَائِيلُ سَاكِناً فِى تِلْكَ ٱلْأَرْضِ أَنَّ رَأُوبَيْنَ ذَهَبَ وَٱضْطَجَعَ مَعَ بِلْهَةَ سُرِّيَّةِ أَبِيهِ وَسَمِعَ إِسْرَائِيلَ » .

[تكوين ٣٥ : ٢٢]

(٢) نص التوراة :

« وَدَعَا يَعْقُوبُ بَنِيهِ ، وَقَالَ ٱجْتَمِعُوا لِأُنَبِّئَكُمْ بِمَا يُصِيبُكُمْ فِى آخِرِ ٱلْأَيَّامِ . ٱجْتَمِعُوا وَٱسْمَعُوا يَا بَنِى يَعْقُوبَ . وَٱصْغَوْا إِلَى

وتفسير هذا أن سنة الميراث كانت عندهم أن يرث الولد الأكبر سهمين ، وسائر الأولاد سهماً واحداً ! فعاقب يعقوب ابنه رأوبين على فعله المذكور ، بأن لم يفضله فى الميراث .

وفى التوراة أيضاً :

أن يهوذا بن يعقوب زنى بكَنَّته « ثامار » ، امرأة ولديه ، وقد هلكا عنها واحداً بعد واحد ، فردها يهوذا إلى بيت أبيها . ووعدها بتزويجها للولد الثالث المسمى « شيلة » ، إذا كبر . [ولما ماتت امرأة يهوذا وانتهت أيام العزاء] تصدت [أى « ثامار »] ليهوذا فى طريقه إلى غنمه ، وسترت وجهها ، فظنها بغياً ، فعدل إليها ، ودعاها إلى نفسه ، فسألته أجراً فوعدها بجدى من غنمه . فطلبت منه رهناً ، فأعطاها خاتمه ، ومنديله ، وعصاه . وواقعها - بزعمهم - فحملت منه . ثم إن يهوذا أرسل [رسولا] بالجدى ليطلب رهنه فلم يجد[1] المرأة ، فجاء بنفسه إلى أهل القرية ، وقال لهم : أين قحابكم[2] المتطلبة على الطريق ؟

= إِسْرَائِيلَ أَبِيكُمْ. رَأُوبَيْنُ أَنْتَ بِكْرِى قُوَّتِى وَأَوَّلُ قُدْرَتِى ، فَضْلُ الرِّفْعَةِ وَفَضْلُ الْعِزِّ . فَائِراً كَالْمَاءِ لاَ تَتَفَضَّلُ . لِأَنَّكَ صَعِدْتَ عَلَى مَضْجَعِ أَبِيكَ . حِينَئِذٍ دَنَّسْتَهُ . . . » .

[تكوين ٤٩ : ١ - ٤]

(١) فى ج ، ع ، ت : « فلم توجد » .

(٢) فى ج ، ع ، ت « فحباؤكم » . وهو خطأ ، لأن فعلاء جمع تكسير مقيس فى « فعيل » وصفا لمذكر عاقل ، وهذه الكلمة ليس مفردها فعيل ، بل فعله « قحبة » ـ كذلك ليست وصفا لمذكر ، بل لمؤنث ، وهى المرأة الفاجرة أو البغى .

فقالوا : ما كان منا على الطريق قحباء .

ثم إنه قيل له بعد حين : إن كُنَّتك « ثامار » حبلى .

فقال : تُحْرق بالنار .

فأُخْرِجَتْ لتُحرق ، فقالت :

إنما أنا حامل منه ، وهذا رهنه بيدى حين زنى بى ، ليفكها بجدى من غنمه .

فلما رأى يهوذا الرهن ، فكَّر ، ثم قال : هى أصدق منى .

هذا كله نص التوراة[1] التى بأيديكم اليوم ، فاعتبر ولوع اليهود بذكر الفواحش .

---

(١) وردت هذه القصة فى التوراة كما يلى :

« . . . وَأَخَذَ يَهُوذَا زَوْجَةً لِعِيرٍ بِكْرِهِ ، ٱسْمُهَا ثَامَارُ . وَكَانَ عِيرٌ بِكْرُ يَهُوذَا شِرِّيراً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ ، فَأَمَاتَهُ الرَّبُّ . فَقَالَ يَهُوذَا لِأُونَانَ ٱدْخُلْ عَلَى ٱمْرَأَةِ أَخِيكَ ، وَتَزَوَّجْ بِهَا ، وَأَقِمْ نَسْلاً لِأَخِيكَ . فَعَلِمَ أُونَانُ أَنَّ النَّسْلَ لاَ يَكُونُ لَهُ . فَكَانَ إِذْ دَخَلَ عَلَى ٱمْرَأَةِ أَخِيهِ أَنَّهُ أَفْسَدَ عَلَى ٱلْأَرْضِ لِكَيْلاَ يُعْطِي نَسْلاً لِأَخِيهِ . فَقَبُحَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ مَا فَعَلَهُ . فَأَمَاتَهُ أَيْضاً . فَقَالَ يَهُوذَا لِثَامَارَ كَنَّتِهِ اقْعُدِي أَرْمَلَةً فِي بَيْتِ أَبِيكِ حَتَّى يَكْبُرَ شِيلَةُ ٱبْنِي . لِأَنَّهُ قَالَ لَعَلَّهُ يَمُوتُ هُوَ أَيْضاً كَأَخَوَيْهِ . فَمَضَتْ ثَامَارُ وَقَعَدَتْ فِي بَيْتِ أَبِيهَا . =

. . . .

= وَلَمَّا طَالَ الزَّمَانُ مَاتَتْ ٱبْنَةُ شُوعٍ ٱمْرَأَةُ يَهُوذَا . ثُمَّ تَعَزَّى يَهُوذَا ، فَصَعِدَ إِلَى جُزَّازِ غَنَمِهِ إِلَى تِمْنَةَ هُوَ وَحِيرَةُ صَاحِبُهُ ٱلْعَدُلاَّمِي فَأُخْبِرَتْ ثَامَارُ وَقِيلَ لَهَا هُوَذَا حَمُوكِ صَاعِدٌ إِلَى تِمْنَةَ لِيَجُزَّ غَنَمَهُ فَخَلَعَتْ عَنْهَا ثِيَابَ تَرَمُّلِهَا ، وَتَغَطَّتْ بِبُرْقُعٍ وَتَلَفَّفَتْ ، وَجَلَسَتْ فِي مَدْخَلِ عَيْنَايِمَ ، ٱلَّتِي عَلَى طَرِيقِ تِمْنَةَ لِأَنَّهَا رَأَتْ أَنَّ شِيلَةَ قَدْ كَبِرَ وَهِيَ لَمْ تُعْطَ لَهُ زَوْجَةً . فَنَظَرَهَا يَهُوذَا وَحَسِبَهَا زَانِيَةً . . لِأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ غَطَّتْ وَجْهَهَا ، فَمَالَ إِلَيْهَا عَلَى الطَّرِيقِ وَقَالَ هَاتِي أَدْخُلْ عَلَيْكِ . لِأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهَا كَنَّتُهُ . فَقَالَتْ مَاذَا تُعْطِينِي لِكَيْ تَدْخُلَ عَلَيَّ ؟ فَقَالَ إِنِّي أُرْسِلُ جَدْيَ مِعْزَى مِنَ ٱلْغَنَمِ . فَقَالَتْ هَلْ تُعْطِينِي رَهْنًا حَتَّى تُرْسِلَهُ ؟ فَقَالَ مَا الرَّهْنُ ٱلَّذِي أُعْطِيكِ ؟ فَقَالَتْ خَاتِمُكَ وَعِصَابَتُكَ ، وَعَصَاكَ ٱلَّتِي فِي يَدِكَ ، فَأَعْطَاهَا ، وَدَخَلَ عَلَيْهَا ، فَحَبِلَتْ مِنْهُ . ثُمَّ قَامَتْ وَمَضَتْ ، وَخَلَعَتْ عَنْهَا بُرْقُعَهَا وَلَبِسَتْ ثِيَابَ تَرَمُّلِهَا .

فَأَرْسَلَ يَهُوذَا جَدْيَ ٱلْمِعْزَى بِيَدِ صَاحِبِهِ ٱلْعَدُلاَّمِي ، لِيَأْخُذَ الرَّهْنَ مِنْ يَدِ الْمَرْأَةِ ، فَلَمْ يَجِدْهَا . فَسَأَلَ أَهْلَ مَكَانِهَا قَائِلاً أَيْنَ الزَّانِيَةُ ٱلَّتِي كَانَتْ فِي عَيْنَايِمَ عَلَى الطَّرِيقِ . فَقَالُوا لَمْ تَكُنْ هٰهُنَا زَانِيَةٌ فَرَجَعَ إِلَى يَهُوذَا وَقَالَ لَمْ أَجِدْهَا ، وَأَهْلُ ٱلْمَكَانِ أَيْضًا قَالُوا لَمْ تَكُنْ هٰهُنَا زَانِيَةٌ . فَقَالَ لِتَأْخُذْ لِنَفْسِهَا لِئَلَّا نَصِيرَ إِهَانَةً . إِنِّي قَدْ أَرْسَلْتُ هٰذَا ٱلْجَدْيَ ، وَأَنْتَ لَمْ تَجِدْهَا .

وبشرههم[١] إلى التقول بهذا على صفوة الله من خلقه .

وفى التوراة أيضاً عن « دينة » بنت يعقوب :

أنها خرجت لأمر موصوف فيها [أى فى التوراة] ، فرآها شكيم بن حمور الحِوِّىّ رئيس ذلك الموضع ، فاغتصبها وأقبضها .

هذا لفظ التوراة[٢] تخرصاً ، وافتراء على الله تعالى [عما يقولون] .

فما الفائدة فى نزول هذا الحديث البشع من السماء ، على موسى بطور سيناء ، بعد زهاء أربعمائة سنة يقرؤه [عليكم] الكهان فى المعابد ، على أنه

= وَلَمَّا كانَ نَحْوَ ثَلٰثَةِ أَشْهُرٍ ، أُخْبِرَ يَهُوذَا ، وَقِيلَ لَهُ قَدْ زَنَتْ ثَامَارُ كَنَّتُكَ . وَهَا هِيَ حُبْلَى أَيْضاً مِنَ الزِّنَا . فَقَالَ يَهُوذَا أَخْرِجُوهَا فَتُحْرَقَ . أَمَّا هِيَ ، فَلَمَّا أُخْرِجَتْ أَرْسَلَتْ إِلَى حَمِيهَا قَائِلَةً مِنَ الرَّجُلِ ٱلَّذِى هٰذِهِ لَهُ أَنَا حُبْلَى ، وَقَالَتْ حَقِّقْ لِمَنِ ٱلْخَاتَمُ ، وَٱلْعِصَابَةُ ، وَٱلْعَصَا هٰذِهِ ؟ فَتَحَقَّقَهَا يَهُوذَا وَقَالَ هِيَ أَبَرُّ مِنِّى ، لِأَنِّى لَمْ أُعْطِهَا لِشِيلَةَ ٱبْنِى »
[تكوين ٣٨ : ٦ – ٢٦]

(١) شره على الطعام وغيره شرها ، من باب تعب : حرص عليه أشد الحرص ، فهو شره .

(٢) لفظ التوراة :

« وَخَرَجَتْ دِينَةُ ٱبْنَةُ لَيْئَةَ ٱلَّتِى وَلَدَتْهَا لِيَعْقُوبَ ، لِتَنْظُرَ بَنَاتِ ٱلْأَرْضِ . فَرَآهَا شَكِيمُ ٱبْنُ حَمُورَ ٱلْحِوِّىِّ رَئِيسِ ٱلْأَرْضِ ، وَأَخَذَهَا وَٱضْطَجَعَ مَعَهَا وَأَذَلَّهَا » .

[التكوين ٣٤ : ١ – ٣]

كلام منزل على رسوله موسى ، فتستك به الآذان ، وتعمى به القلوب[١].

وإنا لنرى « دينة » ، وإخوتها الأسباط ، وأباها يعقوب ، أكرم على الله من أن يجرى هذا عليهم ، وهم أهل البيت الذى نزل كتاب الله تعالى بتطهيرهم ، فقال سبحانه :

« . . . رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ »[٢] .

وفى التوراة أيضاً عن إبراهيم عليه السلام :

أنه كان يوماً قاعداً عند باب فسطاط له ، وأبصر ثلاثة رجال واقفين على مقربة منه ، فجرى إليهم ، وسجد ، وقال : ياساداتى ! إن كنت راضيا عنى ، فلا تخلف عبدك ، حتى أسوق ماء تغسلون به أرجلكم ، وتستريحون تحت هذه الشجرة ، وأقدم لكم كسرة تقوون بها قلوبكم ، وبعد ذلك تذهبون[٣].

---

(١) فى ت : « فتصطك الآذان وتصغى إليه العقول » وليس هناك فرقا جوهريا بين استك واصطك ، فاستكن المسامع : صمت ، واصطك من صكه صكا : إذا ضرب قفاه ووجهه بيد مبسوطة ، وصك الباب : أطبقه .

(٢) هود : ٧٣ .

(٣) والنص فى التوراة :

« وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُوطَاتِ مَمْرَا ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ . فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ ، وَنَظَرَ ، وَإِذَا ثَلَاثَةُ رِجَالٍ وَاقِفُونَ لَدَيْهِ فَلَمَّا رَكَضَ لِاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ ، وَسَجَدَ إِلَى الْأَرْضِ . =

أخبرنى ! .

كيف يستحسن إبراهيم أن يقول على الله : يغسل رجليه ويقوى قلبه بكسرة ؟ .

هذا هو دليلكم على التثليث لمخاطبة الثلاثة مخاطبة رجل واحد وقد أنبأنا الله تبارك وتعالى فى كتابه الحكيم ، على لسان رسوله الكريم ، أن ضيف إبراهيم الذين أتوا إليه تحت العفصة[1] إنما كانوا ملائكة .

وفى التوراة :

أن موسى تجلى الله له فى سيناء وقال له كلاماً كثيراً . . . إلى قوله : قال الله لموسى : أنا هو الذى [لا إله إلا] هو ، أدخل يدك فى جيبك وأخرجها مبروصة كالثلج[2].

= وَقَالَ يَاسَيِّدُ إِنْ كُنْتُ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ، فَلَا تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ لِيُؤْخَذْ قَلِيلُ مَاءٍ وَاغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ ، وَاتَّكِئُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، فَآخُذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ فَتُسْنِدُونَ قُلُوبَكُمْ ، ثُمَّ تَجْتَازُونَ » .

[تكوين ١٨ : ١ – ٥ .

(١) العفص ، جمع عفصة : شجر كثير الانتشار فى لبنان وسوريا والمناطق المجاورة ، وهو نوع من شجر البلوط .

(٢) نص ما ورد فى التوارة :

« ثُمَّ قَالَ لَهُ الرَّبُّ أَدْخِلْ يَدَكَ فِي عُبِّكَ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي عُبِّهِ ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا ، وَإِذَا يَدُهُ بَرْصَاءُ مِثْلَ الثَّلْجِ . . » .

[خروج ٤ : ٦]

وإذا أخرجها مبروصة ، فأى آية فيها ؟ إذ بياض البرص موجود فى الناس . والله أخبرنا فى محكم كتابه ، أنه قال له :

« وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ »[١] .

وفى التوراة عن اللوحين :

أنهما منقوشان بإصبع الله[٢] تبارك وتعالى . والله أخبرنا عن ذلك فى محكم كتابه فقال :

« وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ »[٣] .

وفى التوراة :

سخط الله على الأمة ، بسبب العجل الذى عمله لهم هارون ![٤]

---

(١) النمل : ١٢

(٢) ورد فى التوراة :

« وَاللَّوْحَانِ هُمَا صَنْعَةُ اللهِ وَالْكِتَابَةُ كِتَابَةُ اللهِ مَنْقُوشَةٌ عَلَى اللَّوْحَيْنِ » .

[خروج ٣٢ : ١٦]

(٣) الأعراف : ١٤٥ .

(٤) نص التوراة :

« وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هرُونَ ، وَقَالُوا لَهُ : قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا . لِأَنَّ هٰذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِى أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ . فَقَالَ لَهُمْ هرُونَ انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ

. . . .

= وَبَنَاتِكُمْ وَأْتُونِي بِهَا. فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هٰرُونَ. فَأَخَذَ ذَلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكاً فَقَالُوا هٰذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. فَلَمَّا نَظَرَ هٰرُونُ بَنَى مَذْبَحاً أَمَامَهُ. وَنَادَى هٰرُونُ وَقَالَ غَداً عِيدٌ لِلرَّبِّ. فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ».

[خروج ٣٢: ١ - ٦]

ويفهم من هذا النص أن هارون صنع العجل بيده ، وبنى مذبحا أمامه ، وشرع عيدا له يحتفل فيه بتقديم القرابين لهذا العجل المصنوع من الذهب .

أما القرآن الكريم فيخبرنا أن الذى صنع العجل هو السامرى ، الذى أضل قوم موسى أثناء غيابه عنهم وأن هارون حذرهم من هذا العمل وبين لهم أنها فتنة فلم يسمعوا له يقول الله تعالى :

« وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ . قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ . قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِىُّ . فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى . قَالُوا مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِىُّ . فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ . أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا

فكيف ينبغى لهارون أن يكون الله قد بعثه ، وارتضاه نبياً معيناً لأخيه موسى ، ويعمل لهم العجل بيده ! ! !

وفى التوراة :

أن اسحاق هو الذبيح[1] ، وإنما الذبيح إسماعيل ، ودليل على ذلك أن النحر والذبح [كان] بمنى ، بموطن إسماعيل[2] . وأيضاً فإن قرون الكبش كانت معلقة فى الكعبة من عهد إبراهيم إلى زمن دخول الحجاج ابن يوسف على عبد الله بن الزبير فأحرقت[3] .

يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا . وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَـٰنُ فَاتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوا أَمْرِى » .

[طه : ٨٣ – ٩٠]

(١) راجع الإصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين .

(٢) جاء فى التوراة :

« . . . أَنَّ اللهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ . . فَقَالَ خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ الَّذِى تُحِبُّهُ إِسْحَٰقَ » .

[تكوين ٢٢ : ١ – ٢]

ولم يكن وحيدا ، لأنه رزق بإسماعيل قبل أن يولد إسحاق . ألا يدل هذا على أن رواية التوراة غير دقيقة ؟ وإذا كان الأمر كذلك فلا يعتمد عليها فى الإخبار بأن الذبيح كان إسحاق .

(٣) قال الامام أحمد : حدثنا سفيان ، حدثنا منصور عن خاله نافع ، عن صفية بنت شيبة قالت : أخبرتنى امرأة من بنى سليم ، ولدت عامة أهل ديارنا قالت : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن طلحة ... وقالت مرة إنما سألت عثمان : لم دعاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: قال لى رسول الله : إنى كنت رأيت قرنى الكبش حين دخلت البيت ، فنسيت أن آمرك أن تخطرهما ، فخمرهما فإنه لا ينبغى أن يكون فى البيت شىء يشغل المصلى .

وفى المصحف الأول من التوراة أيضاً يقول :

ورأى الله أن قد كثر فساد الآدميين فى الأرض ، فندم على خلقهم وقال: سأذهب الآدمىّ الذى خلقت على الأرض ، والحشائش ، وطيور السماء . إنى نادم على خلقها جداً جداً[1] .

وفى التوراة أن الحية أغوت حواء على الأكل من الشجرة[2] فقال الله : سأجعل العداوة [بينك وبين المرأة] وبين نسلك ونسلها فترصدين أنت أبدا عراقيبها ، ويرصد [أى نسل المرأة] أبدا رأسك ليسحقه . إلى خبر كثير ، هو مثل الخرافة[3] .

= [وهذا يفيد أنهما أزيلا قبل دخول الحجاج بن يوسف الكعبة ، إلا إن كان المعنى فاسترهما] وفى رواية أخرى ، قال سفيان :

لم يزل قرنا الكبش معلقين فى البيت حتى احترق البيت فاحترقا

وكذلك روى عن ابن عباس أن رأس الكبش لم يزل معلقا عند ميزاب الكعبة ، حتى يبس [ابن كثير : قصص الأنبياء حـ ١ ص ٢١٣ - ٢١٤)

(١) ولفظ التوراة :

« وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ . وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ . فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ . وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ . فَقَالَ الرَّبُّ أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ . الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ . لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ » .

(تكوين ٦ : ٥ — ٧)

(٢) فى ج : « إن الحنش اغوى حوا فى أكل الشجرة » وفى ت : « أن الحنش أغوى حواء فى أكل الشجرة » وسقطت هذه الفقرة من ع .

(٣) إقرأ ذلك فى سفر التكوين الاصحاح الثالث .

والله يخبرنا [عن ذلك] فى محكم كتابه ويقول لنا :

« فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ »[١] .

وفى التوراة :

أن موسى أمرهم بأخذ أموال جيرانهم من أهل مصر على طريق العارية . ثم قال لهم :

يقول الله لـكم ! إهربوا بها لـكم . ففعلوا ، وقالوا : « هى أجرة سخرتنا »[٢] .

وماهم أجرة على الأرامل والمساكين من أهل مصر ، وإنما أجرتهم على فرعون وأهل مملـكته .

---

(١) الأعراف ٢٠ .

(٢) جاء فى التورة :

« ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى . . . تَـكَلَّمْ فِي مَسَامِعِ ٱلشَّعْبِ أَنْ يَطْلُبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ صَاحِبِهِ وَكُلُّ ٱمْرَأَةٍ مِنْ صَاحِبَتِهَا أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ . . . وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى . طَلَبُوا مِنَ ٱلْمِصْرِيِّينَ أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَاباً . وَأَعْطَى الرَّبُّ نِعْمَةً لِلشَّعْبِ فِي عُيُونِ ٱلْمِصْرِيِّينَ حَتَّى أَعَارُوهُمْ . فَسَلَبُوا الْمِصْرِيِّينَ . »

[الخروج ١١ : ١ — ٢ ، ١٢ : ٣٥ — ٣٦]

وَقَالَ اللهُ أَيْضاً لِمُوسَى هَـكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ . . . تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةِ بَيْتِهَا أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَاباً ، وَتَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ ، فَتَسْلُبُونَ ٱلْمِصْرِيِّينَ » .

(خروج ٣ : ١٥ ، ٢٢)

والله تعالى يأمر محمداً صلى الله عليه وسلم حين خرج بالمهاجرين هارباً من مكة ، أن تؤدى كل أمانة إلى أهلها ، وأنزل عليه فى كتابه العزيز :

« إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا »(١) .

وفى التوراة أيضاً :

« لا تُرْبِ على أخيك رباً بفضة ، ولا ربا بطعام ، ولا ربا من جميع الأشياء كلها . ثم فيها بعد هذا :

على الأجنبى ارْبِ وعلى أخيك فلا ترب ، لأجل أن يباركك الرب إلهك »(٢) .

وبهذه الآية استحلوا فى الأمم الربا ، والسرقة ، والكذب ، والفجور ، والفسق .

ثم تأكد رأيهم فى ذلك بما فى آخر السورة حيث يقولون :

---

(١) النساء : ٥٨

(٢) نص التوراة :

« لَا تُقْرِضْ أَخَاكَ بِرِباً ، رِبَا فِضَّةٍ أَوْ رِبَا طَعَامٍ أَوْ رِبَا شَيْءٍ مَّا مِمَّا يُقْرَضُ بِرِباً . لِلْأَجْنَبِيِّ تُقْرِضُ بِرِباً ، وَلَـكِنْ لِأَخِيكَ لَا تُقْرِضْ بِرِباً ، لِـكَيْ يُبَارِكَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ فِي كُلِّ مَا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ يَدُكَ فِي الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا » .

[تثنية ٢٣ : ١٩ — ٢٠]

« لاتسرقوا ، ولا تكذبوا ، ولا يفجر المرء بأخيه »[١].

فتأولوا فى هذا الإخاء : أنه لليهود خاصة ، دون سائر الأمم من بنى آدم!.

ويبين قولهم هذا قول الله تعالى :

« . . . ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ »[٢].

وفى التوراة أيضاً :

« أن الله عز وجل تصارع مع يعقوب ، فضرب به يعقوب الأرض »[٣]

تعالى الله عز وجل عن قولهم علواً كبيراً .

---

(١) ليس فى آخر سفر التثنية ، بل فى الإصحاح الخامس منه حيث يقول :

« لاَ تَقْتُلْ ، وَلاَ تَزْنِ ، وَلاَ تَسْرِقْ ، وَلاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ » .

[تثنية ٥ : ١٧ – ٢٠ ، خروج ٢٠ : ١٤ – ١٦]

(٢) آل عمران : ٧٥ .

(٣) جاء فى التوراة :

« . . فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ . وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ . وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ . فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ . وَقَالَ أَطْلِقْنِي لِأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ . فَقَالَ لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي . فَقَالَ لَهُ مَا اسْمُكَ ؟ فَقَالَ يَعْقُوبُ . فَقَالَ لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ ، بَلْ إِسْرَائِيلَ . لِأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ . وَسَأَلَ يَعْقُوبُ وَقَالَ أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ . فَقَالَ لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي ؟ وَبَارَكَهُ هُنَاكَ . =

وفى التوراة أيضاً :

« أن بنى إسرائيل يسكنون تلك الأرض إلى انقراض الدنيا »[١] .

ثم لم يلبثوا أن رأيناهم أُخْرِجوا منها رأى العين[٢] .

وفى التوراة أيضاً :

أن الله قال لهم أن يضربوا القرن فى عسكرهم قليلا قليلا ، حتى يلقوا عدوهم ، فحينئذ يضربونه بأشد ما يقدرون ، ليسمعهم الله ، فيؤيدهم على عدوهم .

كأن الله سبحانه وتعالى لا يسمع إلا الأصوات العالية ، وقد وصف تعالى نفسه فى كتابه على لسان رسوله ، فقال سبحانه وتعالى :

« وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى »[٣] .

= فَدَعَا يَعْقُوبُ ٱسْمَ ٱلْمَكَانِ فَنِيئِيلَ . قَائِلاً لِأَنِّي نَظَرْتُ ٱللّٰهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ وَنُجِّيَتْ نَفْسِي . »

[تكوين ٣٢ : ٢٤ - ٣٠]

(١) ورد فى التوراة :

« أُذْكُرْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ عَبِيدَكَ ٱلَّذِينَ حَلَفْتَ لَهُمْ بِنَفْسِكَ وَقُلْتَ لَهُمْ أُكَثِّرُ نَسْلَكُمْ كَنُجُومِ ٱلسَّمَاءِ وَأُعْطِي نَسْلَكُمْ كُلَّ هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي تَكَلَّمْتُ عَنْهَا فَيَمْلِكُونَهَا إِلَى ٱلْأَبَدِ » .

[خروج ٣٢ : ١٣]

ليس لليهود أن يستدلوا بهذا النص - على فرض صحته - على أحقيتهم - دون العرب - فى امتلاك أرض فلسطين ، لأن العرب أيضاً من نسل إبراهيم عليه السلام .

(٢) فقد نفاهم الآشوريون إلى بابل فى عام ٧٢٢ ق . م .

(٣) طه : ٧ .

وفى التوراة أيضاً[١] :

أن الله كالإنسان ، شخص وجوارح ، وقد وصف الله نفسه فى كتابه العزيز ، فقال تعالى :

« لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ . »[٢]

وقد تممت النصارى هذا القول المكتوب فى التوراة ،وزادت فيه كفراً على اليهود حيث تقرأ فى إنجيلهم[٣] عن يوحنا الحوارى ، ـ وكلامه عندهم كلام الله تعالى ـ فيقول ـ بزعمهم ـ :

إنه حين عرج به إلى السماء ، رأى الله سبحانه وتعالى ،وهو شيخ أبيض الرأس واللحية ، ورجلاه من لاطون[٤] ، والأسواق بين يديه قائمة ، والنداء على القمح ، والشعير ، والزيت ، والخبز ، كذا وكذا ، قفيزاً بدينار كذا وكذا قسطاً بدينار[٥] .

---

(١) سقطت هذه الفقرة من ج .

(٢) الشورى ١١ .

(٣) فى ج : « فى صلواتها » ، وفى ت : « صلاتها » .

(٤) كذا فى ج ، ت أما فى نص الإنجيل : « ورجلاه شبه النحاس النقى » .

(٥) نص ما جاء فى رؤيا يوحنا اللاهوتى :

« فَالْتَفَتُّ لِأَنْظُرَ الصَّوْتَ الَّذِى تَكَلَّمَ مَعِى ، وَلَمَّا الْتَفَتُّ رَأَيْتُ سَبْعَ مَنَايِرَ مِنْ ذَهَبٍ . وَفِى وَسْطِ السَّبْعِ الْمَنَايِرِ شِبْهُ ابْنِ إِنْسَانٍ مُتَسَرْبِلاً بِثَوْبٍ إِلَى الرِّجْلَيْنِ وَمُتَمَنْطِقاً عِنْدَ ثَدْيَيْهِ بِمِنْطَقَةٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَمَّا رَأْسُهُ وَشَعْرُهُ فَأَبْيَضَانِ كَالصُّوفِ الْأَبْيَضِ كَالثَّلْجِ وَعَيْنَاهُ كَلَهِيبِ نَارٍ وَرِجْلَاهُ شِبْهُ النُّحَاسِ النَّقِيِّ كَأَنَّهُمَا مَحْمِيَّتَانِ فِى أَتُونٍ . وَصَوْتُهُ =

وفى التوراة أيضاً :

أن الله حين أمر بنى إسرائيل بالتوجه إلى الشام ، وعدهم أن يتوجه معهم ، وأمرهم أن يعملوا له قبة على صفة كذا وكذا ، ينزل فيها فى سيره معهم .

ثم إن موسى قال له :

يارب ! إن هذه الأمة القاسية رقابها ، لا تمضى لك إلى الشام ، حتى تمضى معها كما وعدتها . فقال الله :

نعم ، اعملوا لى القبة ، فعمل موسى القبة ، وسماها قبة العهد .

ونزل الله عن عرشه ، وسار معهم داخل القبة ، ينزل بنزولهم ويرحل برحيلهم . هذا نص التوراة[1] .

وعندهم أيضاً من بقية هذا الخبر :

أنهم لما جمعوا المال لعمارة هذه القبة ، أجروا إنفاقه على يد موسى

= كَصَوْتِ مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ وَمَعَهُ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى سَبْعَةُ كَوَاكِبَ . وَسَيْفٌ مَاضٍ ذُو حَدَّيْنِ يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ وَوَجْهُهُ كَالشَّمْسِ وَهِيَ تُضِيءُ فِي قُوَّتِهَا فَلَمَّا رَأَيْتُهُ سَقَطْتُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ كَمَيِّتٍ فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَيَّ قَائِلاً لِي لاَ تَخَفْ أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالْحَيُّ . . . لأَنَّكَ تَقُولُ إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ وَلاَ حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ وَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ الشَّقِيُّ وَالْبَئِسُ وَفَقِيرٌ وَأَعْمَى وَعُرْيَانٌ . أُشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِيَ مِنِّي ذَهَباً مُصَفًّى بِالنَّارِ لِكَيْ تَسْتَغْنِيَ . وَثِيَاباً بِيضاً لِكَيْ تَلْبَسَ . . »

[١ : ١٢ – ١٨ ، ٣ : ١٧ – ١٨]

(١) قارن : خروج ، إصحاح ٢٣ وإصحاح ٤٠ .

عليه السلام ، فلما أكمل عملها ، ادعوا عليه أن قد نقصهم من المال ألفه رطل ، وسبعمائة رطل ، وخمسة وسبعون رطلا .

وقالوا لموسى اتهاماً :

أين نقص هذا المال ؟ وقد جرى الإنفاق على يديك . فسمعوا صوتاً من السماء يقول لهم :

إن هذا العدد دخل فى رؤس الأعمدة وفى التغشية . فحينئذ كفوا عنه .

وفى التوراة أيضاً عن نوح عليه السلام :

« أنه رقد ، وأولاده أمامه ، فانكشفت عورته ، فضحك ابنه حام من ذلك ، فجاء ابنه الآخر سام . وألقى قفاه إلى جهة عورة أبيه ، يمشى إلى ورائه ، حتى غطاه ، واستيقظ نوح ، ودعا على حام . وقال : سيسود لونك وتكون أولادك عبيداً لأولاد أخيك »[١] .

إلى غير ذلك من أحاديث العجائز والصبيان .

وفى التوراة أيضاً عن موسى :

« أنه قال لبنى إسرائيل فى الوصية التى وصاهم بها فقال [الله] فى آخرها :

إن كفرت بربك ، وحدت عن سبيله ، وعبدت الآلهة الأجنبية ، يبتليك الله بدواهى مصر ، ويضرب السل[٢] جسدك الذى يصدر عنه الزبل بالجرب والحكاك الذى لا دواء له ، وتتزوج زوجاً ويضاجعها غيرك[٣] .

---

(١) راجع : تكوين ٩ : ٢١ – ٢٧

(٢) فى ج : « الحرس » ، وفى ت : « الجزم » ، وسقطت هذه الفقرة من ع .

(٣) نص ما جاء فى التوراة : =

وهذه الكناية كلها تصريح بالفطم ، والقرن والزنم[١] .

فإما أن يكون هذا خللا فيها ، وإما أن يكون القوم كلهم فطمة ، زنما ، قرانين .

فهل [يقوم][٢] الله تعالى بترك أنواع ما خلقه من العذاب للانتقام من أعدائه ، ويهدد قوماً على لسان نبيه الكريم موسى عليه السلام بهذه الفواحش ؟

وإن كان بنو إسرائيل يقولون :

إنهم لم يعبدوا الآلهة الأجنبية فقد كابروا العيان[٣] .

= « وَلَـكِنْ إِنْ لَمْ تَسْمَعْ لِصَوْتِ ٱلرَّبِّ إِلَٰهِكَ . . . . . يَضْرِبُكَ الرَّبُّ بِقَرْحَةِ مِصْرَ ، وَبِالْبَوَاسِيرِ وَالْجَرَبِ ، وَالْحِكَّةِ ، حَتَّى لَا تَسْتَطِيعُ الشِّفَاءَ . . . . تَخْطُبُ امْرَأَةً ، وَرَجُلٌ آخَرُ يَضْطَجِعُ مَعَهَا . . . »

[اقرأ الإصحاح الثامن والعشرين من سفر التثنية]

(١) الفطم : القطع ، فطم الحبل : فطمه : والقرن جمع قران : السيف والنبل ، والزنيم ، والزنم : والمستحق فى قوم ليس منهم ولا يحتاج إليه ، ومنه قول حسان :

وَأَنْتَ زَنِيمٌ نِيطَ فِي آلِ هَاشِمٍ كَمَا نِيطَ خَلْفَ الرَّاكِبِ الْقَدَحُ الْفَرْدُ

يرى أبو عبيدة أن ماجاء فى التوارة ينذر اليهود ـ وأن هم عبدوا آلهة أخرى غير الله ـ بغضب الله ، فيمنع عنهم رحمته ، ويصب عليهم العذاب متمثلا فى أمراض تنتشر بينهم ، وفى إشاعة الفاحشة بينهم ، فيخرج جيل دعى زنيم ينتسب لغير أبيه ، لأن أمه أتت به من رجل أجنبى عن فراش الزوجية .

(٢) فى ج ، ت : « يكون » .

(٣) زيد فى « ج » و « ت » :

« ولا تفعلوا [وصحتها وقد فعلوا] ذلك ، فإنه نص فى كتبهم ما كان من خبرهم مع البلشتيم [لعله يقصد الفلسطينيين] ، وفى أيام دانيال وغير ذلك مما =

ثم إنهم فى المصحف المسمى عندهم « سفر صموئيل الثانى »(١) :

« أن داود عليه السلام اطلع من قصره ، فرأى امرأة من نساء المؤمنين تغتسل فى دارها فعشقها ، وبعث إليها ، وحبسها أياماً عنده حتى حبلت منه ـ تعالى الله عن قولهم ـ ثم ردها . وكان زوجها [وهو] يسمى « أوريا » غائبا فى العسكر ، ولما علمت المرأة بالحمل أرسلت [بخبره] إلى داود ، فبعث داود إلى يوآب قائده على ذلك المعسكر ، يأمره بأن يبعث إليه « بأوريا » زوج المرأة . فجاءه فصنع له طعاماً وخمراً حتى سكر ، وأمره بالانصراف إلى أهله ليواقعها ، فينسب الحمل إليه ففهم « أوريا » المقصد(٢) وتخابث عليه ولم

= لا خفاء به ، ولكن سيقولون إن ذلك إنما كانت علة البواسير التى ابتلى الله بها البلستيم ، وهم من الزنج فى اليوم الذى أخذوا فيه تابوت العهد ، فهذا محال ، لأن داود عليه السلام لما عظمت عليه المعرة الأبدية ، والتى حلت ببنى إسرائيل ، فنسب إلى الله بزعمهم الخروج عن الاعتدال حين قال عنه تبارك وتعالى . انتبه الله كالنائم غير محصل لما ينتحله ، وكمثل من لا يستثبت فى أفعاله . واعتبر أيضا بشاعة هذا القول المنسوب إلى داود وفى الله تعالى ، فلو كانت تلك الداهية ، إنما حلت بالبلستيم ، غير لم يعظم ذلك على داود ، لأنه ليس من البلستيم ، وإنما هو من بنى إسرائيل . وأيضاً فإن داود قد قدم أن الله تعالى ترك فسطاطه ، الذى كان أبدا يسكنه ، ولم يكن للبلستيم فسطاط لله ، وقد قدم داود أن كوهانهم استوصلوا جميعا ، ولم يكن قط فى البلستيم ، كوهان . وأيضا فإن البواسير داء كالجذام والبرص ، ولا محالة أن الجزء من الجسد الذى يصدر عنه الزبل إنما هو الأست ، لأنه خاف أن يظن السامع أنه العين أو الأذن ، أو غير ذلك من الجوارح ، فخصه بذلك ، ثم قال : الجرب والحكاك الذى لا دواء له فتزوج زوجا يضاجعها غيرك . اعتبر هذا الافصاح ، وكذلك لايصلح بمأبون قطيم أن يكون غير قرنان زنيم . وهذا كله لايدفع فيه أحد ، وإنا ذكرته لنبين ما نسبوا إلى الله من القبائح فى كتبهم »

(١) فى ج ، ت : « سفر ملاحيم » . وفى ع : « سفر الملاك الثانى » .
(٢) من ت ، وفى ج ، ع : ففهم الأمر أوريا .

يمش إلى أهله ، وقال : حاشا الله أن يكون الملك هنا ، وأمشى أنا إلى أهلى. فلما يئس داود منه رده إلى العسكر ، وكتب إلى القائد أن يصدر به فى القتال مستقتلا له ، فقتل « أوريا » ، وقُتل معه من المؤمنين[1] سبعة آلاف

وفزع القائد من داود لقتل ذلك العدد العظيم من المؤمنين ، وقال للرسول :

إذا أنت أخبرت الملك داود بقتل الناس ، ورأيته قد غضب[2] فقل له مسرعاً : « أوريا » قد قتل فيهم .

ففعل الرسول ، وسكن داود بعد الغضب ، وسُر بموت « أوريا » ، وهانت عليه من أجل موته دماء المؤمنين[3] .

[فانظر وتأمل هذه الصفات الموصوف بها داود ! هل توصف الأشرار والشياطين بأشنع من هذا؟ كلا إن هذا لهو الضلال المبين][4] .وكتبوا[5] فى هذا المصحف :

أن « أمنون » بن داود عشق أخته «ثامار» بنت داود ، وتمارض فعاده أبوه ، فتمنى عليه طعاماً ، تطعمه إياه أخته « ثامار » ، فبعث بها داود

---

(١) من ت ، وفى ج ، و ع : « من المسلمين » .

(٢) من ت ع ، وفى ج : « ورأيته قد خرج » .

(٣) راجع صموئيل الثانى ١١ : ٢ – ٢٦ !

(٤) هذه الفقرة من ع أما فى ج ، وت : « فاعتبر هذه الصفات الموصوف بها داود ! هل يوصف فروج المجرمين ، وقلوب الشياطين بأشنع من هذا » .

(٥) فى ج : « وكثيراً » أما فى ع فقد سقطت هذه الفقرة .

إليه ، فلما قربت إليه الطعام ، وضع فيها يده وافتضها[١] ، فخرجت باكية فلقيها أخوها الآخر ، شقيقها « أبشالوم »[٢] ، فأخبرته ، فهون عليها . ثم بعد أيام[٣] وثب على « أمنون » ، فقتله من أجل ذلك »[٤] .

وكتبوا فى هذا المصحف :

« أن « أبشالوم » بن داود ثار[٥] على أبيه ، وأخرجه من قصره ودخل إلى نسائه ، فوطئهن كلهن على أعين بنى إسرائيل [مبالغة][٦] فى الانتقام من أبيه »[٧] .

وكتبوا فى هذه المصحف عن سليمان بن داود :

« أنه ختم عمره ، بعبادة الأصنام ، والشجر ، وسبت نساؤه دينه »[٨] .

ومن أعجب الأشياء أنكم تقولون بالتوراة التى بأيدى اليهود إلى اليوم

---

(١) هكذا فى ج ، ت أما النص فى الكتاب المقدس فيقول : « . بل تمكن منها ، وقهرها ، واضطجع معها » .

(٢) أما أمنون فهو أخوها لأب .

(٣) فى الكتاب المقدس : « ثم بعد سنتين من الزمان »

(٤) راجع هذه القصة فى صموئيل الثانى ، الإصحاح الثالث عشر !

(٥) من ج ، وت والفقرة ساقطة من ع

(٦) فى ج ، وت : «استيلاءا فى الانتقام » .

(٧) اقرأ هذه القصة فى صموئيل الثانى الإصحاح الخامس عشر ، والسادس عشر .

(٨) جاء فى سفر الملوك الأول أن سليمان أحب نساء غريبة ، فأملن قلبه لأصنامهن اللاتى كن يعبدنها ، فبنى لها معبداً .

[راجع سفر الملوك الأول ١١ : ١ – ١٣]

وتدعون الإيمان بها ، وتعيبوننا على مخالفتها ، وقد رأيت فى كتابكم من مناقضتها ما ذكرت بعضه فيما مضى من هذه الرسالة ، وفيما يأتى - إن شاء الله - من [تحويل][1] حلالها حراماً ، وسبتها أحداً وختانها تغطيساً .

وإن من أعجب الأشياء ، دعواكم بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهم موحدون ، وأنتم تشركون بالخالق إنساناً ، وكانوا مختقنين وأنتم لا تختتنون ، وأنتم القائلون : إن إلـهكم المعبود عيسى كان مختوناً ، وكذلك الحواريون الاثنا عشر - وهم «شمعون» « وأندراوس » ، «ويوحنا» ، «ويعقوب» ، « وفيلُبُّس » ، «وبَرْثولَماوُس » ، «وتوما» ، «ومتى » العشار ، ويعقوب ابن حلفى ، « ولَبَّاوُس» ، «وسمعان» القانونى ، «ويهوذا» الاسخريوطى[2] - ثم سائر التلاميذ الذين صحبوه .

فتركتم الاقتداء بهم وبمن تقدم ذكره من الأنبياء ، ثم الأولياء ، وركنتم إلى ما افترته [غواتكم ، وغيرهم][3] وما اختلقه قسطنطين ، واختلق له بعد ذهاب المسيح بما يقرب من ثلاثمائة سنة ، من أن يحيى سن التغطيس ، وغطس المسيح . وكتب ذلك فى أناجيلكم ، [وزيد][4]

---

(١) فى ج ، وت : « صرف » وسقطت الفقرة من ع .

(٢) فى ج ، وت : « شمعون وازرياش ويوحنا ويعقوب ، وملبش ، وترتكاوس ، وطرياش ويعقوب العالى وطنا الكنعانى ولوقا ومتى .

ويبدو أن فى بعضها تحريفا ، كما أضيف إليها اسم « لوقا » ، ولم يكن من تلاميذ المسيح الاثنى عشر .

[راجع مق ١٠ : ٢ - ٤

(٣) فى ج : « الانه » ، وفى ت : « ولانه » .

(٤) فى ج ، وت : « وجىء » والفقرة ساقطة من ع .

عليه من القحايل ، وغث الأقاويل بما يطول وصفه .

فكيف يرغب يحيى والمسيح عن شريعة شرعها إبراهيم ، وسن سنتها فى نفسه ، وولده ، ثم أقرتها التوراة ، واقتفتها الأنبياء عليهم السلام .

وأعجب أيضاً من ادعائكم الإيمان بالتوراة التى بأيدى اليهود إلى اليوم حرفا حرفا . ثم رأيت[1] فى كتاب أحد مطارنكم [إذ] ينتقص موسى باتخاذه المرأة السوداء[2] . [وعندما] يجىء إلى ذكر التوراة ، قال عنها : العجوز القبطية ، الممتزقة الفرج ، القحباء التى أعارت فرجها لخلانها الفلسطينيين ، ذوى الغعلات الجارية .

ثم لا يذكر التوراة فى سطر من كتابه إلا أعاد عليها هذه النعوت القبيحة ، وذكر هذه المعاير التى قدمت آنفاً ، حققها على اليهود[3] بأطول حديث مما ذكرته .

وأما الإنجيل الذى بأيديكم ، فحسبى ما قدمت من ذكره فى هذه الرسالة. فإذا كان هذا حال توراتكم ، وأناجيلكم ، وسائر الصحف المنزلة عند اليهود أئمتكم وعمد ملتكم ـ ولا محالة أن هذه الكتب قطب شرائعكم ، وأصل ديانتكم ـ فكيف حال سائر أحاديثكم مما تناقلتموه بينكم من الآثار ؟ ، ولولا الأدب والحياء لكنت أورد عليك بعضاً من تلك القبائح ، والمستحيلات التى

---

(١) فى ج : « سم رأيته » ، وفى ت :

(٢) نص التوراة :

« وَتَكَلَّمَتْ مَرْيَمُ وَهٰرُونُ عَلَى مُوسَى بِسَبَبِ ٱلْمَرْأَةِ ٱلْكُوشِيَّةِ ٱلَّتِي ٱتَّخَذَهَا » [عدد ١٢ : ١]

(٣) من ت ، وفى ج : « الحديث » .

هى أشهر من أن تذكر ، ولـكن فيما مرّ عليك الـكفاية ، وأنت أعلم بباقى الخرافات ، والناس أجمعون ـ[١] .

[الرد على الشبهة الخامسة]

وكيف يُلتفت إلى قولـكم عن مريم ، أم المسيح أنها بنت يعقيم ؟ تضاهون[٢] بذلك قولـكم فى ابنها ، حين اختلفتم فيه ، وفى خطيب أمه ، يوسف ؛ فبعضكم قال :

يوسف بن هالى ، وبعضكم قال :

يوسف بن يعقوب .

واليهود قالت :

يوسف بن يهوذا[٣] ، وبعضهم قال :

يوسف النجار وبعضهم قال :

يوسف الحداد .

ومثل هذا علمـكم بمريم وابنها .

أخبرنى !

من أين حصل لـكم العلم بالمسيح وأمه ؟

إن قسطنطين بن هلانة ، الذى تعبّدكم[٤] به ، وذكره لـكم لم يكن يعلم : ما معنى مسيح ! ولا ما هو ! ، ولا من هو !

---

(١) هذه الفقرة من ع . وسقطت من ج ، وت .

(٢) من ع ، ج . أما فى ت : « تظاهرون » وليس بسديد ، لأن معنى مضاهاة : مشابهة الشىء بالشىء . وهو أقرب إلى النص .

(٣) هكذا فى ج ، ع ، أما فى ت : « ... يهوه » .

(٤) يقال تعبده : دعاه للطاعة ، أو اتخذه عبيداً ، أو عامله كعبد له .

وإنما حمله على ذلك نفر من أحبار اليهود ، لا خلاق لهم ، على [نحو] ما تقدم ذكره فى هذه الرسالة .

ثم من أين نسب إلينا اعتقاد أم المسيح أختًا لموسى وهارون ؟

وما عندنا ريب فى أن أم المسيح ، إنما هى ابنة عمران بن متان بن أليود ، ابن أخيم بن صادوق ، بن عازور ، بن ألياقيم ، بن أبيهود ، بن زَرُبَّابِل بن شألتِئيل ، بن يكنيا ، بن يُوشِيَّا بن آمون ، بن مَنَسَّى ، بن حزقيا بن أحاز ، .... ابن يهوذا ، بن يعقوب بن إسحاق ، بن إبراهيم عليهم السلام[1] .

وأما مريم الأخرى ، التى هى أخت موسى وهارون ، فهى ابنة عمران بن [يصهر بن] قاهث ، بن لاوى ، بن يعقوب بن إسحاق ، بن إبراهيم عليهم السلام .

وأم المسيح من سبط يهوذا . وهذه [أى مريم أخت موسى وهارون من سبط لاوى ، وأم المسيح دخلت بيت المقدس وهذه] لم تدخل قط بيت المقدس ، وإنما خرجت مع أخيها موسى من مصر ، وماتت فى برية سيناء .

وهى عند اليهود ، نبية بنص التوراة[2] وأم المسيح عندهم ملومة ، مقذوفة بالسوء .

---

(١) فى ج ، ت تقديم وتأخير فى سلسلة النسب ، وكذلك تحريف فى بعض الأسماء ، وقد رجعنا فى تصحيحها إلى إنجيل متى فى الإصحاح الأول الذى يتحدث متى فى أوله ، عن شجرة نسب يوسف خطيب مريم ، إذ لم تذكر الأناجيل ولا غيرها من الكتب المسيحية نسب والد مريم ، غير أنه جاء فى أساطيرهم أنه يؤاخيم بن متان . فهل هو متان والد يعقوب ـ كما ذكر إنجيل متى — وجدّ يوسف ، يحتمل ! وبناء عليه يكون يوسف النجار ابن عم مريم ، وقد ذكر المؤلف نسب يوسف من أول متان — على أنه نسب مريم .

(٢) خروج ١٥ : ٢٠ .

وأما ما سمعته ، أو رأيته فى كتابنا من قول اليهود لأم المسيح :

« يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا » [(١)] .

فإن قولهم ، ذلك ، إنما هو على وجه السب لها ، لأن هارون هذا عنوا به رجلا عاهراً [كان عندهم] ، يستكثر من البغايا ، وعظيم الشهرة عندهم فى ذلك الزمان ، يسمى هارون[(٢)] .

وأما أن يكون هارون فى هذه الآية كما زعمتم ، فهذا غاية الجهل ، لأن الذى بينهما من الزمان ألف وخمسمائة سنة[(٣)] .

فكيف يجوز أن يتوهم أحد هذا[(٤)] ؟

---

(١) مريم : ٢٨

(٢) جاء فى هامش الصفحة ى ت : « قوله إنما عنوا به السب الخ أقول : إن الجلال المحلى فى تفسير سورة مريم قال : إنما هو رجل صالح ، اشتهر بالعفة ، فيكون إنما عنوا به المدح ، وأن ذلك الرجل الصالح كان فى ذلك الزمان يسمى هارون . وهذا هو المناسب واللائق رضا من كلماته بالأصل وقلت أيضاً : أسلوب الخطاب يقتضى المدح ، وهو المتبادر للفهم .

(٣) فى ج ، ت : « لأن الذى بينهما ألف سنة ، وستمائة سنة وزهاء أربعين سنة » وفى ع « لأن الذى بينهما من الزمان ألف وستمائة سنة ، وأربعون سنة وكسور » . وكلا التعبيرين غير صحيح ، لأن موسى كان قبل الميلاد بحوالى ١٥٠٠ سنة .

[انظر Nölle S. 359]

(٤) انظر المهموشة رقم ٤ فى ص ٤ ١ .

[الرد على الشبهة الثانية]

وأما استدلالك على باطلنا بما فى كتابنا ، من نـكاح مثنى ، وثلاث ، ورباع ، لحسبى هذا الاستدلال شهيداً على تخلفك ، فإن الذى أمرنا الله به من النـكاح ، وسن لنا من الطلاق ، ليس للعاقل انتقاده ، لأن قبولنا لذلك ، وما أشبهه ، إنما هو بعد ثبوت الأصل .

وإنما الأصل أن نتحقق نبوة الشارع ، ونتبين صدق رسالته ، بشواهد آياته الباهرة ، ومعجزاته الطاهرة .

فإذا أردت النظر فى هذه الفروع بانتقاد ، فهلم أريك عجباً !

ألستم قد انفقتم معنا [على] أن نـكاح الرجل عمته من سوء الأفعال ؟

وهذه « يوكابد » أم موسى ، كانت عمة والدة عمران[1] ، وعمران من فضلاء المؤمنين .

وكذلك الجمع بين الأختين بنـكاح من مقبحات الشرائع أيضاً !

وقد علمت أن إسرائيل جمع بينهما[2] ، فما بال عيناك أبصرتا فى فى كتابنا شيئاً ، وعميتا عن الأكبر منه فى كتابك !

أما إنك لتراه ، ولـكن رضاك عن فاعليه ، وبصيرتك فى أنهما محقان ، منعك من انتقاد ما فعلاه .

---

(١) خروج ٦ : ٢٠ .
(٢) تـكوين ٢٩ : ١٥ — ٣٠ .

وكذلك الأمر فيا شرع لى كتابى[١] ، وإنما يتقدم النظر فى الأصول التى هى آيات صدق الرسول .

وأما هذا الذى اعترضت به منكراً ، فجهل[٢] قد استولى عليك، والله يهديك ويرشدك .

ولو كان الله أمر ـ كما زعمت ـ بالاقتداء بآدم فى تزوجه بامرأة واحدة، فهل علم بذلك إبراهيم ؟ وما أراه إلا تزوج وتسرى فى وقت واحد[٣] .

ولوط عليه السلام ، زعمت أنه فتك بابنتيه ، فحبلتا منه بموآب ، وعمون. نستغفر الله من قولكم .

ثم إن إسرائيل ، قد كان عنده عدة أزواج ، جمع فيها بين الأختين .

وهذا كله منصوص فى توراتكم . وكذلك من بعدهم من الأنبياء عليهم السلام إلى دواد ، وسليمان ، فقد علمتم مناكحهم[٤] .

وهل اقتصر آدم على واحدة إلا من ضروة العدم عند بدء خلق البشر ! ولهذه الضرورة زوج ابنه ابنته ، فيجب [بناء] على مذهبك الاقتداء به ، فينكح الرجل أخته ، فأنت القائل لذلك الهذيان ، تعيب به من خالف توراة اليهود .

ثم إنك ـ مع ادعائك الإيمان بها حرفا حرفا ـ مخالف لها أشنع الخلاف ،

---

(١) انظر الرد على الشبهة فى المهموشة رقم ٣ ص ٩٤ .

(٢) هكذا فى ج ، ع أما فى ت : « فبخلل » .

(٣) انظر تكوين ١٦ : ١ ـ ٣ .

(٤) انظر صموئيل ٢٥ : ٤٣ ، الملوك الأول ١١ : ٣١ .

ماحٍ لعقائدها ، مبدل لأحكامها ، فمن حلالها نكاح بنت الأخ والأخت ، وأراكم تأنفون من ذلك مثل ما نحن قد أنفنا منه[١] .

ومن محرماتها الخنزير ، والدم ، والجمل ، والشحم وغير ذلك مما هو مشهور ، وأنت قد أرسلت عليها ضرسك ، ونشرت لها بطنك ، إلى غير ذلك من مخالفتك إياها .

[الرد على الشبهة الرابعة]

وعجبى من تعجبك ، إذا رأيت فى كتابى آية القتال :

« وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ »[٢] .

وقولك لى : إن فى التوراة نقيض ذلك فى قوله :

لا يكون قتال بين بنى آدم ، فالقاتل والمقتول فى النار[٣] .

فأخبرنى ! كيف استجاز موسى عليه السلام ـ بعد ما أنزل الله عليه هذا ـ أن يحارب أعداءه من أهل مدين ، وولد عملاق ، ويطلبهم فى ديارهم ، ويناوشهم مع أن مدين[٤] كانت تستحق منه جزاء جميلا على إحسانها ، حيث كانت آوته عندها[٥] ؟

---

(١) يقصد بذلك التحريم .

(٢) التوبة ١١١ .

(٣) ارجع إلى ص ٥٣ .

(٤) هكذا فى ع ، أما فى ج ، وت : « وأما مدين .. » .

(٥) يشير بذلك إلى ما جاء فى القرآن الكريم ، من أن موسى خرج من مصر خائفا بعد أن قتل المصرى ، فلجأ إلى مدين ، حيث أقام مع شعيب ، يرعى غنمه فى مقابل أن يتزوج إحدى ابنته . [اقرأ القصص ١٥ — ٢٨]

فلتعلم أيها المغرور أنك قد ذممت النبي موسى صلى الله عليه وسلم ، وجعلته غير مطيع لربه .

ولا محالة أن موسى عليه السلام لم يحارب مدين ، وولد عملاق ومن شاء الله أن يحارب — ولو كان فيهم أبواه وولده — إلا ممتثلا أمر ربه بذلك ، لا يمكنه خلافه ، من حيث هو نبيه المرتضى ، ورسوله المصطفى ، صلى الله عليه وسلم .

[النسخ في التوراة والإنجيل]

ثم قلت في كتابك :

« لأن النسخ مقدمة من مقدمات شريعتنا ... » .

وهذه لهجة منكر للنسخ[1] ، كأنه غير معروف في سبل الأنبياء عليهم السلام ، ولا معمول به[2] في نحلها ، ولا منصوص في التوراة ، وسائر الكتب التي بأيديكم !!!

ففي التوراة التي بأيديكم ، وأيدي اليهود ما فيها :

من ذكر السبت ، وتحريم العمل ، والحروب ، وغير ذلك من الأشغال[3] والسبت آكد فروض التوراة ، وأهم لوازمها .

---

(١) في ت : « تمييه منكرا للنسخ » ، وفي ع : « نفثه منكر للنسخ » ، وفي ج مسه منكر . النسخ » بدون نقط الكلمة الأولى .

(٢) كذا في ع ، أما في ج : « ولا معمول عليه » ، وفي ت : « ولا معول عليه » .

(٣) ارجع إلى : خروج ١٦ : ٢٩ ، ٢٠ : ٨ — ١٠ ، ٣٠ : ١٤ — ١٥ ، ٣٦ : ١ — ٣ ، وإلى العدد ١٥ : ٣٢ — ٣٦ .

ثم قال فى آخر التوراة لهارون :

« ... وَفِي يَوْمِ ٱلسَّبْتِ خَرُوفَانِ حَوْلِيَّانِ صَحِيحَانِ وعُشْرَانِ مِنْ دَقِيقٍ مَلْتُوتٍ بِزَيْتٍ تَقْدِمَةً مَعَ سَكِيبِهِ .... »[1].

وهذا عمل طويل ، وشغل ممتد من ذبح ، وسلخ ، وتفصيل ، وعجن السميد ، وتقريصه بعد اللت بالزيت .

وفى التوراة أيضاً يأمرهم بطاعة « يشوع »[2] ، ثم يأمر « يشوع » بمحاربة أريحا فى جميع الأيام المتصلة ، وأمره بتضعيف المحاربة ، يوم السبت ، وأن يتسور فيه على أريحا مع الكهنة ، وسائر العسكر ، [وأن يدور دائرة المدينة] سبع مرات بأشد المحاربة ، فقال فى نص التوراة :

« قَدْ دَفَعْتُ بِيَدِكَ أَرِيحَا وَمَلِكَهَا جَبَابِرَةَ ٱلْبَأْسِ . تَدُورُونَ دَائِرَةَ ٱلْمَدِينَةِ جَمِيعُ رِجَالِ ٱلْحَرْبِ . حَوْلَ ٱلْمَدِينَةِ مَرَّةً وَاحِدَةً . هٰكَذَا تَفْعَلُونَ سِتَّةَ أَيَّامٍ . وَسَبْعَةُ كَهَنَةٍ يَحْمِلُونَ أَبْوَاقَ ٱلْهُتَافِ ٱلسَّبْعَةَ أَمَامَ ٱلتَّابُوتِ . وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلسَّابِعِ تَدُورُونَ دَائِرَةَ ٱلْمَدِينَةِ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَٱلْكَهَنَةُ يَضْرِبُونَ بِٱلْأَبْوَاقِ ... » إلخ[3]

فاعتبر ، ففى التوراة الناسخ والمنسوخ أوضح من الصبح لذى عينين !!

وأخبرنى إن كان النسخ منكراً قبل نزول القرآن ، فكيف جاز

---

(١) العدد ٢٨ : ٩ .

(٢) راجع العدد : ٢٧ : ١٨ - ٢٣ .

(٣) يشوع ٦ : ٢ - ٤ .

لكم أن تصرفوا الختان تغطيساً ، والسبت أحداً ، وهما من فروض التوراة ؟

وبم[1] حرّمتم حلالها وحللتم حرامها على ما تقدم شرحه ؟

ألم يقل المسيح فى الإنجيل الذى بأيديكم معرضاً بما قالت التوراة :

« قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ . . . مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَلْيُعْطِهَا كِتَابَ طَلَاقٍ . وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ . إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلَّا لِعِلَّةِ الزِّنَى يَجْعَلُهَا تَزْنِي ، وَمَنْ يَتَزَوَّجُ مُطَلَّقَةً فَإِنَّهُ يَزْنِي . . . . »[2]

أما بلغكم أنه قيل للأولين كذا ، وأنا أقول لكم كذا .. [وذكر] جملة من الأوامر والنواهى - وقد ذكرتها فيما تقدم من هذه الرسالة - ينسخ فيها حكم التوراة[3] .

أخبرنى أيها المخدوع !

كيف جاز لكم مع هذا أن تقولوا :

إن شريعة الإنجيل ليست ناسخة لما شرعته التوراة ، وإنما متممة لها ؟ هذا تنكيس بالألفاظ عن موضوعها ، أن تسموا التبديل تتميما !

وهل التتميم إلا استيفاء الشىء وإحكامه مع إقراره على ما كان عليه ؟

وأما الإنجيل فقد أذهب حكم التوراة ونسخها كما نسخ القرآن ما قبله .

---

(١) يريد المؤلف أن يقول : على أى أساس آخر حرمتم حلالها وحللتم حرامها ، إذا لم يكن ذلك على أساس النسخ ؟

(٢) متى ٥ : ٣١ .

(٣) راجع متى ٥ : ٢١ - ٤٨ .

[حقيقة مايظهر فى الكنائس من خوارق العادات]

وأما قولك لى :

« إن فى ملتكم صلحاء يظهرون براهين وقت الحاجة ... » .

فنِعمَ هى البراهين الساطعة !!! قد علمتها سراً وجهراً ، ولقد كنت عزمت على أن أضرب صفحًا ، عن التكلم فى هذا البحث المخجل ، ولكن تسلسل بى القول إلى ذلك ...

فأذكر لك الآن بعض ماتيسر منها ، لأضحك عليكم الثكلى فأقول :

إن حذاقكم ، وعقلاءكم لما علموا أن دينهم ليست له قاعدة ينبنى عليها ، ولا أصل يرجع إليه ، جمعوا عقول العامة بتخيلات موهمة ، وأباطيل مزخرفة ، وضعوها فى الكنائس والمزارات :

فمنها ما وصف لى عن بعض مشاهدكم المعظمة عندكم ، أن يد الله تخرج لكم فيها ، فى يوم واحد ، معلوم من السنة من وراء ستر ، وسرها خافٍ عنكم ، وأنا أكشفه لك[1] ، فقد حكى لى من أثق بصدقه وقريحته ، أن رجلا من اليهود كان قد حظى عند أحد رؤسائكم بالأندلس بوصلة ؛ كانت بينهما ، يرعاها الرئيس له .

فكان قد رغبه[2] فى الخروج عن دين اليهودية ، إلى دينه ، وقال له : ألا ترى هذه الأعجوبة ، ظهور يد الله لنا فى يوم معلوم من السنة ؟

---

(١) فى ع : « ولا خفاء لديكم بهذا » ، وفى ج : « ولا حقا لديكم بهذا » ، وفى ت : « ولا يخفى لديكم فيها شىء » :

(٢) كذا فى ع ، أما فى ج ، وت : « رامه » .

فقال له اليهودى :

يا مولاى ! أنا قد رضيت فى هذا الأمر بشهادتك ، وصدقتك فيما سوف تروى لى ، فابحث عنه ! فإن كان ما يزعم هؤلاء القسيسون حقا ، صبوت إلى دينك .

فخالط الرئيس حينئذ الشك ، فلما دنا ذلك اليوم الذى تظهر فيه اليد ، سافر بحملته نحو المشهد ، وأخذ معه مالا[1] ، يهديه هناك ، فبرز إليه الأساقفة ، وقربوه لتقبيل اليد ، فلما ظهرت اليد له من وراء الستر ، وضع يده فيها ، ومسكها مسكاً شديداً ، وقال :

والله لا أترك هذه اليد حتى أرى وجه صاحبها .

فصاحوا به يقولون :

اتق الله ! الآن تخسف بك الأرض ! !

الآن تقع عليك السماء ! !

الآن ترسل عليك الصواعق ! ! !

فقال :

دعوا عنكم هذا كله ! فإن هذه اليد ، لا أحل يدى عنها ، حتى أعلم ، أحقاً ما تصفون أم باطلا ! !

فلما رأوا إلحاحه ، لم يبق معه منهم إلا اثنان ، أسرا إليه القول ،وقالا:

---

(١) فى ج ، ت ، ع : « وقرب مالا » .

ما تبغى فى ذلك ؟ أرجعت عن دين آبائك ؟

قال : لا

قالا :

أتريد أن تحل ربطاً رُبِط منذ ألف سنة أو نحوها ؟

قال :

لا ! ومعاذ الله ! ! ولكنى أحب الوقوف على سر هذه اليد .

قالا :

هى يد أسقف ، واقف دون هذا الستر .

قال :

أحب أن أراه !

قالا :

أنت وذاك .

فكشفوا له عن قس مجرود الخدين ، واقف وراء الستر ، فلما عاينه الرئيس أرسل يده ، وخرج إلى عسكره .

فقال اليهودى :

يا مولاى ! ما تأمرنى به فى دينى ؟

قال له :

أنت ورأيك ، خرجت منه أو بقيت عليه ، فأنت المخيَّر ! !

ففهم اليهودى ، وسكت . ومن ذلك الوقت بطلت هذه الحيلة .

ومن ذلك أنهم وضعوا صوراً من الحجارة ، إذا قرىء الإنجيل عندها تبكى ، وتجرى دموعها ، يشاهدها الخاص والعام ، فيعتقدون أن ذلك لِمَا علمته من أمر الإنجيل .

وحقيقة الأمر ، أن لها مجارى دقاق فى أجوافها ، متصلة من ورائها بزق مملوء ماء ، يعصره بعض الشماسة ، فيندفع الماء فى تلك المجارى ، وتخرج من عيون تلك الأصنام على هيئة الدموع .

وكذلك ما وصف لى من قناديل ، وصلبان عظام معلقة ، بين السماء والأرض ، ولا تمس شيئاً منها ، ولا يمسها شىء ، يمشى الناس إليها ، ويتعجبون من ذلك ، ويفسرون هذه الظاهرة بأنها من بركة هذا المكان ، وأنه برهان على عظمة هذا الدين ، إذ لم يوجد مثل ذلك عند غيرهم .

وليس فى ذلك معجزة ، ولا برهان على عظمة ملتكم ، لأن سبب وقوف الصليب فى الهواء وضع حجارة مغناطيسية فى ست جهات ، فوق الصنم ، وتحته ويمينه ، ويساره ، وخلفه ، وأمامه ، وقد ظهر ذلك عندما سأل أحد رؤسائكم يهوديا ـ كان يعمل كاتباً عنده ـ سؤالا حول هذه المعجزة ، فأعلمه اليهودى أنها حيلة ـ بعدما استوثق منه ـ فاستكشفه إياها .

فقال اليهودى :

إن ذلك تمسكه أحجار المغناطيس من جهاته الست .

فأمر الرئيس أن يخلى له يوماً ذلك المشهد ، فدخله وحده وأمر بحفر جانب واحد من الحائط ، فاستخرج منه حجراً من المغناطيس ، موازياً

للصليب ، فمال إلى جهة واحدة ، واستخرج مثله من الجانب الثانى، فاضطرب الصليب ، ففهم الرئيس الأمر ، وانصرف ، فما رئى فيه بعد ذلك .

ومن ذلك كنيسة بالأندلس ، كان فيها ثريا[1] تقف على نحو وقوف الصليب المتقدم ذكره ، وينزل فيها نور يوقد فتيلها فى يوم من السنة .

فذُكر ذلك لأحد أمراء بنى أمية بالأندلس ، فتعجب من ذلك ، وسأل عنه فأخبره رجل من أهل إفريقية ، أنهم مدوا مع الحائط قصبة من حديد ، ضيق جوفها ، وأبرزوا لها أنبوباً كسم الخياط ، موضعه موزون مع طرف فتيل الثريا .

ثم إنهم فى ذلك اليوم يرسلون نار النفط فى القصبة مترا كما ، حتى يخرج فى غاية القوة إلى فتيل الثريا الذى هو فى زنة واحدة معه .

ووصف الإفريقى مع ذلك حيلا ودهاء ، وذكر ماذكر فى وقوف الصليب. فاجتاز الأمير على تلك الكنيسة فى إحدى غزواته — وقد دنا يومها — فتذكر ذلك ، فدعا الإفريقى ، فعاين معه ما يفعلون ، فأعجبه ، وسأل الإفريقى كشفه ، فعمد إلى الحائط ، فاستخرج منها قناة من النحاس الأصفر ، على نحو ما كان ذكر .

ثم عمد إلى سماء الثريا ، فأخرج منها حجراً كبيراً من المغناطيس ، فسقطت وأمر الأمير عند ذلك بأن يعاقب القسيسون .

وكمثل ما تصفون لنا عن نزول مريم من السماء على « دون اقريس »[2]

---

(١) كذا فى ع ، وفى ت و ج : « وكذلك وصف لى عن كنيسة الغراب بغرب الأندلس أنه كان فيها ثريا » .

(٢) كذا فى ج ، وفى ت : « دنقوش » والفقرة كلها ساقطة من ع .

المطران بكنيسة «طليطلة» ، وأنها كست رأسه بتحلية ، وجسمه بثياب مزينة ، وكان ذلك فى ليلة النصف من شهر أغسطس ، فتعظمون تلك الليلة تعظيما بليغاً إلى اليوم .

أخبرنى أيها المغرور عن نزولها التى تصفه !

هل كان بإذن زوجها أم بغير إذنه ؟

فإن قلت : بإذنه ، فكيف يجوز عليه أن ينزلها إلى ملائكته وعبيده ، فيمتهن زوجته ، وأم ولده - كما تقولون - بإرسالها ؟

وإن كان نزولها باختيارها هى ، لا بإذن زوجها ، فكيف ينبغى أن يكون الله قد اصطفاها ، واختارها زوجة له ، وأم ولده من بين نساء بنى آدم ، فتخونه ، وتنزل بغير إذنه إلى رجل من جنسها بكسوة ، وتحلية وثياب مزينة؟

ما ذاك إلا لأنها تعشقه !!! سبحان الله عما يصفون ، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

وكمثل ما تدعون فى زيتونة وادى آش ، وتزعمون فى توقف فى « أوجاسافت دى ميتقوا »[1] ، وكنيسة مكناسة ، ووادى بسطة ، والنور الجديد الذى فى عيدكم ، والنور الذى ينزل ببيت المقدس ، إلى غير ذلك من الهذيانات ، التى لا تجوز إلا عليكم ، ولا يتعبد بها من جهال العالم غيركم .

---

(١) كذا فى ت ، وفى ج : « ارحى ست دفيقه » والفقرة ساقطه من ع .

[مكان البيت الحرام فى الكتب المقدسة][1]

فالحمد لله الذى طهَّر الإسلام من هذه الأوصاف ، وأغنى المسلمين عن مثل هذه النقائص ، بما هو أوضح دليلا من النهار ، ولا [يقع إلا] بفعل الله تعالى ، [ومن أمثلة ذلك ما فعله] بأبرهة الأشرم ملك الحبشة[2] وفيله المسمى محموداً[3] ، وذلك فى العام الذى ولد فيه سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان أبرهة النجاشى قدم نحو مكة فى جيوشه من الحبشة ، ليهدم البيت الحرام ، فعرض الله عليهم قدرته ، بأن أرسل عليه وعلى جنوده ـ يوم أطلّ على البيت ـ طيراً من البحر أمثال الخطاطيف ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار ، يحملها فى منقاره ورجليه ، أمثال الحمص والعدس ، لاتصيب واحداً منهم إلا هلك[4] وأصيب أبرهة النجاشى فى جسده ، فسار وهو يسقط

---

(١) سقط هذا الفصل من ع .

(٢) لم يكن أبرهة ملك الحبشة ، بل كان عاملا له على اليمن .

(٣) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٢ ص ١٧٣ .

(٤) هذا هو رأى الجمهور ، ويرى بعض الباحثين أن الذى أصاب جيش أبرهة إنما هو وباء الجدرى ، تفشى بالجيش ، وبدأ يفتك به ، وكان فتكه ذريعا لم يعهد من قبل قط ، واعتمدوا فى ذلك على رواية لابن اسحاق حيث يقول :

حدثنى يعقوب بن عتبة أنه حدث : أن أول ما رؤيت الحصبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام [أى عام الفيل] .

ويفسر أصحاب هذا الرأى ظاهرة الفتك بجيش أبرهة بأن جراثيم الجدرى جاءت مع الريح من ناحية البحر ، وأصابت العدوى أبرهة نفسه فأخذه الروع وأمر قومه بالعودة إلى اليمن ، وفر الذين كانوا يدلونه على الطريق ، ومات منهم من مات ، وكان الوباء يزداد كل يوم شدة ، ورجال الجيش يموت منهم من يموت كل يوم بغير حساب ، وبلغ أبرهة صنعاء وقد تناثر جسمه من المرض ، فلم يقم إلا قليلا ، حتى لحق بمن مات من جيشه !

=

أنملة أنملة ، كلما سقطت أنملة أتبعها قيح ، وصديد حتى لحق بصنعاء اليمن فمات فيها .

وذكرت الحبشة أنه ما مات حتى انصدع قلبه عن صدره ،وأنزل الله فى ذلك قرآناً باقياً إلى اليوم ، قوله سبحانه :

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ

= وهذه الدعوى تشتمل على عنصرين :

١ — أن ما نزل بجيش أبرهة هو وباء الجدرى .

٢ — أن الريح حملت هذا الوباء من ناحية البحر .

والعنصر الثانى ليس مقبولا .

نقلا ، لأن القرآن الكريم أخبرنا بأن الطير رمتهم بحجارة من سجيل ، فوقع لهم ما وقع :

« وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ » .

ولا واقعا ، لأن الريح إذا كانت قد هبت على المنطقة حاملة الوباء ، فلِمَ أصاب جيش أبرهة ، ولم يصب قريشا مع أنهم كانوا فى مهب هذه الريح أيضاً ؟

وما قيل من أن الأعراض التى ظهرت فى جيش أبرهة — من تساقط الجسم وظهور القيح والدم — هى أعراض الجدرى ، لا يصح دليلا على أن الرياح هى التى حملت الوباء ، وليس الطير ، لأن مرض الجدرى — إذا سلمنا بأنه هو الذى أصاب جيش أبرهة — ينتقل إلى الشخص بالملامسة ، فالطير رمت الأحجار التى تحمل الوباء على الجيش ، فانتقلت العدوى إلى الشخص بمجرد أن مس الحجر جسمه ، ولما كانت قريش بعيدة عن مرمى أحجار الطير ، ولم تقترب من جيش أبرهة ، فقد سلمت من الوباء »

[قارن : ابن هشام حـ ١ ص ٣٥ المودودى : تفهيم القرآن حـ ٦ ص ٤٦٧ ، وهيكل ص ١٠٢] .

فِي تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ » .

وفى ذلك يقول نفيل بن حبيب[1] ـ وكان أسيراً فى أيدى الحبشة ،فأفلت منهم فى ذلك اليوم ، وجعل ينظر إلى ما نزل بهم ـ يقول شعراً :

أين المفر والإله الطالب   والأشرم المغلوب ليس الغالب[2]

أخبرنى أيها المخدوع المغرور !

لِمَ فعل الله ذلك ، وقد كان النجاشى وجيشه ـ يومئذ ـ نصارى ، أقرب إلى أمر الله من أهل مكة ، لأنهم كانوا عبدة الأوثان ، وكانت الكعبة ـ حينئذ ـ مقر الأصنام ؟

أما إنك ، إن عدت إلى الحق ، لَترينَّ أن ذلك ، إنما فعله الله آية لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولكعبة الله ، البيت الحرام ، مقام إبراهيم وحجة لمن عَبَدَ الله تعالى ، بتعظيم ذلك البيت[3] ، وإقامة فرض الحج إليه .

---

(١) هو نفيل بن حبيب الخثعمى ، شاعر جاهلى يلقب بذى اليدين ، جمع قومه من قبيلتى شهران وناهس ، ليقف فى طريق أبرهة ، حينما كان متوجها إلى مكة ، ووقعت بينهما معركة ، انهزم فيها نفيل وأخذ أسيراً ، فأجبره أبرهة على أن يكون دليلا له فى زحفه على مكة .

(٢) روى أنه أنشد أيضا فى ذلك اليوم :

رُدَيْنَةُ لو رأيت ولا تريه   لدى جنب المحصب ما رأينا
حمدت الله إذ أبصرت طيرا   وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل   كأن على للحبشان دينا

(٣) كذا فى ج ، وفى ت : « وحجة إذ جعل الله تعالى لها لتعظيم ذلك البيت » .

قال أشعياء النبي[١] :

« ابشرى ، واهتدى أيتها العاقر التى لم تلدى ، وانطقى بالتسبيح ، وافرحى إذا لم تحبلى ، فإن أهلك سيكونون أكثر من أهلى »[٢] .

فعنى فى مخاطبته :

« مكة »

فهو يشبهها بالعاقر من النساء التى لم تلد ، إذ[٣] لم يبعث من مكة — من بعد زمن إسماعيل — نبى إلا محمداً صلى الله عليه وسلم ، ولا يجوز أن تكون العاقر القدس ، لأنها كانت مقر الأنبياء .

وقـــوله :

« فإن أهلك سيكونون أكثر من أهلى » .

يعنى بأهله :

أهل بيت المقدس .

وقال أشعياء أيضاً فى صحفه التى بأيديكم :

---

(١) استشهد المؤلف فى هذا الفصل بفقرات متعددة من سفر أشعياء ، غير أنه لم يلتزم النص الحرفى لها ، بل عبر عن مضمونها باختصار ، ولم نثبت النص الأصلى فى المهموشة — بل اكتفينا بالتخريج فقط — لطوله ، فالفقرات التى أوردها المؤلف هى تلخيص لجزء كبير جداً من هذا السفر .

(٢) أشعياء ٥٤ : ١ — ٢ .

(٣) فى ج ، ت : « وكذلك لم ... » .

«وأرفع علماً لجميع[1] الأمم من بعيد ، فيصرفهم من أقاصى الأرض»[2]

وقال أشعياء أيضاً :

« سأبعث من الصبا قوماً ، فيأتون من الشرق أفواجاً ، كالصعيد كثرة ، ومثل الطيان الذى يدوس الطين برجله »[3] .

يصف بذلك إسراعهم من أقاصى الأرض إلى حج البيت ، ويصف الهـــرولة .

وقال أشعياء عن الله تعالى :

« قد أقسمت بنفسى ــ كقسمى أيام نوح ، أن أغرق الأرض بالطوفان ــ كذلك أقسمت أن لا أسخط عليك ، ولا أرفضك .

وإن الجبال تزول ، والآكام تتزعزع[4] ، ورحمتى عليك لا تزول ».

ثم قال :

« يامسكينة ، يامضطهدة ! ها أنذا أبنى بالأثمد حجارتك[5] ، ومزينك بالجواهر ، ومكلل باللؤلؤ سقفك ، وبالزبرجد أبوابك ، وتبعدين من الظلم فلا تخافى ، ومن الضعف فلا تضعفى ، وكل سلاح يصنعه صانع لا يعمل فيك ،

---

(١) كذا فى ت ، وفى ج : « بجميع » .

(٢) كذا فى ج ، وفى ت : « فيبقى به من أقاصى الأرض » والنص مختلف فى اللفظ عما فى سفر أشعياء ٤٩ : ٢٢ .

(٣) قارن أشعياء ٤١ : ٢٥ !

(٤) فى ج : « وإن الجبال تزول ، والبلاع تنحط » ، قارن النص الحرفى فى سفر أشعياء : ٥٤ : ٩ ــ ١٠ .

(٥) فى ج : « هأنذا بان بالجص حجارتك » ، وفى ت : « ها أنا بان بالجص حجارتك » .

وكل لسان ذلق يقوم معك بالخصومة تفلجين[١] ، ويسميك الله اسماً جديداً »[٢] .

وكل ذلك كان : كان اسمها الكعبة ، فسماها الله المسجد الحرام .

[ثم يقول أشعياء] :

« قومى ، فاشرقى ، فإنه قد ورى زندك[٣] ، ووقار الله عليك ، أنظرى بعينيك حولك فإنهم يجتمعون ، يأتوك بنوك وبناتك عَدْوًا ، فحينئذ تُسرين ، وتزهرين ، ويفرع عدوك ، ويتسع قلبك ، فكل غنم قيدار تجتمع إليك ، وسادات « نبَايُوت » تخدمك ، وتُفتح أبوابك دائمًا [فى] الليل والنهار ، فلا تغلق ، ويتخذونك قبلة ، وتدعين بعد ذلك مدينة الرب »[٤] .

فقيدار ولد إسماعيل ، « ونيابوت » ولد إسماعيل أيضاً !!

فأخبرنى !

متى كان ولد إسماعيل خدمة بيت المقدس ؟

وهل اتخذت مكة قبلة ، إلا على عهد محمد صلى الله عليه وسلم ؟

فاعتبر قول أشعياء يومئذ :

« ستتخذ قبلة » وكفى بهذا دليلا .

---

(١) فلج فلوجا من باب قعد : ظفر بما طلب ، وفلج بحجته : أثبتها . وأفلج الله حجته : أظهرها .

(٢) قارن أشعياء ٥٤ : ١١ – ١٧ !

(٣) كذا فى ج ، وفى ت : « عضدك » .

(٤) أشعياء ٦٠ : ٤ – ١٣ .

وقال أشعياء أيضاً :

« إرفعى إلى [من] حولك بصرك فستبهجين ، وتفرحين[١] من أجل أنه تميل إليك عساكر الأمم حتى تغمرك قطر[٢] الإبل الوابلة[٣] ، وتضيق أرضك عن القطرات التى تجتمع إليك ، وتساق إليك كباش مدين ، ويأتى إليك أهل سبأ ، وتسير إليك أعلام قيدار ، ويخدمك رجال نَبايُوت[٤] » .

يعنى يخدمونك : [أن] سدنة البيت يكونون من أولاد « نبايوت » .
فاعتبر هذا الاطراد للتصل !

وقال أشعياء عن الله :

« أعطى البادية كرامة لبنان ، وبهاء جبال الكرمال »[٥] .

فالبادية : مكة ، ولبنان : الشام وبيت المقدس .

وقال أشعياء أيضاً عن الله أثر ذلك :

---

(١) كذا فى ج ، وفى ت : « وتبهجين » :

(٢) قطر : مضارع يقطر ، والمصدر : قطرا : قرب بعضها إلى بعض على نسق ، يقال : قطر البعير إلى البعير .

(٣) فى ج ، ت : « الموبلة » :

(٤) قارن الإصحاح رقم ٦٠ من سفر أشعياء .

(٥) فى النص الأصلى « بهاء كرمل وشارون » راجع أشعياء ٣٥ : ٢ .

« وتنشق فى مكة وسط البادية قناة[١] ، وسواق فى أرض الفلاة ، وتكون الفيافى والأماكن العطاش ينابيع ، ومياها ، وتكون هناك محجة . وطريق الحرم لا تمر به أنجاس الأمم . والجاهل لا يضل[٢] هناك ، ولا يكون به سباع ولا أسود ، ويكون هناك ممر المخلصين »[٣] .

وقال أشعياء عن الله تعالى فى مكة ، ويذكر الحجر الأسود :

« ها أنذا مؤسس [فى] صهيون [حجرا] ، وهو بيت الله ، حجرا حقره فى زاوية مكرمة ، فمن كان مؤمنا فلا يستعجل »[٤] .

وتمادى فى ذكره فى كلام كثير هو بأيديكم إلى اليوم .

وقال أشعياء عن الله تعالى أيضاً :

« لتفرح البادية العطشى ، ولتبتهج البرارى والفلوات »[٥] .

لأنها ستعطى بأحمد محاسن لبنان و [هو] كمثل حسن الدساكر[٦] ، والرياض .

---

(١) كذا فى ت ، وفى ج : « وينشق فى البادية قناه » .
(٢) كذا فى ت ، وفى ج : « ولا يمر » والأصح ما فى ت ، لأن النص فى سفر أشعياء هو : « من سلك فى الطريق حتى الجهال لا يضل » .
(٣) قارن أشعياء ٣٥ : ٦ - ٩ .
(٤) قارن أشعياء ٢٨ : ١٦ .
(٥) قارن أشعياء ٣٥ : ١ .
(٦) مفرده : دسكره ، وهى كلمة فارسية معربة : القرية العظيمة أو بيوت يكون فيها الشراب والملاهى .

وقال أشعياء أيضا — وقد وصفها — :

« إن الذئب والحمل يرتعان معا بها »[1] .

* * *

[الرد على الشبهة الثامنة]

وأما اعتراضك [على ما نعتقده ، من أن فى الجنة] أكلا وشربا وغير ذلك من لذات الأجسام ، فإن كان نفيك قولا واحدا[2] ، فإنما ذلك منكم عتوا على الله تبارك وتعالى ، وعلى أنبيائه وكتبه ، بغير علم لكم ، ولا برهان .

ولكن [يجب علينا] الآن [أن] نبين — إن شاء الله تعالى — خلل ما ذهبت إليه بمقتضى سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

أما التوراة التى بأيديكم وأيدى اليهود إلى اليوم ، فلا ذكر فيها للآخرة ولا لبعث ، ولا لحشر الأجساد ، ولا لشىء من أحوال القيامة .

---

(١) قارن أشعياء ١١ : ٦ .

(٢) فى ج : « فأما اعتراضك قولنا من الأكل والشرب وغير ذلك من التذاذ الأجسام فى الجنة ، ونفيك أن يكون ذلك جملة واحدة .. » وفى ت : « وأما قولك واعتراضك قولنا بالأكل والشرب وغير ذلك من لذائذ الأجسام فى الجنة ، ونفيك أن يكون ذلك جملة واحدة . . » وفى ع : « وأما اعتراضك قولنا بالأكل أن يكون جملة واحدة » .

وفى كتبكم :

أن موسى عليه السلام لم يخبر بذلك[1] مخافة أن يكذبه بنو إسرائيل جملة واحدة ، فيرجموه ، لأنهم كانوا ينقضون أمثاله من المعجزات ، ويختبرون أقواله[2] ويسيئون القول بكل ما يأتيهم به عتوا منهم على الله سبحانه وتعالى .

إلا أن موسى بن عمران ومن قبله من الأنبياء عليهم السلام كلهم ، أخبروا العالم :

أن الله خلق الأشياء ، وابتدعها مخترعا لها ، لا من شيء ، ولا على أصل متقدم .

وهذا مما اتفقنا جميعا عليه ، فإذا [مما] لا شك فيه [أن] البعثة وحشر الأجساد لا يتعذر ، لكونه من قدرة القادر ، الخالق ، فيبقى أبدا

---

(١) ذكر الناسخ على هامش الصفحة في ت : «قولهم : لم يخبر ، يقتضى أن موسى عليه السلام أوحى إليه بذلك ، وأمر بإخفائه ، لقول الله سبحانه في كتابه العزيز :

« وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ، إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَى » .

إلى آخر السورة .

وليس عندنا دليل يؤيد هذا الرأى ، ولذا نقول : يحتمل أن إخبار موسى عليه السلام بالبعث سقط من كاتب التوراة ، ويدعم هذا الرأى ما أثبتناه سابقا من أن موسى لم يكتب التوراة الموجودة بين أيدينا ، بل كتبها شخص جاء بعده بزمن طويل .

(٢) كذا فى ت ، وفى ج : « ويتخيرون أقواله » والجملة ساقطة من ع .

فى حكم الممكن ، لا فى حد الممتنع ... إلى أن أخبرنا الذين قامت البراهين الضرورية على صدقهم ، وهم الأنبياء .

أخبروا العالم ـ من بعد موسى ـ بالبعث ، وحشر الأجساد ، وأحوال القيامة ، فتحققنا من ذلك . فإذاً لا شك فى وقوع البعث وفى التذاذ الأجسام التى ستحشر مع نفوسها الأول ، وذلك ما أخبرنا به الذى قامت البراهين الضرورية على صدقه ، وأن الله بعثه نبياً من عنده ، فتحققناه ، لأنه كان قبل أن يخبرنا به الصادق فى حد الممكن عندنا ، وعند غيرنا من أجل المقدمة الأولى .

بل [هو] فى حد الواجب ، لأن الله تعالى خلق أنفسنا ، ورتب جواهرها ؛ وطبائعها الذاتية ترتيبا ، لا يستحيل [معها] البتة [أن] تتلذذ بالمطاعم والمشارب ، وسائر اللذات على حسب موافقة تلك الجواهر [وهى] أنفسنا .

وهذا مما لا يدفع فيه أحد ، ولا شك فى أن النفوس هى المتلذذة بالمطاعم والمشارب ، وسائر اللذات [من] الروائح الطيبة ، والمناظر الحسنة ، والأصوات المطربة .

وكذلك هى المتألمة أيضا بضد ذلك من المكاره .

وأن الحواس الجسدية هى المنافذ لوصول هذه اللذات إلى النفوس ، وأما الجسد فلا حس له البتة .

فإذا اجتمعنا باتفاق على أن الله سيجمع يوم القيامة فى عالم الجزاء

أنفسنا والأجساد المركبة لها ، ويعيدها كما كان [الحال] أول مرة [يلزمنا أن نصدق أنها ستذوق] هنا لك من اللذات والآلام بما تستدعيه طبائعها التى لم توجد إلا كذلك .

ألا أنه كما أن تلك الأجسام أعيدت بعد الفناء بغير فساد ، ولا استحالة بقدرة القدير ، فكذلك ... ذلك الطعام الذى هناك ، لم يعد بنار ، ولا يلحقه فساد ، ولا يتحلل إلى قذر ، ولا إلى دم .

ولا يطرأ هناك تغير ، ولا موت . ولا شبه ذلك بقدرة القدير ، كما أخبرنا الخالق تبارك وتعالى بقوله :

« لاَّ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنزِفُونَ »(١)

وكذلك تلك الثياب غير منخرقة بالنسيج(٢) ولا تبلى ، ولا تفنى ، ولا تتغير .

وكما أن تلك الأجسام لا كدر فيها ، ولا خلط ، ولا دم ، ولا أذى ، فكذلك تلك النفوس لا رذيلة فيها من غل ولا من حسد ، ولا من حرص ، ولا غير ذلك من أمراض نفوس(٣) هذه الدار الفانية ، كما أخبرنا الخالق سبحانه بقوله :

---

(١) الواقعة ١٩ .

(٢) فى ج : « منخرقة بنسج » ، وفى ت : « منخرقات بالنسج » والجملة سقطت من ع .

(٣) فى ج ، و ت : « من جبلات نفوس » وفى ع : « من مقبحات نفوس » .

« وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ »[1] .

ثم أقول [بالإضافة إلى ذلك][2] :

إن قدماء الهند ذكروا فى كتبهم [أن] فى الأفلاك ، والبروج ، ووجوه المطالع صورا وصفوها ، وذكروا أنه ليس فى العالم الأدنى صورة إلا وهى فى العالم الأعلى[3] .

وهذا إيجاب من تلك الطائفة بأن هناك ملابس ، وأكلا وشربا[4] ، وأنهاراً وأشجارا ، وغير ذلك .

وأيضاً ، فإن فى التوراة — التى بأيدى اليهود إلى اليوم — [حديث] عن أكل آدم وزوجته من الشجرة التى فى الجنة ، وطردهما منها بسبب ذلك[5] .

---

(١) الحجر ٤٧ .

(٢) فى ع : « خلاف ذلك » ، وهى ساقطة من ج ، ت .

(٣) هى فكرة أفلاطون المعروفة بعالم المثل .

(٤) فى ج ، ت : « ملابس ومشارب ، ووطأ » ، وفى ع : « ملابس ومشارب ومأكل » .

(٥) كذا فى ع ، وفى ج : « فإن التورية التى فى الجنة ، وطردهما عنها بسبب ذلك » .

وفى ت : « فإن فى التوراة التى بأيدى اليهود إلى اليوم النهى عن أكل آدم وزوجه من الشجرة التى فى الجنة ، وطردهما عنها بسبب ذلك » .

وقال فى التوراة عن آدم :

« إن الله نفاه من الجنة ليعمر الأرض التى خلق منها »[1] .

وتلك الجنة لم تسكن بناء على ذلك فى الأرض .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم :

أن المسيح قال لتلاميذه ليلة أكل معهم الفصح — وقد سقاهم كأساً من خمر — قال :

« إنى لا أشربها معكم أبداً حتى تشربوها معى فى الملكوت عن يمين الله »[2] .

وقال أيضاً فى قصة الفقير الذى اسمه « لعازر » ، الذى كان مطروحا

---

(١) نص التوراة :

« فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلَهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا » .

[تكوين ٣ : ٢٣]

(٢) والنص فى الإنجيل يقول :

« وَأَقُولُ لَكُمْ : إِنِّي مِنَ الآنَ لاَ أَشْرَبُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ هٰذَا إِلَى ذٰلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيداً فِي مَلَكُوتِ أَبِي » .

[متى ٢٦ : ٢٩ ، مرقس ١٤ : ٢٥

على باب الغنى ، والكلاب تلحس قروحه ، وإن ذلك الغنى نظر إليه فى الجنة متكئا على حجر إبراهيم الخليل ، فناداه الغنى وهو فى النار :

يا أبى إبراهيم ! ابعث « لعازر » إلىّ بشىء من ماء أبل به لسانى[1] .

---

(١) كذا فى ج ، ت والفقرة سقطت من ع ، وإليك القصة كما جاءت فى الإنجيل :

« كَانَ إِنْسَانٌ غَنِيٌّ وَكَانَ يَلْبَسُ الْأُرْجُوَانَ وَالْبَزَّ وَهُوَ يَتَنَعَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مُتَرَفِّهًا . وَكَانَ مِسْكِينٌ اسْمُهُ لِعَازَرُ الَّذِى طُرِحَ عِنْدَ بَابِهِ مَضْرُوبًا بِالْقُرُوحِ . وَيَشْتَهِى أَنْ يَشْبَعَ مِنَ الْفُتَاتِ السَّاقِطِ مِنْ مَائِدَةِ الْغَنِيِّ . بَلْ كَانَتِ الْكِلَابُ تَأْتِى وَتَلْحَسُ قُرُوحَهُ . فَمَاتَ الْمِسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ وَمَاتَ الْغَنِيُّ أَيْضًا وَدُفِنَ . فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ فى الْهَاوِيَةِ وَهُوَ فِى الْعَذَابِ وَرَ ى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فى حِضْنِهِ ، فَنَادَى وقال يَا أَبِى إِبْرَاهِيمَ ارْحَمْنِى وَأَرْسِلْ لِعَازَرَ لِيَبُلَّ طَرَفَ إِصْبِعِهِ بِمَاءٍ وَيُبَرِّدَ لِسَانِى لِأَنِّى مُعَذَّبٌ فى هٰذَا اللَّهِيبِ . فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ يَا ابْنِى اذْكُرْ أَنَّكَ اسْتَوْفَيْتَ خَيْرَاتِكَ فى حَيَاتِكَ وَكَذَلِكَ لِعَازَرَ الْبَلَايَا . وَالْآنَ هُوَ يَتَعَزَّى وَأَنْتَ تَتَعَذَّبُ . وَفَوْقَ هٰذَا كُلِّهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ هُوَّةٌ عَظِيمَةٌ قَدْ أُثْبِتَتْ حَتَّى أَنَّ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْعُبُورَ مِنْ هٰهُنَا إِلَيْكُمْ لَا يَقْدِرُونَ وَلَا الَّذِينَ مِنْ هُنَاكَ يَجْتَازُونَ إِلَيْنَا . فَقَالَ أَسْأَلُكَ إِذًا يَا أَبَتِ أَنْ تُرْسِلَهُ إِلَى بَيْتِ أَبِى . لِأَنَّ لِى خَمْسَةَ إِخْوَةٍ . حَتَّى يَشْهَدَ لَهُمْ لِكَيْلَا يَأْتُوا هُمْ أَيْضًا إِلَى مَوْضِعِ الْعَذَابِ هٰذَا . =

وفى الإنجيل يضاً[١] .

« وَلَمَّا وَجَدُوهُ فِي عِبْرِ الْبَحْرِ قَالُوا لَهُ يَا مُعَلِّمُ مَتَى صِرْتَ هُنَا ؟ أَجَابَهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ ، أَنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي لَيْسَ لِأَنَّكُمْ رَأَيْتُمْ آيَاتٍ ، بَلْ لِأَنَّكُمْ أَكَلْتُمْ مِنَ الْخُبْزِ فَشَبِعْتُمْ . اعْمَلُوا لاَ لِلطَّعَامِ الْبَائِدِ بَلْ لِلطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَوةِ الْأَبَدِيَّةِ »[٢] .

وفى الإنجيل أيضاً أنه قال لتلاميذه فى وصية وصَّاهم بها :

« لِتَأْكُلُوا[٣] وَتَشْرَبُوا عَلَى مَائِدَتِي فِي مَلَكُوتِي[٤] وَتَجْلِسُوا

= قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : عِنْدَهُمْ مُوسَى وَالْأَنْبِيَاء لِيَسْمَعُوا مِنْهُمْ . فَقَالَ لاَ يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، بَلْ إِذَا مَضَى إِلَيْهِمْ وَاحِدٌ مِنَ الْأَمْوَاتِ يَتُوبُونَ . فَقَالَ لَهُ إِنْ كَانُوا لاَ يَسْمَعُونَ مِنْ مُوسَى وَالْأَنْبِيَاء وَلاَ إِنْ قَامَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَمْوَاتِ يُصَدِّقُونَ » .

[لوقا ١٦ : ١٩ – ٣١]

(١) جاء النص فى ج ، ت كما يلى :

« أم الجماعة قالت للمسيح بقفر ثاوى : متى جئت إلى ها هنا يا معلم؟ فقال لهم : آمين آمين أقول لكم لا وكلتكم الخبز وليس لما رأيتم من العجايب ، فارغبوا فى طعام لا يفنى فى الحياة الدائمة » .

لذا أثبتناه فى الهامش ، ووضعنا مكانه نص الإنجيل .

(٢) يوحنا ٦ : ٢٥ – ٢٧ .

(٣) فى ج ، ت : « لتطعموا » .

(٤) فى ج ، ت : « فى ملك الله » .

عَلَى كَرَاسِيَّ[١] تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الإِثْنَى عَشَرَ »[٢] .

وقال أيضاً لليهود :

« إن كان موسى أطعمكم خبزا فى المفاوز ، فأنا أطعمكم خبزا سماويا »

يريد بذلك نعيم الجنة .

وقال أشعياء[٣] :

« أَيُّهَا الْعِطَاشُ جَمِيعاً هَلُمُّوا إِلَى الْمِيَاهِ وَالَّذِى لَيْسَ لَهُ فِضَّةٌ تَعَالَوْا اشْتَرُوا ، وَكُلُوا ، هَلُمُّوا اشْتَرُوا بِلاَ فِضَّةٍ وَبِلاَ ثَمَنٍ خَمْراً وَلَبَناً »[٤]

وهذا كله يبين ما كفرت به ، ويوجب ما أنكرته فى كتابك .

[الرد على الشبهة التاسعة]

وأما قولك :

« إن دين الإسلام فشا بالسيف والقهر ، ودين الصليب لم ينتشر بسيف ولا قهر ..... » .

---

(١) فى ج ، ت : «على عروش حاكمين على اثنى عشر سبطا من بنى إسرائيل» . والفقرة ساقطة من ع .

(٢) لوقا ٢٢ : ٣٠ .

(٣) ورد النص فى ت ؛ وج : « يامعشر العطاش ، توجهوا إلى الماء الراوية ، فمن له فضة فليذهب ويأكل ويشرب ويأخذ من الجبن واللبن ، بلا فضة ولا ثمن» . وسقط النص من ع .

(٤) أشعياء ٥٥ : ١ .

فكأنك قد غفلت عما كتبه مؤرخوكم وغيرهم من أن ابتداء دينكم ، إنما كان بأسباب القتال مع اليهود ، وكنتم تحرقونهم بالنيران ، وتغرقونهم في البحار ، وتعملون فيهم جميع أنواع الذل والهوان .

ولولا ذلك لم تبق لكم اليهود أثرا ، فإن الدولة كانت لهم ، قد قتلوا الحكم على زعمكم ! ولم يترك بعده أكثر من اثنى عشر حواريا ، وسبعين مبشرا هاربين خائفين . ولو ظهر منهم واحد لقتل شر قتلة .

فلو التزمتم ما أوجبته عليكم شريعتكم بالمسالمة !!! لما قامت لكم قائمة ، وما بقى منكم باقية .

ولكنكم أقمتم دينكم برفض معالمه ، ونصرتموه بمحو آثاره والتزمتم القتل والقتال ، فعصيتم في الأول ، ومازلتم إلى الآن على خلاف ما أمركم به إنجيلكم تعملون[1] .

ثم بصرف النظر عن هذا[2] .

فإن كنت قلت ذلك لتعيب به الإسلام ، فإنك عبت موسى بن عمران ويوشع بن نون ، ومن قبلهما ، ومن بعدهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . فإنهم حاربوا الأمم الطاغية ببلادهم ، وسَبُوا الذرارى وناوشوا الأعداء فى ديارهم كما هو مكتوب فى التوراة — وفى سائر الكتب لديكم — وبينته

---

(١) راجع المهموشة رقم ص ٢ فى ص ١١٤ .

(٢) الفقرة : « فكأنك قد غفلت ... بصرف النظر عن هذا » . سقطت من ج ، وت .

فى قتال داود عليه السلام مع جالوت، وسليمان عليه السلام مع طوائف الكفر، ولم يقدح ذلك فى صحة أديانهم [١] .

وإذا كان القتال سنة الله تعالى لأهل الحق مع أهل الضلال ، فنحن على تلك السنة سالكون ، وبها عاملون . فيكون من مناقبنا ، لا من مثالبنا ، ومن حسناتنا ، لا من سيئاتنا .

ومن هنا نعلم أن تعييبك لنا قد انعكس عليك ، فياليتك لم تقله .

وأما إن كنت تريد بذلك إظهار محاسن حالة الصلح التى أمركم بها الإنجيل ، على حالة الجهاد التى أمر بها سيد النبيين ، فإنك قد ظلمت ولم تدر ، وكفرت ولم تعلم ، هاهوذا إنجيلكم - بين أيديكم - ناطق مصرح - كما قلت :

بالمسالمة ، والتزام التواضع والمذلة :

« لَا تُقَاوِمُوا ٱلشَّرَّ ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ ٱلأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ ٱلآخَرَ أَيْضاً » .[٢]

وأن تبعدوا عن القتال والمنازعة غاية البعد إلى أن تقوم الساعة :

« وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ ٱلرِّدَاءَ أَيْضًا . وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِداً فَاذْهَبْ مَعَهُ ٱثْنَيْنِ . وَمَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ . وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ . . . . أَحِبُّوا

---

(١) أى أديان الأنبياء الذين حاربوا الكفار .

(٢) متى ٥ : ٣٩ .

أَعْدَاءَكُمْ ، بَارِكُوا لَاعِنِيكُمْ ، أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ . وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ »(١).

ومع ذلك كله ، فإنا نراكم أشد الناس تكالباً ، وحرصاً على القتل والقتال ، وبسط الأيدى بالاعتساف فى أقطار الأرض ، تقتلون النفوس ، وتسلبون الأموال ، وتعتقدون [أن] ذلك من أوثق أسباب السعادات ، وأعظم المقربات إلى الله تعالى ، مع تحريم إنجيلكم ذلك عليكم ، وإيجابه الاستسلام لأعدائكم ، ومن استحل حرمات الله تعالى ، فهو أشد الناس كفراً بالله ، وكتبه ، وأحكامه .

وأما نحن فكتابنا قد أوجب علينا القتال ، فامتثلنا أمر خالقنا جل شأنه ، فكنا أولياءه ، ناصرين لدينه ، قائمين بحقه فى أرضه على خلقه ، سعداء ، شهداء ، أولياء ، أعزاء ، نناظر بالمعجزات الباهرة ، والبراهين القاطعة فندعو إلى مكارم الأخلاق ، وننهى عن لئامها ، فمن اهتدى إلينا ظفر بالسعادة ، وأسباب السيادة ، ومن أعرض عنا ، كان جديراً بالصغار ، والذل ، والعار .

لا ندعو إلى عبادة الرجال ، ولا ربات الحجال ، ولا نعبد من أشجعته اليهود ــ على زعمكم ــ أنواع العذاب !

فأين السماء من الوهدان ؟

وأين الدخان من المسجد ؟

---

(١) متى ٥ : ٤٠ ـ ٤٤ .

لقد أشرق الحق فى دينفا ، كما غاب عنكم إلى الموعد[1] .

ولا يخفى عليك[2] أن سيد النبيين محمداً صلى الله عليه وسلم ، لم يكن قبل ذلك ملكا ، فيقال :

حمل رعيته على دينه .

ولا صاحب مال ، فيقال :

استعان بماله ، ليجمع القوم على دينه[3] .

وإنما أتى قومه بخلع الأوثان ، وكسر الأصنام ، وعبادة الله وحده ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

و [أيده الله] بآيات ، ومعجزات ، خارقة للعادات تدل على صدق رسالته ، ونبوته .

ثم خصه الله تعالى بآية باقية إلى اليوم ، وهى :

القرآن المجيد ! !

وإنما جميع آيات الأنبياء قد ذهبت بذهابهم ، لم يختصوا ببقاء واحدة منها .

---

(١) سقطت الفقرة « وبينته فى قتال داود عليه السلام . . كما غاب عنكم إلى الموعد » ، من ج ، ت .

(٢) كذا فى ع ، وفى ج . وت : « ولا خفاء » .

(٣) فى ج ، وت : « بذل ماله مصانعة دينه » ، وفى ع : « استعان بماله . . . » .

ولما بعثه الله ليدعو العالم إليه ، اتبعه جماعة من الناس ، سبقوا إلى الخير ، ورغبوا عن الشرك والشر ، فعمد قومه إليه ، وعتوا على من اتبعه، وعليه ، فآذوهم بالضرب الموجع[1] والنفى ، والعذاب ، والفتنة عن دينهم .

ومازال صلى الله عليه وسلم كذلك زهاء عشر سنين تقريباً يجهد نفسه فى إظهار أمر الله ، صابراً على أذى قومه ، لا يخفى نفسه ، ولا يستتر ، ولا يجزع وقد عمد إليه نفر منهم بالكعبة ـ ومعه صاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ـ فقالوا له : أنت الذى تسب آلهتنا وتسفّه ديننا» .

ووضع أحدهم يده فى ردائه ، وضمه إليه ، وتحاملوا عليه : وهو يقول لهم:

« نعم أنا الذى أقول ذلك » .

حتى أن صاحبه أبو بكر قام دونه وقال لهم صائحاً[2] :

« أتقتلون رجلا أن يقول : ربى الله »[3] .

ولم يكن صلى الله عليه وسلم بالذى يضعف ويجزع من شىء حتى أفشا دين الله فى الأرض ، وجعل أصحابه نجوم الهدى ومصابيح الدجى .

وكان قومه حين اتهموه ليؤذوه ، ودخل فى الغار قال له صاحبه :

« لو أن أحدا يبصر ما تحت قدمه لأبصرنا » .

---

(١) فى ج : « وآذوهم بالوجع والضرب » ، وفى ت : « وآذوهم بالرجم والبغى والضرب » . وفى ع : « وآذوهم بالرجم والضرب » .

(٢) فى ج ، ت ، ع : « حتى أن صاحبه ترامى عليه ويصيح » .

(٣) انظر ابن هشام ج ١ ص ١٨٧ — ١٨٨ .

قال له :

« يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما »[1] .

لا كما كتبتم فى الإنجيل عن المسيح عليه السلام ، أنه حين استشعر بوثوب اليهود عليه صاح :

« جزعت نفسى الآن ،فماذا تقول يا أبتاه ، فسلمنى من هذا الوقت »[2]

وأنه حين أخذ ـ بزعمكم ـ كان القواد يقولون له :

« هل أنت المسيح بن الله ؟ » .

فيقول لهم :

« أنتم تقولون : أنى هو ! »[3] .

وفيكم من يوافق اليهود فى قولهم ، أنهم حين بحثوا عنه ،أخفاه بستانى فى جنته تحت وعاء الزبل . . . إلى آخر هذه الحكاية الفاجرة والكاذبة [وهى] حديث المبغضين .

وبعد ، فإن بشارات الأنبياء فى كتبهم تنطق أن سيد النبيين محمداً صلى الله عليه وسلم ، يأتى بالسيف فى جملة أوصافهم له ، وقد ذكروا من ذلك ما تأتى ذكره ، حتى أن أشعياء أخبر عن هزيمة العرب ، وقتل أشرافهم فى بدر وغيرها ،فقال :

---

(١) الطبرى : جامع البيان ..... ج ١٠ ص ٩٦ .

(٢) قارن مق ٢٦ : ٣٨ — ٣٩ .

(٣) قارن مق : ٢٦ : ٦٣ ، لوقا ٢٢ : ٧٠ .

« يدوسون الأمم كدوس البيادر ، وينزل البلاء بمشركى العرب وينهزمون من أيد [بها] سيوف مسلولة ، وقسى موتورة من شدة الملحمة »(١) .

وكذلك قال المسيح فى الإنجيل لتلاميذه :

« حِينَ أَرْسَلْتُكُمْ بِلاَ كِيسٍ وَلاَ مِزْوَدٍ ، وَلاَ أَحْذِيَةٍ ، هَلْ أَعْوَزَكُمْ شَيْءٌ ؟ فقالوا لا . فَقَالَ لَهُمْ لَكِنِ ٱلآنَ مَنْ لَهُ كِيسٌ فَلْيَأْخُذْهُ وَمِزْوَدٌ كَذَلِكَ ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَلْيَبِعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتَرِ سَيْفاً »(٢) .

فأمرهم بشراء السيوف بعد أن كان [قد] نهاهم عن القتال ؛ لعلمه أن محمداً صلى الله عليه وسلم سيبعث بعده بالسيف .

ومثل ذلك من ذكر السيف فى مواضع كثيرة !

وأما دين الصليب الذى أنتم عليه ، فإنما أفشاه « قسطنطين بن هيلانة » بالقهر والرياسة .

والدين الذى جاء به المسيح عليه السلام ، لم يلبث بعده سوى أربعين سنة ، وأهله مستضعفون ، ثم اختل كما قدمت ذكره .

وكان سيد النبيين محمد عليه الصلاة والسلام حين خلص المشركون إليه فى يوم أحد ، أشرع أحدهم إليه رمحه ، فجاء أحد أصحابه ، فأدخل جسمه بين سنان

---

(١) قارن أشياء ٤١ : ١ — ٤ ، ٢١ : ١ — ٤ .
(٢) لوقا ٢٢ : ٣٥ — ٣٦ .

الرمح وبينه ، فمات رحمه الله ، واستمر الأعداء يرسلون إليه سهامهم ، وسِمَاك ابْن خرشه[1] انحنى عليه يقى جسمه الكريم من السهام بجسمه ، واندفع بعض الصحابة يشرب الدم الذى سال منه صلى الله عليه وسلم .

كل ذلك تعظيماً له ، إيماناً به ، وشفقة عليه .

لا كما كتبتم فى الإنجيل :

أن أصحاب المسيح عليه السلام حين أحيط به — كظنكم — جزعوا فتفرقوا عنه ، وأن « بطرس » الذى كان [قد] حلف ألا ينكره ، أنكره قبل صراخ الديك ثلاثاً ، وحلف أنه ما يعرفه[2] ، وهو الذى كان المسيح قال له — بزعمكم — :

ما حللت فى الأرض فهو محلول فى السماء ؛ وما عقدت فيها فهو معقود فى السماء[3] .

زعمتم أنه أفرده بهذه المقالة ، ثم قالها لسائر التلاميذ فى جملتهم ، ثم لم يكن إلا قليل حتى هربوا عنه ، وأسلموه لأعدائه — كما زعمتم .

---

(١) هو أبو دجانة سماك بن خرشه ترس بنفسه يوم أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلقى النبل فى ظهره وهو منحن عليه .

(٢) راجع متى ٢٦ : ٦٩ — ٧٤ ، مرقس ٢٤ : ٦٦ — ٧٣ ، لوقا ٢٢ : ٥٥ — ٦١ ، يوحنا ١٨ : ٢٥ — ٢٧ .

(٣) متى ١٦ : ١٩ .

[وليس بصحيح] ما زعمتم أن « بطرس » استل فى ذلك اليوم سيفاً ، «وقطع به أذناً »[1] :

فما أبين ضلالكم ، وأهون على الله تعالى نكالكم !

---

(١) لم تذكر الأناجيل الثلاثة أن الذى استل السيف هو « بطرس » بل قالت: « وإذا واحد من الذين مع يسوع مد يده ، واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه » .

[قارن متى ٢٦ : ٥١ ، مرقس ٢٤ : ٤٧ ، لوقا ٢٢ : ٥٠]

أما يوحنا فينسب هذا الفعل إلى « بطرس »

[قارن يوحنا ١٨ : ١٠]

[خاتمتين[1]]

الأولى :

وبعد :

أيها المغرور ؟ فعلى كثرة اختلاف أقوالكم فى المسيح ، وتنازعكم ، فكلكم يقول :

— إنه إنسان تام ، حُمل به تسعة أشهر ، وَوُلِد ، وخُتِن ، وأُرْضِع ، وكان صغيراً فكبر ، وناقصاً فزاد ، ونما ، ومشى ، وأكل ، وجاع ، وشبع ، وعطش ، وغاط ، وبال ، ونام .

وَطُلِب فهرب ، وأُخِذ فرُبِطَ ، وصُلِب ، ودُفِن .

— وإنه أتى إلى شجرة من التين ، فلم يجد فيها ما يأكله فدعا عليها[2].

— ولم يدر أيضاً ـ [مكان] قبر صديقه « لعازر » وقال :

(١) اختلفت خاتمة ت ، ج عنها فى ع فى النسبة والمضمون . فقد نسبت فى ت ، ج إلى المراجع ، أما فى ع ، فلم يشر إلى ذلك .
ولذا رأينا أن نثبت أولا خاتمة ت ، ج ثم خاتمة ع .

(٢) متى ٢١ : ١٨ — ١٩ ، ومرقس ١١ : ١٣ — ١٤ .

أين دفنتموه ؟[١].

— ولم يعلم ، متى تقوم الساعة !

— ولاقدر أن يجعل أولاد زبدى عن يمينه وشماله ، وترك ذلك إلى الله إن شاء فعله ! [٢].

وقلتم

— إن يحيي غطسه .

— وإنه صاح عند الموت جزعاً منه !

وهذه كلها صفات إنسان مهين ، لا إله قوى متين .

ونحن نسأل الله سبحانه أن يكشف مابكم من بشع الضلالة ، ويتلقاكم بالهداية ، فهو فعال لما يريد .

قال المراجع لهذه الرسالة :

ليعلم كل ذى بصيرة :

أن ماعلى الأرض عقيدة دين . أعدى على حقيقة الإيمان من عقيدة ملة النصارى ! ولا تُعبّد حىّ بمقول من الآراء أبلغ فى السخافة من قواعدهم فى عبادتهم ! .

---

(١) يوحنا ١١ : ٣٤ ٩

(٢) مق ٢٠ : ٢ - ٢٣ ٠

ولم أتعرض فى هـذه الرسالة لكثير منها ، لأن عرض حكاية الكفر إثم نفسه ، وإن كنت قد اضطررت إلى حكاية شيء من ذلك ، فما أضربت صفحاً عنه أبشع وأشنع مما اضطررت إلى حكايته .

وقد كان يجب [علىّ] ألا ألتفت إلى شيء من مقالتهم ، فإن [مناقشتها] إخلال فى العقل ، وفى صحة الدين .

فأما ، وقد ندبنا الله سبحانه وتعالى إلى إقامة الحجة وإسطاع البراهين ، وأكد ذلك علينا فى محكم كتابه من مكالمة اليهود فى ذلك أولاً ! ورجاء ثواب الله تعالى ثانياً . فالملة النصرانية خارجة عن اليهودية ، وفرع من أصلها . [فالمسيحيون] يؤمنون بكل مافى أيدى اليهود حرفا حرفا ، وإنما يخالفونهم فى تأويلات وخيمة تأولوها ، وبدع من ضلالتهم تناقلوها ، وليس ذلك الفرع الذى هو النصرانية من ذلك الأصل الذى هو اليهودية كسائر فروعه وفرقه ، من العنانية ، والعيسوية ، واليوذعانية ، والسامرة ، وغيرها من فرق اليهود على اختلاف مذاهبها ، وإنما ذلك فرع ذهب من الضلالة كل مذهب .

وقد أوردت فى هذه الرسالة من الأدلة مافيه الكفاية على سوء ما انتحلوه ، ولم أنقل من التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، وصحف الأنبياء ، إلا ماهو بأيديهم فى وقتنا هذا .

فإذا رأى القارىء نصاً من نصوصهم ، وقد أضافوا فيه الأفعال ، والحول ، والقوة ، إلى عيسى بن مريم من دون الله تعالى ، فليعلم أن ذلك تحريف منهم .

وقد قدمت فى صدر هذه الرسالة دلائل من كتبهم على أنه ما ادعى الألوهية ، وإنما نقلت من أناجيلهم حرفاً حرفاً — على ما فيها من إضافة الفعل ، والقوة ، والحول إلى غير الله تعالى ، لأن من شأنهم وشأن اليهود ، إذا قيدوا بشىء [ليس] مكتوباً عندهم أنكروه — ، فلم أورد من ذلك إلا ما قرأته فى كتبهم العبرانية ، ووقفت عليها بنفسى وطالعت فيها بعض تفاسيرهم وشافهتهم بها .

ومن جرى [فى المناظرة] هذا المجرى ، ثم طرح الهوى ، فنظر بعين الإنصاف ، كان الحق له أبين من فلق الصبح ، والهدى هدى الله — لا إله إلا هو — يهدى به من يشاء ، والحمد لله على ما خصنا به ، وهو ذو المن ، والطول لا إلـه إلا هو تعالى عن قول الكافرين علواً كبيراً .

وصلوات الله وسلامه على نبيه المصطفى ، ورسوله المرتضى ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وعلى آله الطاهرين ، وأزواجه أمهات المؤمنين ، وصحابته الأبرار ، من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الثانية :

ومع ذلك أيها المغرور ، فعلى كثرة اختلاف أقوالكم فى المسيح ، وتنازعكم فيه فكلكم زعمتم .

أن المسيح عليه السلام ، هو الله تعالى . وإنما نزل إلى الأرض ليخلص العالم من خطيئة آدم ، فتصير نفوس أهله زكية ، راضية مرضية .

وينصركم على اليهود . ويشرق في سماء مجدكم شمس العود ، مع أن الأبلغ في أبهة الجلالة الصمدية ، وحرمه العظمة الإلهية ، أن يفعل ذلك على أيدى رسله المرضيين ، وخاصته المقربين .

فما الذى أوجب نزوله عن مجده الرفيع وعزه المنيع ، إلى حضيض الآفات ، مقر الملومات ؟ ، فولج بطون النساء ، واغتذى بالدماء ، ولبث في الأرحام ، منغمساً في المشيمة ، والأحوال الوخيمة ، إلى أن ولدته أمه ، وأرضعته ، وفطمته ، وأدبته ، وأمرته بحقوقها ، ونهته عن عقوقها ، وترددت به إلى المواسم ، وأرته الشعائر والمعالم ، حتى شب ، وترعرع ، وتشوق إلى شرف الرجولية ، وتطلع .

فلما شرع فيما أنزل إليه ، عارضته اليهود : فنكدوه ، وطردوه ، وعزموا أن يقتلوه .

فلما أعياه أمرهم تحصن بالاستتار خلف الجدار ، وأمر أصحابه بكتمانه ، وأن يبالغوا في إخفاء مكانه .

وأقام على ذلك مدة واليهود تطلبه ، حتى دل عليه « يهوذا » صاحبه ، فأسلمه لأعدائه ، وأوقعه في شبكة بلائه ، فسحبوه على الشوك حزيناً . وبقى هذا الإله المسكين في أيدى اليهود بالعذاب رهيناً ، يرون أقبح مايفعلونه [به] حسناً وأشد مايهينونه به مستحسناً ، فلما بلغوا من إهانته المراد ، ومضوا به إلى بقعة من الأرض ، تزعمون أنه دحاها ، وحملوه خشبته التى تقولون : أنه أنبت لحاها ، وألبسوه ثياباً حمراء للشهرة ، قد كان خالق — على رأيكم — درسها ، وأوقفوه بحر الشمس الذى هو أسخن مسها . وسألهم شربة من الماء — الذى فجره — ، حين وصلت روحه للحنجرة .

ولما صالت عليه الأمم الدواهى ، نادى فوق جذعه ، إلهى ! إلهى ! وقد صار بين اللصوص مصلوباً .

ثم زهقت نفسه ، وحضر رمسه وصار فى بطن اللحد سراً مكتوماً ، وعاد الإله الأزلى ـ بزعمكم ـ معدوماً .

ثم خرج بعد الثلاث من ذلك المكان ، وعاد كما كان ، بعد ما اتصف بالأحوال الوبيلة ، وبقيت حسرتكم عليه طويلة ، وتضاعفت الخطيئة بالجناية على رب البرية ، وعظم تسلط اليهود ، وكفر أهل الجحود .

ولم يعظمه ، ويؤمن به إلا النفر القليل ، والعدد اليسير ، فكيف الرأى السقيم ، والتصرف الذميم ، الذى لا يصدر إلا من معتوه ، أو فاسد الرأى ، ناقص الهمة ، مظلم الفكرة ، يعرض نفسه إلى المحن ، ويثير بين العباد الإحن . إن هذا لمن أعظم الشين لهذه الربوبية ، وإزالة بهجتها ، وطمس نورها ، وإطلاق ألسنة الأعداء بإبطالها .

وأين هذا من قولنا نحن معشر المسلمين الذى نجل الله تعالى عن الاتصاف بصفات الأجسام ، ونحيل على جنابه الكريم أن تناله الآفات والآلام .

بعث عيسى عليه السلام ، نبياً مكرماً ، ورفعه إليه مجيداً معظماً ، لم يهنه بأيدى الأعداء ، ولا سلط عليه أسباب البلاء .

ولو أن إنساناً نشأ ببعض الجزائر لا يعرف الأديان ، ولا يخالط نوع الإنسان فقيل له :

إن لك رباً ، خلقك وأبدعك ، وهو رجل مثلك ، يغوط ، ويبول ،

ويمخط ، ويبصق ، ويجوع ، ويعطش ، ويعرى . ويكسى ، ويسهر ، وينام ، ويتنازع مع الأنام الكلام .

وإن رجلا مثلك ومثله ، بغضه فضربه ، وسجنه ، ثم صلبه ، وقتله بعد أن حطم شعره ، ولطم نحره ، فجاور الأموات ، وتعذت عليه روح الحياة ، لاستنكف العقل السليم . والطبع المستقيم ، الاعتراف بوجود هذا الإله فضلا عن الاعتراف بربوبيته ، وأنف أن يكون عبداً له ، ويرى نفسه أفضل من هذا الإله ، لسلامته عن هذه الآفات ! .

اللهم اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين .

الكشـــاف

الأعـــلام

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ف)

(ق)

الأماكن والبلدان

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

القبائل والأقـــوام

الآيات القرآنية

السورة ورقمها	الآية	رقمها	رقم الصفحة
	حدود الله يبينها لقوم يعلمون » .	٢٢٩ — ٢٣٠	١٠٠
البقرة ٢	« وأن تعفوا أقرب للتقوى » .	٢٣٧	٢٢١
»	« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .	٢٥١	١٤٢
»	« لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد الغى » .	٢٥٦	١٤١
»	« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » .	٢٨٥	١٤٧
»	« لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت »	٢٨٦	٧٤
آل عمران ـ ٣	« وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم » .	٧	١٥٥
»	« قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد » .	١٢	٢٥٤
»	« إن الدين عند الله الإسلام » .	١٩	١٥٠
»	« فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن . وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم .... والله بصير بالعباد » .	٢٠	١٤٨
»	« إذ قالت امرأة عمران » .	٣٥	١٠٥
»	« إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين » .	٤٥	٧٦
»	« ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم ..... إن فى		

السورة ورقمها	الآية	رقمها	رقم الصفحة
	ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ».	٤٩	٧٦ — ٧٧
آل عمران - ٣	« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ... فنجعل لعنة الله على الكاذبين ».	٥٩ — ٦١	١٧٢
«	« ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلما ، وما كان من المشركين » .	٦٧	١٥٠
«	« يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ، وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » .	٧١	١١١
«	« ومن أهل الكتاب من تأمنه بقنطار يؤده إليك ، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ... ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » .	٧٥	١٤٨ ، ٣٠٦
«	« وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب ويقولون هو من عندالله وما هو من عندالله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » .	٧٨	١١٢
«	« ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ، ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله » .	٧٩	١٧٢
«	« ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ».	٨٥	١٥٠
«	« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون		

السورة ورقمها	الآية	رقمها	رقم الصفحة
	يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولانذير ، فقد جاءكم بشير ونذير ، والله على كل شيء قدير » .	١٩	١٤٩
المائدة — ٥	« يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم .... فاحذروا ».	٤١	١١٥
»	« يحكم بها النبيون » .	٤٤	٢١٩
»	« لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحداً ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم » .	٧٣	١٢٣
»	« ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » .	٧٥	١٥٨
»	« ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ...... فاكتبنا مع الشاهدين » .	٨٢ / ٨٣	٢٢٦
»	« وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كانوا آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون » .	١٠٤	١٥٣
»	« أ أنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله. قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق ...... وأنت على كل شيء شهيد » .	١١٦ / ١١٧	١٥٧

السورة ورقمها	الآية	رقمها	رقم الصفحة
الأنعام — ٦	« وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين » .	٨٥	١٦٨
«	« وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين » .	٨٦	١٦٨
«	« وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله .... ونذرهم فى طغيانهم يعمهون » .	١٠٩ — ١١٠	٢٥٨
«	« أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » .	١٢٢	٧٨
الأعراف — ٧	« فوسوس لهما الشيطان » .	٢٠	٣٠٤
«	« وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا ، والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله مالا تعلمون » .	٢٨	١٥٢
«	« وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء » .	١٤٥	٣٠٠
	« واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك » .	١٥٦	١٣٣
«	« قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض .... لعلكم تهتدون » .	١٥٨	١٢٣ ، ١٤٨ ، ٢٧٢
الأنفال — ٨	« وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم » .	٧	٢٥٢
«	« إذ يغشيكم النعاس أمنة منه ، وينزل		

السورة ورقمها	الآية	رقمها	رقم الصفحة
	عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان ... فإن الله شديد العقاب » .	١١ / ١٣	٢٤٥ — ٢٤٦
الأنفال — ٨	« ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى » .	١٧	٢٤٥
»	« فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون » .	٣٦	٢٥٤
التوبة — ٩	« وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل » .	١١	٣٢١
»	« ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .	٣٣	٢٥٣
»	« استغفر لهم ، أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة ، فلن يغفر الله لهم » .	٨٠	٩٢
»	« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن » .	١١١	١٠١ ، ٣٢٢
يونس — ١٠	« قل فأتوا بسورة مثله » .	٣٨	٢٣٤
»	« ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .	٩٩	١٤١
هود — ١١	« قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات » .	١٣	٢٣٤
»	« رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد » .	٧٣	٢٩٨
يوسف — ١٢	« قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذاً لظالمون » .	٧٩	٧٤
الرعد — ١٧	« وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله » .	٣٨	١٧٤

السورة ورقمها	الآية	رقمها	رقم الصفحة
مريم — ١٩	« يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء ، وما كانت أمك بغيا » .	٢٨	١٠٤ ، ٣١٩
«	« ورفعناه مكانا عليا » .	٥٧	١٩٥
طه — ٢٠	« وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى »	٧	٣٠٧
»	« وما أعجلك عن قومك ياموسى ، قال هم أولاء على أثرى وعجلت إليك رب لترضى . . وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى » .	٨٣ — ٩٠	٣٠١—٣٠٢
«	« فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى... فأكلا منها..وعصى آدم ربه فغوى » .	١٢٠ — ١٢١	٧٣
«	« ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » .	١٢٢	٨٦
الأنبياء — ٢١	« لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » .	٢٢	٢١٦
»	« وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون » .	٣٤	٢٢٩
الحج — ٢٢	« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع ، وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز » .	٤٠	١٤٢
المؤمنون — ٢٣	« ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون » .	٩١	٢١٧
النور — ٢٤	« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ... يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً » .	٥٥	٢٤٢

السورة ورقمها	الآية	رقمها	رقم الصفحة
الفرقان / ٢٥	« وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءوا ظلماً وزوراً ... إنه كان غفوراً رحيما » .	٤ — ٦	١٢٣
الشعراء / ٢٦	« ولا تخزنى يوم يبعثون » .	٨٧	١٣٣
النمل / ٢٧	« وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء » .	١٢	٣٠٠
القصص / ٢٨	« الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون » .	٥٢	٢٢٦
العنكبوت/٢٩	« وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون » .	٤٨	١٤٩
الروم / ٣٠	« الم . غلبت الروم فى أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين ... وعد الله لا يخلف الله وعده »	١ — ٦	٢٥١
لقمان / ٣١	« لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً » .	٣٣	٧٤
الأحزاب/٣٣	« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها » .	٩	٢٥٠
	« وأرضاً لم تطئوها » .	٢٧	٢٥٣
يس — ٣٦	« وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون »	٩	٢٤٧
«	« إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون ، هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون ، لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون » .	٥٥ — ٥٧	١٢٦

السورة ورقمها	الآية	ورقمها	رقم الصفحة
الصافات / ٣٧	« وإن إلياس لمن المرسلين ، إذ قال لقومه ألا تتقون . أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين ... إنه من عبادنا المؤمنين » ،	١٢٣ / ١٣٢	١٦٨
ص — ٣٨	« واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار » .	٤٨	١٦٨
«	« إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس ... وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين » .	٧١ — ٧٨	١٠٩
الزمر — ٣٩	« مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » .	٣	١٨٥
«	« إنك ميت وإنهم ميتون » .	٣٠	٢٢٩
غافر — ٤٠	« اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم » .	١٧	٧٤
«	« وماكان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله » .	٧٨	١٢٤
فصلت / ٤١	« سنريهم آياتنا فى الآفاق ، وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .	٥٣	٣٥٢
الشورى / ٤٢	« ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » .	١١	٣٠٨
الأحقاف/ ٤٦	« ولكل درجات مما عملوا » .	١٩	٧٤
محمد / ٤٧	« مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ... ولهم فيها من كل الثمرات » .	١٥	١٢٧

السورة ورقمها	الآية	رقمها	رقم الصفحة
الفتح — ٤٨	« سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا »	١١	٢٥٤
«	« سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم » .	١٥	٢٥٤
«	« ومغانم كثيرة يأخذونها » .	١٩	٢٥٢
«	« وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شىء قديرا » .	٢١	٢٥٣
الفتح — ٤٨	« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله » .	٢٧	٢٥١—٢٥٢
النجم — ٥٣	« وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » .	٣٩	٧٤
القمر — ٥٤	« اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ، وكذبوا واتبعوا أهواءهم ، وكل أمر مستقر » .	١ — ٣	٢٤٠
«	« سيهزمون الجمع ويولون الدبر » .	٤٥	٢٥٥
الواقعة — ٥٦	« لا يصدعون عنها ولا ينزفون » .	١٩	٢٤٣
«	« فى جنات النعيم ، ثلة من الأولين ، وقليل من الآخرين ، على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ..... جزاء بما كانوا يعملون » .	١٢ — ٢٤	١٢٧
الصف — ٦١	« ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .	٩	٢٥٣
الجمعة — ٦٢	« هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم . ... مبين » .	٢	١٤٧ ، ١٤٩

السورة ورقمها	الآية	رقمها	رقم الصفحة
التحريم/٦٦	« ومريم ابنة عمـران التي أحصنت فرجها » .	١٢	١٠٤
القلم — ٦٨	« وإنك لعلى خلق عظيم » .	٤	١٤٩
الجن — ٧٢	« قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً ، يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا » .	١ — ٢	١٤٧
»	« وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا ..... أم أراد بهم ربهم رشدا » .	٨ — ١٠	٢٤٦
المدثر — ٧٤	« إنه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر .... فقال إن هذا إلا سحر يؤثر » .	١٨ — ٢٤	٢٣٧
الغاشية — ٨٨	« فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمصيطر » .	٢١ — ٢٢	١٤١
العلق — ٩٦	« أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى ، أرأيت إن كان على الهدى .... ألم يعلم بأن الله يرى » .	٩ — ١٤	٢٤٨
الفيل — ١٠٥	« ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل .... فجعلهم كعصف مأكول » .	١ — ٥	٢٣٣—٢٣٤
النصر — ١١٠	« إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » .	١ — ٣	٢٥٤

فقرات من الكتاب المقدس

السفر	رقم الإصحاح	الفقرة	رقمها	رقم الصفحة
التكوين	٣	« وأما ثمرة الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله : لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا » .	٣	١٢٨
		« .... أكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل .... فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت . »	٦ — ١٢	٧٣
		« فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها . »	٢٣	٣٤٥
	٤	«فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك متى عملت الأرض لاتعود تعطيك قوتها .»	١١ - ١٢	١٢٨
		« واتخذ لامك لنفسه امرأتين، اسم الواحدة عادة واسم الأخرى صلة .... وأصغيا لكلامي ... عملت — . »	١٩—٢٣	٩٤
	٦	« ورأى الرب أن شر الانسان قد كثر في الأرض .... لأني حزنت أني عملتهم . »	٥ — ٧	٣٠٣
	٩	« أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض	١	١٢٩

السفر	رقم الاصحاح	الفقـــرة	رقمها	رقم الصفحة
التكوين	١٦	« ها أنت حبلى فتلدين ابنا ، وتدعين اسمه إسماعيل .... وأما جميع إخوته يسكن . »	١١ – ١٢	٢٢٤ ، ٢٦١
	١٧	« وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره .... وأجعله أمة كبيرة . »	٢٠	٢٢٣ ، ٢٦٤
	١٨	« وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس فى باب الخيمة .... فتسندون قلوبكم ثم تجتازون . »	١ – ٥	٢٩٨ – ٢٩٩
	١٩	« وصعد لوط من صوغر وسكن فى الجبل وابنتاه معه .... وهو أبو بنى عمون إلى اليوم. »	٣٠ – ٣٨	٢٩٢ – ٢٩٣
	٢١	« لأنى سأجعله أمة عظيمة . »	١٨	٢٦٤
	٢٢	« .... أن الله إمتحن إبراهيم فقال له : يا إبراهيم ، فقال : خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق »	١ – ٢	٣٠٢
		« بذاتى أقسمت يقول الرب إنى من أجل أنك فعلت هذا الأمر .. ويرث نسلك باب أعدائه . »	١٦ – ١٧	١٢٩
	٢٧	« فليعطك الله من ندى السماء ، ومن دسم الأرض ، وكثرة حنطة وخمر ، ليستعبد لك شعوب ، وتسجد لك قبائل. »	٢٨ – ٢٩	١٢٩

السفر	رقم الاصحاح	الفقــرة	رقمها	رقم الصفحة
التكوين	٣٢	« فبقى يعقوب ، وحده .... لأنى نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسى »	٢٤ – ٣٠	٣٠٦–٣٠٧
	٣٤	« وخرجت دينة بنت لئية التى ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض .... واضطجع معها وأذلهــا . »	١ – ٢	٢٩٧
	٣٥	« أثمر وأكثر أمة، وجماعة أمم تكون منك .... ولنسلك من بعدك أعطى الأرض »	١١ – ١٢	١٢٩
	٣٥	« وحدث إذ كان إسرائيل ساكنا فى تلك الأرض .... وسمع إسرائيل »	٢٢	٢٩٣
	٣٨	« وأخذ يهوذا زوجة لعير بكره اسمها ثامار .... هى أبر منى لأنى لم أعطها لشيلة ابنى . »	٦ – ٢٦	٢٩٥–٢٩٧
	٤٩	« ودعا يعقوب بنيه وقال اجتمعوا لأنبئكم بما عليكم فى آخر الأيام .... حينئذ دنسته . »	١ – ٤	٢٩٣–٢٩٤
الخروج	٣	« وقال الله أيضا لموسى .... فتسلبون المصريين . »	١٥ – ٢٢	٣٠٤
	٤	« ثم قال له الرب أيضا : أدخل يدك فى عبك، فأدخل يده فى عبه ، ثم أخرجها ، وإذا يده برصاءمثل الثلج »	٦	٢٩٩

السِّفر	رقم الإصحاح	الفقـــرة	رقمهـــا	رقم الصفحة
الخروج	٦	«وأخذ يوكابد عمته زوجة له ، فولدت له هارون وموسى »	٢٠	١٠٤
	١١	« ثم قال الرب لموسى .... المصريين . »	١-٣	٣٠٤
	١٢	« وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى .... فسلبوا المصريين» .	٣٥ - ٣٦	٣٠٤
	١٥	« ترشد برأفتك الشعب الذى فديته ، تهديه ، بقوتك إلى مسكن قدسك . »	١٣	١٣٢
	١٧	« لماذا أصعدتنا من مصر .... ليشرب الشعب . »	٣-٦	٢٤٣
		« فقال الرب لموسى : اكتب هذا تذكاراً فى الكتاب .... للرب حرب مع عماليق من دور إلى دور . »	١٤-١٦	١٠٣
	٢٠	« لاتقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، لاتشهد على قريبك شهادة زور . »	١٣ - ١٦	٣٠٦
	٢٣	«وتعبدون الرب إلهكم، فيبارك خبزك وماءك ... إلى أن تثمر وتملك الأرض» .	٢٥-٣٠	١٢٩ - ١٣٠
	٣٢	« ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل .... ثم قاموا للعب . »	١-٦	٣٠١
	٣٢	« اذكر إبراهيم وإسحاق		

السفر	رقم الإصحاح	الفقـــرة	رقمها	رقم الصفحة
الخروج		وإسرائيل عبيدك .... فيملكونها إلى الأبد »	١٣	٣٠٧
	٣٢	« واللوحان هما صنعة الله ، والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين »	١٦	٣٠٠
	٣٤	« احفظ ما أنا موصيك اليوم ، هاأنا طارد من قدامك . .. وتكسرون أنصابهم ، وتقطعون سواريهم . »	١١ — ١٣	١٠٢
اللاويين	٢٤	« وإذا أحدث إنسان فى قريبه عيبا فكما فعل كذلك يفعل به .... كذلك يحدث فيه . »	١٩ — ٢٠	٩٣
	٢٦	« إذا سلكتم فى فرائضى ، وحفظتم وصاياى ، وعملتم بها .... وتهربون وليس من يطردكم . »	٣ ١٧	١٣٠ – ١٣١
العدد	١٢	« وتكلمت مريم وهارون .... التى اتخذها »	١	٣١٦
	٢٦	« واسم امرأة عمرام يوكابد بنت لاوى التى ولدت للاوى فى مصر فولدت لعمرام هارون وموسى ومريم أختهما . »	٥٩	١٠٤
	٢٨	« وفى يوم السبت خروفان حوليان صحيحان وعشران من دقيق ملتوت بزيت مع سكيبة . »	٩	٣٢٤

السفر	رقم	الفقـــرة	رقمها	رقم الصفحة
العدد	٣١	« وكلم الرب موسى قائلا : انتقم لبني إسرائيل من المديانيين» .	١—٢	١٠٢
التثنية	٥	«لا تقتل ، ولا تزن ، ولا تسرق ولا تشهد على قريبك شهادة زور » .	١٧—٢٠	٣٠٦
	٧	« ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظون وتعملونها .... يدفع اليك » .	١٢ — ١٦	١٣١ — ١٣٢
	١٢	«بل المكان الذي يختاره الرب إلهكم من جميع أسباطكم .... وأبكار بقركم وغنمكم» .	٥—٦	١٣٢
	١٨	« أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم .... أنا أطالبه »	١٨—١٩	٢٦٠
	٢١	« وإذا كان على الانسان خطية حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة .... لأن المعلق ملعون من الله » .	٢٢ — ٢٣	١٨٦ ، ٢١٤
	٢٣	« لا تقرض أخاك بربا فضة أو ربا طعام .... التي أنت داخل اليها لتملكها » .	١٩—٢٠	٣٠٥
	٢٤	« إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها ، فان لم تجد نعمة في عينيه .... يعطيك الرب الهك نصيبا » .	١—٤	١٠٠ — ١٠١
	٢٨	« ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك » .	١٥	٣١١

السفر	رقم الإصحاح	الفقــرة	رقمها	رقم الصفحة
التثنية		« يضربك الرب بقرحة مصر وبالبواسير والجرب والحكة حتى لا تستطيع الشفاء . »	٢٧	٣١١
		« تخطب امرأة ورجل آخر يضطجع معها . »	٣٠	٣١١
	٣٣	« جاء الرب من سيناء . . . . فاران »	٢	٢٦٣
يشوع	٦	« قد دفعت بيدك أريحا ، وملكها جبابرة البأس .... والكهنة يضربون بالأبواق »	٢ — ٤	٣٢٤
أيوب	١	«وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضا فى وسطهم فقال الرب للشيطان : من أين جئت . »	٦ — ٧	١٠٧
مزامير	٦٩	«ويجعلون فى طعامى علقما ، وفى عطشى يسقوننى خلا »	٢١	٢١٣
مزامير	١٤٩	« هللويا ، غنوا للرب ترنيمة جديدة تسبيحته فى جماعة الأتقياء ليفرح إسرائيل بخالقه . »	١ — ٢	٢٢٤
أشعياء	٧	« ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعون اسمه عمانوئيل . »	١٤	٨٤
	٢١	« لأنه هكذا قال لى السيد اذهب أقم الحارس . . . . كسرها إلى الأرض . »	٦ — ٩	٢٧٦ — ٢٧٧

السفر	رقم الاصحاح	الفقـــرة	رقمها	رقم الصفحة
أشعياء	٣٥	« تفرح البرية ، والارض اليابسة ، ويبتهج القفر . ويزهر كالنرجس » .	١	٢٧٧
	٥٥	« أيها العطاش جميعا . هلموا إلى المياه ، والذى ليس له فضة . . . . وبلا ثمن خمرا ولبنا » .	١	٣٤٨
أرمياء	١	« قبلما صورتك فى البطن عرفتك . وقبلما خرجت من الرحم قدستك . جعلتك نبيا للشعوب » .	٥	٢٧١
حزقيال	١٩	« أمك كـكرمة مثلك غرست على المياه. كانت مثمرة . . . . وليس لها الآن فرع قوى لقضيب تسلط » .	١٠ - ١٤	٢٧٨
	٢٠	« أن أناسا من شيوخ إسرائيل جاءوا ليسألوا الرب . . . أنا الرب إلهكم » .	١ — ٥	٢٥٦
دانيال	١٢	« وكثير من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون . هؤلاء إلى الحيوة الأبدية . وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدى» .	٢ — ٣	١٣٤
عاموس	٨	« قد أقسم الرب بفخر يعقوب أنى لن أنسى إلى الأبد جميع أعمالهم . »	٧	٢٢٥
حبقوق	٣	« عريت قوسك تعرية . سباعيات سهام كلمتك » .	٩	٢٧٦

السفر	رقم الأصحاح	الفقرة	رقمها	رقم الصفحة
متى	١	« هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا . »	٢٣	٨٣
	٣	« حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه .... وأنت تأتى إلى . »	١٣ — ١٤	١٧٦ — ١٧٧
	٥	« لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء.... لن تدخلوا ملكوت السماوات.»	١٧ — ٢٠	٩٦
		«قد سمعتم أنه قيل للقدماء... من طلق امرأته .... ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى »	٣١	٣٢٥
		« سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن، فحول له الآخر أيضا ».	٣٨ — ٣٩	٩٣
		« لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا » .	٣٩	٣٥٠
		« ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا ... وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم . »	٤٠—٤٤	٣٥٠—٣٥١
		« أحبوا أعداكم ، باركوا		

السفر	رقم الاصحاح	الفقرة	رقمها	رقم الصفحة
متى		لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم . »	٤٤	١٠٣
	٦	« أبانا الذى فى السماوات ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك .... لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين . »	٩ — ١٣	٨٩
	١٠	«هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وقال لهم : .... خرجوا شياطين . »	٥ — ٨	٧٧ — ٧٨
		«ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ، ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها .... يهلك النفس والجسد كليهما فى جنهم . »	٢٨	١٣٨
		« ما جئت لألقى سلاما بل سيفا . »	٣٤	١٠٣ ، ١٤٣
	١١	« أما يوحنا فلما سمع . فى السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه .... أم ننتظر آخر . »	٢ — ٣	١٧٧
		« أما يوحنا فلما سمع فى السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه .... من له أذنان للسمع فليسمع » .	٢ — ١٥	١٧٠
	١٢	« حينئذ أجاب قوم من الكتبة		

السفر	رقم الاصحاح	الفقـــرة	رقمها	رقم الصفحة
مق		والفريسيين قائلين : ..... إلا آية يونان النبي » .	٣٨ – ٣٩	٢٨٥
	١٣	« يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته .... هناك يكون البكاء ، وصرير الأسنان » .	٤١ – ٤٢	١٣٨
	١٧	« فالحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل .... ولا يكون شيء غير ممكن لديكم » .	٢٠	١٢٥
	١٩	« أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية ، ......أكرم أباك وأمك » .	١٦ — ١٩	١٦٠
	٢٣	« إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء، وتعال اتبعنى » .	٢١	١٣٤
	٢٥	« ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات ..... لأن معلمكم واحد المسيح » .	٩ — ١٠	١٦١
		« وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الأنبياء .. .. . باسم الرب » .	٣٠ — ٣٩	٢٦٩
	٢٥	« فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدى والأبرار إلى حياة أبدية » .	٤٦	١٣٧

السفر	رقم الأصحاح	الفقـرة	رقمها	رقم الصفحة
متى	٢٦	« وأقول لكم إنى من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم . . . . . . في ملكوت أبى » .	٢٩	١٤٠ ، ٣٤٥
		« فقال للتلاميذ : اجلسوا ههنا حتى أمضى أصلى هناك .... فقال لهم : نفسى حزينة حتى الموت » .	٣٦ – ٣٨	٨٤
		« فقال لهم نفسى حزينة جداً حتى الموت .... إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك » .	٣٨ – ٤٦	١٧٩
		« والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلا الذى أقبله هو أمسكوه » .	٤٨	١٩٢
	٢٨	« فتقدم يسوع وكلمهم قائلا : دفع إلى كل سلطان ..... والروح القدس » .	١٨—١٩	٧٨
		« فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » .	١٩	٦٩
مرقس	٨	« من أراد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ، ويحمل صليبه . . . . فهو يخلصها » .	٣٤—٣٥	١٧٩—١٨٠
	٩	« النار التى لا تطفأ ...... حيث دودهم لا يموت والنار التى لا تطفأ » .	٤٣-٤٤ ، ٤٨	١٣٨
	١٠	« وفيما هو خارج إلى الطريق		

السفر	رقم الاصحاح	الفقـــرة	رقمها	رقم الصفحة
مرقس		ركض واحد وجثا له وسأله : ... أكرم أباك وأمك » .	١٧ — ١٩	١٦٠
		« اذهب بع كل مالك واعط الفقراء .... وتعال اتبعنى » .	٢١	١٣٤
		« ومن أراد أن يصير فيكم أولا يكون للجميع عبداً ..... وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » .	٤٤ — ٤٥	٧٢
	١١	« لأنى الحق أقول لكم: إن من من قال لهذا الجبل انتقل ... فهما قال يكون له » .	٢٣	١٢٥
	١٢	« وجاء إليه قوم من الصدوقيين الذين يقولون ليس قيامة ... ... بل يكونون كملائكة فى السماوات » .	١٨ — ٢٥	١٢٧
	١٤	« ويل لذلك الرجل الذى به يسلم ابن الإنسان ، كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد » .	٢١	١٩٨
		« الحق أقول لكم إنى لاأشرب من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديداً فى ملكوت أبى » .	٢٥	١٤٠ ، ٣٤٥
	١٦	« وقال لهم اذهبوا .... للخليقة كلها » .	١٥	٧٩
		« وقال لهم : اذهبوا إلى العالم		

السفر	رقم الأصحاح	الفقـــرة	رقمها	رقم الصفحة
		أجمع . . . ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون » .	١٥ — ١٨	٧٧
لوقا	١	« وفى الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل .... واسم العذراء مريم » .	٢٦ — ٢٧	٨٣
		« وفى الشهر السادس . . . . . ولا يكون لملكه نهاية » .	٢٦ — ٣٣	١٧٥
	٤	« فقال لهم : على كل حال تقولون لى هذا المثل أيها الطبيب اشف نفسك ... ليس نبى مقبولا فى وطنه » .	٢٣ — ٢٤	١٥٩
	٧	« فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبى عظيم وافتقد الله شعبه » .	١٦	١٦٢
	١٠	« هاأنا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ، ولا يضركم شىء » .	١٩	٧٧
	١٢	« وقال واحد من الجمع : يامعلم قل لأخى أن يقاسمنى الميراث فقال له : يا إنسان من أقامنى عليكما قاضيا أو مقسما » .	١٣ — ١٤	٩٧
مرقس	١٢	« فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون » ولا تقلقوا .. ... هناك يكون قلبكم أيضاً »	٢٩ — ٣٤	١٣٥
	١٤	« إذا صنعت غداء فلا تدع		

السفر	رقم الاصحاح	الفقـــرة	رقمها	رقم الصفحة
لوقا		أصدقائك ولا إخوتك .... لأنك تكافى في قيامة الأبرار ».	١٢—١٣	٢٣٩ — ١٤٠
	١٦	« كان إنسان غنى وكان يلبس الأرجوان والبز وهو يتنعم. ... ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون ».	١٩ — ٣١	٣٤٦ — ٣٤٧
		« يا أبي إبراهيم إرحمني وارسل لعازر ليبل طرف أصبعه بماء ويبرد لساني لأني معذب في هذا اللهيب ».	٢٤	١٣٩
	١٩	« اذهبا إلى القرية التي أمامكما وحين تدخلانها تجدان جحشا مربوطا... وأتيا به».	٣٠	١٨٣
	٢٢	« لأني أقول لكم إني لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله ».	١٨	١٤٠
		« وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتا ... تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر ».	٢٩—٣٠	١٣٩
		« لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر ».	٣٠	٣٤٧ - ٣٤٨
		« حين أرسلتكم بلا كيس ، ولا مزود ولا أحذية ، هل أعوزكم شيء ...... فليبع ثوبه ويشتر سيفا ».	٣٥—٣٦	٣٥٥

السفر	رقم الاصحاح	الفقـــرة	رقمها	رقم الصفحة
لوقا	٢٣	« وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشيء، ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد » .	٩ — ١٠	١٧٥
	٢٤	« وقال لهم : هذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغي ..... لجميع الأمم » .	٤٦—٤٧	٧٩
يوحنا	١	« في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ..... والكلمة صار جسدا وحل بيننا . »	١ — ١٤	٨٥
		« وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلا اليه فقال هوذا حمل الله الذي يرفع الخطية العالم .... فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس » .	٢٩—٣٣	١٧٧
	٢	« أية آية ترينا .... في ثلاثة أيام تقيمه» .	١٨—١٩	١٨١
	٣	« لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ... بل تكون له الحيوة الأبدية» .	١٦	٧٢
		« ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص » .	٣٠	١٨٣
	٤	« وبعد اليومين خرج من هناك إلى الجليل لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبي كرامة في وطنه » .	٤٣—٤٤	١٥٩

رقم الصفحة	رقمها	الفقـــرة	رقم الأصحاح	السفر
١٦٢	٣٠	« أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئا كما أسمع أدين .... بل مشيئة الآب الذى أرسلنى » .	٥	يوحنا
٣٤٧	٢٥ - ٢٧	« ولما وجدوه فى عبر البحر قالوا له : يا معلم متى صرت هنا .... بل للطعام الباقى للحياة الأبدية » .	٦	
٢٨٤	٢٨ — ٣٥	« فقالوا له : ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله .... ومن يؤمن بى فلا يعطش أبدا » .		
١٦٣	٢٨	« فنادى يسوع وهو يعلم فى الهيكل قائلا تعرفوننى وتعرفون أين أنا ومن نفسى لم آت ، بل الذى أرسلنى هو حق الذى أنتم لستم تعرفونه » .	٧	
١٦٣	٤٢	« لأنى خرجت من قبل الله وأتيت ، لأنى لم آت من نفسى بل ذاك أرسلنى » .	٨	
١٦٤	٢٤	« إلى متى تعلق أنفسنا » .	١٠	
١٦٤ — ١٦٥	٣١ - ٣٣	« فتناول اليهود أيضا حجارة ليرجموه ، أجابهم يسوع .... فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلها » .		
٨٥	٢٧	« الآن نفسى قد اضطربت » .	١٢	
		« فأخذ يهوذا الجند وخداما	١٨	

السفر	رقم الاصحاح	الفقـــرة	رقمها	رقم الصفحة
		من عند رؤساء الكهنة . . . قبضوا على يسوع وأوثقوه ومضوا به . »	٣ — ١٢	١٩٣ - ١٩٤
	٢٠	«من غفرتم خطاياه تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت»	٢٣	٩٢
أعمال الرسل	٩	« فقام بطرس وجاء معهما.... ثم نادى القديسين والأرامل وأحضرها حية . »	٣٩—٤١	٧٨
. لة بولس إلى أهل رومية	٣	« بر الله بالايمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون. . . من أجل الصفح عن الخطايا السالفة . »	٢٢ - ٢٥	٧٣
رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس	١٥	« فإننى سلمت اليكم فى الأول ما قبلته أنا أيضا أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب » .	٣	٧٣
رسالته الأولى إلى أهـــل تيموثاوس	٦	« أوص الأغنياء فى الدهر الحاضر ألا يستكبروا . . . . لكى يمسكوا بالحياة الأبدية . »	١٧ - ١٩	١٣٥
رسالة يوحنا الأولى	٢	«لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم ....وهذا هو الوعد الذى وعدنا هو به الحياة الأبدية . »	١٥—٢٥	١٣٥—١٣٦
رويا يوحنا اللاهوتى	١	« فالتفت لأنظر الصوت الذى تكلم معى ولما التفت رأيت سبع منابر . . . . الأول والآخر والحى . »	١٢—١٨	٣٠٨—٣٠٩

السفر	رقم الأصحاح	الفقـــرة	رقمها	رقم الصفحة
رؤيا يوحنا اللاهوتي	٢	«من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة التي في وسط فردوس الله .»	٧	١٤٠
	٣	« من يغلب فذلك سيلبس ثيابا بيضا .»	٥	١٤٠
		« لأنك تقول : إني أنا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي . . .وثيابا بيضا لكي تلبس »	١٧—١٨	٣٠٩
	٧	« لن يجوعوا بعد ، ولن يعطشوا بعد ، ولا تقع عليهم الشمس ولا شيء من الحر .»	١٦	١٤٠
	١٢	« وظهرت آية عظيمة في السماء امرأة متسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها . . . . نهارا وليلا .»	١ - ١٠	١٠٧—١٠٨
	٢١	« وأما الخائفون وغير المؤمنين ... بنار وكبريت » .	٨	١٣٩

أهم المراجع العـــربية

— القرآن الكريم

— العهد القديم القاهرة ١٩٦٣

— العهد الجديد القاهرة ١٩٦٣

— ابن الأثير : الكامل فى التاريخ

تحقيق : عبد الوهاب النجار القاهرة ١٣٤٩هـ

— أبو الأعلى المودودى : تفهيم القرآن لاهور ١٩٧٣

— البخارى : صحيح البخارى — طبعة الشعب — القاهرة —

— البستانى : دائرة المعارف بيروت ١٩٥٦

— بطرس البستانى : معارك العرب فى الأندلس بيروت ١٩٥٠

— الثعالبى : قصص الأنبياء القاهرة —

— جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى بيروت ١٩٦٧

— ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح البخارى —

— ابن حزم : الفصل فى الملل والنحل القاهرة ١٩٦٤

— ابن حيان : المقتبس فى تاريخ بلاد الأندلس

تحقيق : عبد الرحمن على الحجى بيروت ١٩٦٥

— رحمة الله الهندى : إظهار الحق

تحقيق : عمر الدسوقى الدارالبيضاء ١٩٦٤

— الزركلى : الأعلام بيروت ١٩٦٩

— سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة

ترجمة : حسن حنفى القاهرة ١٩٧١

— الطبرى : جامع البيان عن تأويل القرآن

تحقيق : محمود ، وأحمد شاكر القاهرة ١٩٧٤هـ

وطبعة بولاق —

— الطبرى : تاريخ الطبرى
تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة ١٩٦٠
— ظفر الدين خان : الإسلام يتحدى القاهرة ١٩٧٣
— عباس العقاد : الله القاهرة ١٩٦٩
— عبد الكريم الخطيب : المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل القاهرة ١٩٦٦
— عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء القاهرة ١٩٦٦
— على عبد الواحد وافى : قصة الزواج والعزوبة فى العالم القاهرة —
— الفخر الرازى : التفسير الكبير القاهرة —
— ابن كثير : البداية والنهاية بيروت والرياض ١٩٦٦
— » : قصص الأنبياء
تحقيق : مصطفى عبد الواحد القاهرة ١٩٦٨
— » : السيرة النبوية
تحقيق : مصطفى عبد الواحد القاهرة ١٩٦٦
— » : شمائل الرسول
تحقيق : مصطفى عبد الواحد القاهرة ١٩٦٧
— لسان الدين الخطيب : تاريخ أسبانيا المسلمة
تحقيق : ليفى بروفنسال بيروت ١٩٥٦ م
— ليفى بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس
ترجمة : عبد العزيز سالم القاهرة ١٩٥٦ م
— مالك بن نبى : مشكلة الثقافة
ترجمة : عبد الصبور شاهين بيروت ١٩٧١
— محمد البهى : الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى القاهرة ١٩٤٥ م
— محمد حسين هيكل : حياة محمد القاهرة ١٩٦٢ م
— محمد عبد الله دراز : الأخلاق فى القرآن
ترجمة : عبد الصبور شاهين
— محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس من الفتح
إلى بداية عهد الناصر القاهرة ١٩٦٠ م

— محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس
الخلافة الأموية والدولة العامرية القاهرة ١٩٦٠ م

— » : الدولة العامرية وسقوط الخلافة
الأندلسية القاهرة ١٩٥٨ م

— » : دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح
المرابطى القاهرة ١٩٦٠

— » : نهاية الأندلس وتاريخ العرب
المتنصرين القاهرة ١٩٥٨ م

— مسلم : صحيح مسلم
تحقيق : محمد فؤاد عبد الباق القاهرة ١٩٥٥ م

— ابن هشام : السيرة النبوية القاهرة —

» » السيرة النبوية
» » تحقيق : مصطفى السقا وآخرون القاهرة ١٩٥٥ م

السيرة النبوية
تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٦٣ م

— الهيثمى مجمع الزوائد ومنبع الفوائد القاهرة ١٩٥٣ م

— ﻫ . ج . ويلز : موجز تاريخ العالم
ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد القاهرة ١٩٥٨ م

— ياقوت : معجم البلدان القاهرة ١٣٢٥ﻫ

المراجع الأجنبية

— Anwander, Anton Wörterbuch der Religionen. Würzburg 1962.

—Bouëssé, Humbert : Le sauveur de monde, Le mystère de l'incarnation, Paris 1953.

— Mensching, Gustav : Leben und Legende der Religionsstifter. Folle-Verlag : Darmstadt, Baden-Baden, Genf o. D.

— Nölle, Wilfried : Wörterbuch der Religionen. München 1960.

— Stahlin Rudolf u. a. : Christliche Religion. Fischer Rücherei 1961.

— Staufer : Botschaft.

— Theologisches Wörterbuch zum neuen Testament: herausgegeben von Gerhard Friedrich. Stuttgart 1954.

فهرس مواضيع الكتاب

مقدمة المخطوطة

٦٧

رسالة القسيس إلى أبى عبيدة

٦٨ — ١٤٦ ص

رسالة أبي عبيدة إلى القسيس

١٤٦ — ٣٦٦

تصويب الخطأ

نعتذر للقارىء عن الأخطاء المطبعية ، التى وقعت فى هذا الكتاب ، ونرجو أن يبادر بتصحيحها قبل القراءة ، فقد حاولنا جهد المستطاع بيان الخطأ وصوابه ، ورقم الصفحة والسطر ، فإن وجد أنه قد فاتنا شىء فليغفر لنا ، وليتذكر أن الله وحده هو المعصوم عن الخطأ .

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	صوابه
٨	٢٢	اشبيلة	أشبيلية
١٠	٢٦	امبراطور	الامبراطور
١٧	٨	المدينة	المدنية
٢٢	٧	القاول	الفاول
٢٥	٤	أشتوريس	أشتوريش
٢٥	١٧	يعد	بعد
٢٨	١٩	بشور	بشمور
٣٠	٦	و « طليطلة »	« طليطلة »
٣٢	١٥	تاشفيين	تاشفين
٤٧	٣	هؤلاء المسلمين	هؤلاء المسلمون
٥١	٧	يعرف	يعترف
٥٢	٢	رسالته إلى أهل كورنثوس	رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس
٥٦	٥	القاض	القاصد
٥٨	٢	فأستحضر من	فأستحضر ما يلزم من
٦٨	١	القيس	القسيس
٧٠	١٦	شمه	شملة
٧٦	٦	يا أهل	يأ هل
٨١	٢٦	وبين مانسبت	وبين من نسبت
٨٢	٥	معالم	العالم
٨٣	١٠	الثن	الوثن

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	صوابه
٩٨	٩	الافراد على سؤال	الافراد فى سؤال
١٠٣	٢٢	مق ١ : ٣٤	مق ١٠ : ٣٤
١٠٥	٢١	فنسب	فنسبت
١٠٨	١٦	[رؤيا يوحنا اللاهوتى ١٢ : ١ ــ ٢٠]	[رؤيا يوحنا اللاهوتى ١٢ : ١ ــ ١٠]
١٢٧	١٣	[الواقعة ٢٢ ــ ٢٤]	[الواقعة ١٢ ــ ٢٤]
١٤١	١٥	[البقرة : ٢٥]	[البقرة : ٢٥٦]
١٤٥	٧	المسيح ابن مريم	المسيح بن مريم
١٥٥	٢٢	عيسى ابن مريم	عيسى بن مريم
١٥٨	٢	ونفخه	ونفخة
١٧٤	٨ ، ٩	(بيان اضطراب الأناجيل وتناقضها وهو الجزء الأول من الرد على الشبهة السابعة) .	×
١٧٧	٨	[١٢ : ــ ٣]	[١١ : ٢ ــ ٣]
١٨٠	١٠	يوسف ابن هالى	يوسف بن هالى
١٨٢	٢	عاملى	عامل
١٨٣	١٢	أنها ترد شيئاً ... أردت	أنها لم ترد شيئاً ... أرادت
١٨٤	٣	الطب	الطيب
٢٩٧	٢٥	يو	يوما ما
٢١٧	١١	ونصفه معبود	ونصفه معبوداً
٢٢٢	١٠	معناه	معنا
٢٢٧	٣	وانتفضت	وانتقضت
٢٣٠	٨	أنه فاح لهم رائحة	أنه فاح لهم منه رائحة
٢٣٨	١	إنا نعلم البلاغة	إنا لا نعلم البلاغة
٣٣٨	٢	التوقع	التوقح
٢٦٣	١٠	عيسى ابن مريم	عيسى بن مريم
٢٦٧	٥	« »	» «
٢٨٢	٤	ابن محض	ابن محصن
٢٨٦	٣	لعيسى ابن مريم	لعيسى بن مريم

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	صوابه
٣٠٩	٥	الفاسية	القاسية
٣١١	١٥	والمستحق	المستحق
٣٢٢	١٨	ص ٥٣	ص ١٠٢
٣٣٢	٦	قدم قدم	قد قدم
٣٣٧	١٠	ونيابوت	ونبايوت
٣٤٢	١٤	الطبية	الطيبة
٣٥٣	١٢	صلى اله	صلى الله
٣٦٣	٢	وحرمه	وحرمة

رقم الإيداع ٢٨٨٨/١٩٧٩